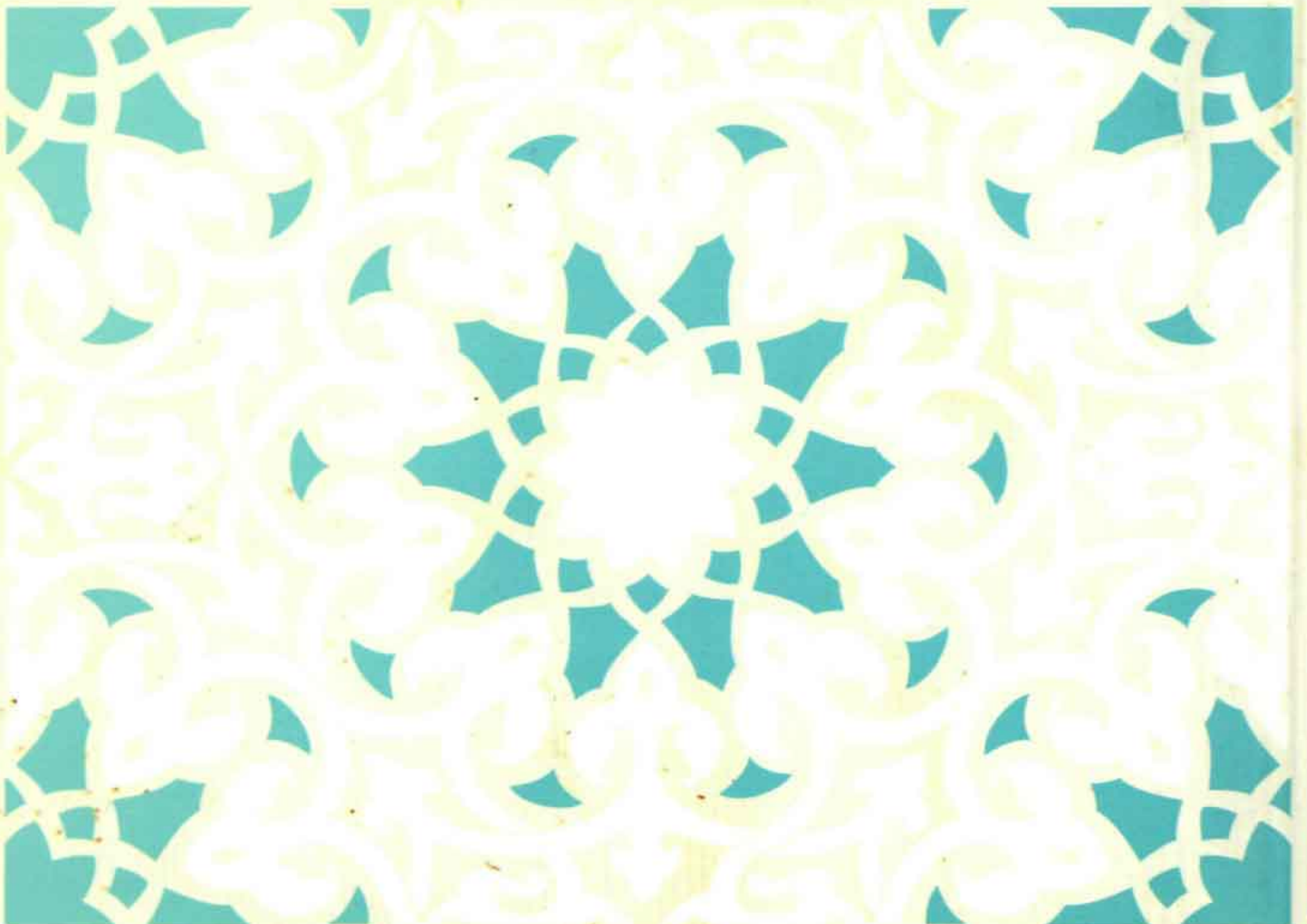




المقالات المنتخبة في المؤتمر الثالث

لِلنَّظَرِ رِيَّةٌ الْمَطْرُوبِيَّةُ



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقالات المنتخبة

للمؤتمر العالمى الثالث للنظرية المهدوية

المقالات المنتخبة للمؤتمر العالمي الثالث للنظرية المهدوية

طبع و نشر:	مؤسسة المستقبل المشرق
بالتعاون مع:	الدكتور الموسوي و ابوالفضل نورمحمدبور
تصميم:	رسول المحمدي
تنضيد الحروف:	علي القنبري
الطبعة:	الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
ردمك:	٩ - ٠٨ - ٥٠٧٣ - ٦٠٠ - ٩٧٨
العنوان:	الجمهورية الاسلامية الايرانية، قم المقدسة، شارع فجر، رقم ١١٢، هاتف: ٢٩٤٠٩٠٢ - ٢٥١
البريد الالكتروني:	MD.Scientific@gmail.com

الفهرست

- ٧..... دولة العدل في زمن الظهور وفلسفة الغيبة في زمن الإنتظار.....
دكتور علي أبو الخير
- ٧٣..... دولة الموعود و مآزق الفكر السياسي.....
ادريس هاني
- ١١٥..... الأسس التربوية والأخلاقية في حكومة المهدي المنتظر.....
د. حكيمة شامي، الرباط/ المغرب
- ١٢٩..... كُبريات أهداف الدولة المهديّة.....
ابتهال سيد محمد مناف
- ١٤٧..... مباني وأهداف المجتمع الاسلامي والحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام.....
محمود رجب احمد بخيت
- ٢٠٧..... الامام المهدي عليه السلام و ثقافة الانتظار في عصر العولمة و الارهاب.....
ماجدة آل مرتضى المؤمن
- ٢٣٥..... أيديولوجيا النظريات الغربية السياسية والعقيدة المهديّة (دراسة مقارنة).....
محسن وهيب عبد
- ٢٧٩..... المهديّة والحركات الإسلامية.....
دكتور أحمد راسم النفيس

دولة العدل فى زمن الظهور وفلسفة الغيبة فى زمن الإنتظار (من وحى فرجه الشريف)

دكتور على أبو الخير

مقدمة: الفرد محور التاريخ

الباحث فى التاريخ الإنسانى يجد أن كل الأفكار الإصلاحية والتغيرات الثورية فى تاريخ البشرية تقوم على الفرد، لأن الإنسان الفرد هو محور التاريخ، والخطاب الإصلاحى يتوجه للفرد قبل الجماعة، لأن التغيير للأصلح أو للأسوأ يبدأ من فرد الذى يكون من حوله خلية تصير نواة للتغيير، والتغيير المقصود هنا قد يكون للخير، وقد يكون للشر، ولكنه فى كل الحالات تغيير يقلق المجتمع وربما المجتمعات المجاورة أو العالم بأسره، و مسيرة البشرية شهدت حروباً و صراعات دامية يقودها أفراد لهم إمكانيات بشرية عالية المستوى فى التفكير والإدراك، وكل الديانات الوضعية كالبودية والهندوكية والزرادشتية والديانات الفرعونية القديمة نبتت من عقول أناس أفراد، وكل

الحروب التوسعية الدامية كالتى قام بها جنكيزخان وهولاكو ونبوخذ نصر وهتلر وغيرهم كانت من بنات أفكار أفراد، أشخاص لهم ذكاء نادر استخدموه للغزو والتوسع، كما أن كل الحركات السياسية والفكرية التى أتت فى البشرية كالشيوعية والرأسمالية والديالكتيكية والأممية جميعها خرجت من مخ إنسان فرد تمكن من تطويع البيئة التى يعيش فيها بالكتابة والتبشير بوعود المساواة والعدل والإخاء، ويتلقفها أشخاص ثم جماعات تقوم بإخراج تلك الأفكار إلى نطاق حيوى تستثمر فيها، وتتطلق منها فى حروب مازالت تصبغ البشرية بالفرقة والدماء .

وفى المقابل فإن الأنبياء جميعا أفراد. بشر. تميزوا بالبشرية المثالية كما تميزوا دون الناس جميعا بالاصطفاء الإلهى لهم ليكونوا قدوة للناس، لينشروا العدل والتبشير بالقيم الرسالية، فهم بشر مصلحون أرسلهم الله ومعهم ميزان معنوى

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^١

فالميزان هنا هو حقيقة العدل، وحامل الميزان ليس مخلوقا معصوب العينين لكى لا ينحرف عن سواء السبيل، ولكن حامل الميزان مفتوح العينين، يدرك الأحياء والأشياء، يحكم بالقسط بين كل البشر، ويخوض الحروب ضد كل المستكبرين، فالأنبياء هم المصطفون دون الناس جميعا ومعهم كتب سماوية تبشر بالعدل والتوحيد.

إن الله تعالى خلق الإنسان وحمّله مسئولية الدعوة وأمانة التوحيد وحتمية العدل، وترك له حرية الاختيار ليميز بين الخير والشر، الأريحية والأثرة، الطمع والقناعة، ودارت في التاريخ البشري صراعات بين قوى الخير وقوى الشر، يقود كل الفريقين فرد، وغالبا فإن قوى الشر هي التي تنتصر وتنتشر فكرها وتقمع معارضتها وتقتل مخالفيها فاصطبغ تاريخ الإنسان بالدماء والمقابر الجماعية، حتى أن قلوب بعض البشر صارت مثل الحجارة أو أشد قسوة، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^١ وقد حدثت هذه الحروب وانتصر الشر بعد رحيل أصحاب الديانات، وكانت قوى الشر دوما تحرف دعوات الأنبياء عن حقيقتها، وبظرة متأملة نجد أن الفكر المنحرف هو الذي ساد في كل الديانات، ففكرة الشعب المختار فكرة منحرفة، ولا يمكن أن يكون الأنبياء موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام من دعاة هذه الفكرة المنحرفة، ومع ذلك صار من لا يؤمن من اليهود على مر العصور بتلك الفكرة ناقص في تفكيره الديني والقومي على السواء.

ونفس الفكرة المنحرفة سادت المسيحية ولكن في ثوبها التجسدي، وكل من لا يؤمن بفكرة التجسد الإلهي في الجسد الإنساني للمسيح عليه السلام أو لا يؤمن بالثالوث المتجسد في الكلمة يسوعية لا يصير مسيحيا بحال. وفي الأمة الإسلامية ساد الفكر المنحرف أيضاً ولكن ليس في حقيقة التوحيد، ولكن في ربط طاعة الحاكم حتى لو كان ظالما بطاعة الله ورسوله،

وهو ارتباط شائك منحرف ولكنه ساد ومازال يسود، واصطبغ التاريخ الإسلامي بالدماء بسبب هذا الربط، فتم تحريف وتأويل تفسير ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله بحيث يخدم الفكر الحاكم المستبد، فضاع العدل وشاع الظلم وانتشر الفساد، وتغيرت الكثير من الأحكام الإسلامية، ثم غمض هذا الأمر عن المسلمين طوال تاريخهم، وأضحى من الضروري رد الدين إلى معالمه الأساسية فجعل ذلك لأفراد من البيت النبوي المحمدي لكي لا يضع الدين من أصله، فقد ضاع الميزان وإن بقي التوحيد

ولأن الله تعالى جعل لهذا الكون آخرا وللأرض نهاية، فإن العدل الإلهي لا بد أن ينصر الخير في النهاية، في نهاية التاريخ، وكما قلنا فإن حركة التغيرات البشرية قامت على كنفى إنسان بشر فرد مصلح، كان لا بد من وجود مصلح يرمم انحرافات الأديان السماوية، ويعيد إليها اشراقاتها الرسالية وآفاقها الإلهية، وفردوسها الأرضي ويحرر الإنسان، ومن البديهي أن قوى الاستكبار لا بد أن تحارب معركتها، وهذا المصلح هو المنتظر الذي بشرت به كل الأديان.

لقد كانت أهم المشاكل التي تقلق المجتمع البشري على طول التاريخ هو ذلك التنافر الإنساني الذي برز في شكل صراعات دامية وحروب استنزافية زرعت أمراضا مستعصية في عمق الجسد البشري مثل العرقية والعنصرية والقومية، ولاشك ان الصراع المستميت على المصالح قد حول هذه الأمراض إلى أدبيولوجية متأصلة تبحث عن أعداء لها لتبتلعهم رغبة لمصالح منظريها وكانت الحربين العالميتين شاهد مروع على ذلك.

العولمة وفكرة الفرد المصلح

لأن الإنسان كائن اجتماعي بفطرته يميل إلى الانسجام مع أخيه الإنسان ومد وشائج الإنسانية، فإن وجود عالم أنساني موحد يقوم على السلام والمحبة والوحدة البشرية بدون وجود أي قواطع أو حواجز مادية أو معنوية كان المشروع المثالي الذي حلم به الفلاسفة والمصلحون والمفكرون، لكن كل ذلك كان يصطدم بواقع مر وهو ان الكثير من هذه الدعوات كان تستغل من قبل السلطات لفرض هيمنتها على الدول الأخرى بداعي التوحيد والاندماج. وهذا يقودنا إلى بحث ظاهرة جديدة تطرحها وسائل الإعلام بقوة وهي ظاهرة العولمة، هذه الظاهرة الجديدة في مصاديقها وليس في مفهومها تهدف في مشروعها الرئيسي إلى دمج العالم البشري في وحدة بلا حواجز جغرافية أو اقتصادية أو سياسية .

يدعى منظروها: بأن العولمة هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد^١.

ان مقومات تحقيق المجتمع الإنساني الواحد يعتمد بشكل كبير على العنصر الإنساني المعنوي وليس العنصر المادي أو الأدوات، لان المشاركة الإنسانية المتكاملة تنشأ من عملية التناغم الثقافي والتفاهم الفكري وليس من عملية التبادل التجاري أو التواصل المعلوماتي فقط، ولهذا فإننا نرى ان الإنترنت التي

١. مرتضى عياش، جريدة النبا المعلوماتية، العدد ٣٠ - ٤٠ لعام ١٤٢٠، (وانهوامش من ٣ وحتى ١٥ من نفس بحث الأستاذ مرتضى عياش ببعض التصرف القليل من نفس المصدر).

هى أداة تواصل معلوماتى مادمى من أدوات العولمة لم تحقق ذلك التواصل الثقافى والفكرى الهادف بقدر ما كانت أداة لنشر الجريمة والفساد والإباحية وتبادل المعلومات النافهه.

لذلك يمكن أن نرى هفوات عميقة قد أفرزتها العولمة تعمق الشرخ العالمى وتقودها الى مزيد من الانشقاق والعزلة، وهى تعبير واضح عن عناصر تفكك المجتمع البشرى وافتقاده لمقومات التوحد والعدالة.

ان العولمة فى ظاهرها تحمل شعارات الحرية والديمقراطية والأسواق الحرة وحقوق الإنسان ولكنها فى حقيقتها وأثارها ليست غير طريق لاحتكار التجارة العالمية ووسائل الإعلام وأدوات الإنتاج المعلوماتى، فالدعوة الى العولمة دعوة مبطنة بإلغاء الدول والثقافات والاقتصاديات من اجل السيطرة المطلقة لأباطرة العولمة والشركات الكبرى التى أصبحت تشكل خطراً كبيراً على الدولة الديمقراطية، اذ من خلال التركيز المتزايد للشركات تنشأ مقدره هائلة لسلطة خارجة عن البرلمان والحكومة، فالشركات الكبرى تملك مواقع قوية لوضع أهدافها فى وجه السياسة والشركات الصغيرة، ودائماً على نحو واسع تستغل هذه الشركات الدول الأصغر منها وتستنزق ثرواتها.

تهدف العولمة فى شعاراتها الى تشكيل العالم ضمن نظام عالمى موحد ينسجم فى وحدة متلاحمة، لكن من خلال ما أفرزته فأنها لم تخلق الا الفوضى والتفكك فى عالم أصبح أكثر تنافراً وصراعاً وعزلة، لقد ذهب البعض الى وصف الوضع السائد باللائظام او الفوضى العالمية، ذلك إنها لا تريد ان تحقق من خلال التوحيد العالمى الا مصالح آنية ترفع الارباح فى سوق الأسهم وليس لها أهداف بعيدة المدى تخدم الجنس البشرى.

ان الرأسمالية اذا ما أديرت بافتراض ان نظرية القطاع الخاص هي المبدأ بزعم ان الحرية المطلقة دائما ستفضي الى رفاهية الكل فإنها ستؤدي حتما الى حروب أهلية، والعديد من المجتمعات يعيش اليوم نوعا من الفوضى الاقتصادية حيث ينتج العمال ما لا يستهلكون ويستهلكون ما لا ينتجون.^١ لقد تحولت العولمة الى صراع محموم بين النخبة للمنافسة والوصول الى اكبر رقم تكاثر فيه الأصفار هذا الصراع هو نقطة انشقاق وشرح ونقض لمصادقية هذه النظرية.

ان معيار العولمة ومحورها هو المصالح وليس التقارب الأيديولوجي ويتجلى ذلك داخل الإطار الرأسمالي نفسه مثلا بين الولايات المتحدة وفرنسا صراع بدور كل منهما في العولمة اذ تسعى فرنسا لحياء ونشر اللغة الفرنسية لئلا تؤدي العولمة الى طمسها وأفراد اللغة الإنجليزية بقيادة الإعلام والثقافة في العالم. ان الخلافات داخل المنظمات الدولية والتجارية هي في جوهرها صدامات مصالح اتخذت طابع الحروب التجارية وان اتحدت المبادئ.^٢ ويوما بعد يوم يزداد الظن قوة على تزايد الانعزال والتفوق الذي اتخذته الجماعات الدينية والأديولوجية والقومية والعنصرية للدفاع عن نفسها في مواجهة غزو العولمة، ولاشك أن ازدياد حركات العنف والتطرف والحروب الأهلية والدعوات الى استقلال الاقليات في كاتونات ودول صغيرة هي مؤشر على مزيد من الانقسام والفوضى والتفكك في عالم أصبحت فيه

١. العولمة دراسة تحليلية - عبدالله عثمان وعبدالرؤوف آدم.

٢. العولمة دراسة تحليلية.

العولمة هي المسؤول الكبير عن انتهاك أبسط الحقوق الإنسانية وقواعد القانون الطبيعي.

فكيف يمكن ان نرى العالم من خلال قيادة النخبة المبشرة بعالمها الوردى الخاص الداعى للمساواة والعدالة، والقيام بتوحيد البشر خلف قيادة أمة عرقية محددة تعمل على التبشير بمعرفتها القومية العنصرية، وليس توحيد البشر خلف قيادة رسالية تقوم بالتبشير على الأسس العامة التى أودعها الله فى الضمير الإنسانى، وهو ما لا يدركه منظرو العولمة لأن هذا كله ضد الإرادة الألهية التى حددت معالم الذى يخلص الإنسان، وهذا المخلص فرد يقود جماعة مثالية فى التكوين النفسى والإدراكى والإيمانى على وجه الخصوص، وهذا المخلص بشرت به كل الأديان .

حكومة العدل فى زمن ظهور المهدي ﷺ

تواتر فى الكتب والرسالات السماوية والمذاهب المختلفة عن وجود منقذ عالمى يقود البشر نحو الخلاص وإيجاد مجتمع بشرى قائم على العدالة والحرية والحق، وهذا ليس مجرد خطاب مذهبى او شعار دينى، بل هى حقيقة فطرية تعيش فى أعماق العقل البشرى ويحسها الضمير الإنسانى، ويؤمن بها الإنسان الذى يعيش الألم والعذاب اليومى والقلق والخوف واللامن، ذلك ان العقل يدرك فى كينونته ان العالم هذا قائم على العدل والتوازن وليس من حصائصه الظلم والفوضى، فإذا كان هناك فوضى فإنها من حصاد الظلم البشرى بحق البشر، فإذا لا بد من تحقق العدل والا فان

العدالة الإلهية تصبح لغوا وعبثا. ولذلك كانت بعثة الأنبياء وتواتر الرسل وقيام المصلحين من إيجاد مجتمع إنساني واحد يعبد الله عز وجل ويحقق عدالته، وهذا هو هدف الأديان جميعا، وهدف الرسالة الإسلامية التي تخاطب البشر جميعا بلا استثناء لأنها تملك قدرة قوية على إيجاد الوحدة العالمية بما تحمله من مبادئ مثل الاخوة والسلام والتسامح والعفو والوحدة، يقول نعوم تشومسكي: في هذا الجزء من العالم سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمفهورين والمظلومين أكثر جاذبية، فهذا الدين المطرد في الانتشار على المستوى العالمي هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح^١ فالإسلام دين عالمي يحمل مقومات بناء المجتمع العالمي، يخاطب الله تعالى رسوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^٣.

ولكن هذا الدين الذي أنقذ العالم من فوضى الجاهلية وظلماتها سوف يعود يوما بإذن الله لإنتقاذ العالم وقيادة المستضعفين نحو الخلاص كما بشر بذلك القرآن الكريم:

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^١

١. مالكوم واترز، كتاب العولمة، نقلا عالم الفكر العدد الثاني ١٩٩٩.

٢. سورة الأنبياء: ١٠٧.

٣. سورة سبأ: ٢٨.

ويروى عن الإمام علي عليه السلام: لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها ثم تلايها الآية، ويقول ابن أبي الحديد في شرحه على النهج: ان أصحابنا يقولون انه وعد بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك^٢ وفي آية أخرى يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾^٣

يقول الإمام الباقر عليه السلام: ان ذلك وعد الله للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض.

وكذلك بشر رسول الله ﷺ بظهور المهدي عليه السلام حيث روى عنه سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه قال: ان خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدى لإثنا عشر أولهم أخى وأخرهم ولدى، قيل يا رسول الله من أخوك؟ فقال: علي بن أبي طالب، قيل ومن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملؤها - أى الأرض - قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، والذي بعثني بالحق بشيرا لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدى المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلى خلفه وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.^٤

١. سورة القصص - ٢٥.

٢. الإمام المهدي من المهدي الى الظهور، السيد محمد كاظم القزويني.

٣. سورة الأنبياء - ١٠٥.

٤. فرالد السمطين للمجربى - ج ٢.

ان هدف ظهور المنتظر هو انتشار العالم من مستنقع الظلم والجور ونشر العدل والمساواة لذلك يؤمن به البشرية معظمها وتتناد له الأديان، ذلك ان الأديان تؤدي غرضا فطريا واحدا يتوحد فيه الشعور الإنساني ويحس به عندما يتكامل إدراكه العقلي مع وجود قيادة حكيمة ينبعث منها الاخلاص والصدق والواقعية، يقول الفيلسوف الألماني كنت: اختلاف الأديان تعبير غريب، مثل هذا كمثل ما لو تكلم المرء عن أخلاق مختلفة انه يمكن ان يوجد أنواع مختلفة من الاعتقادات لا في الدين لكن لا يوجد غير دين واحد مقبول لكل الناس وفي كل الأزمان فما تلك إذن غير محامل للدين، أي شيء عرضي ومتغير وفقا لاختلاف الأمكنة والأزمنة.^١

وقد يكون المراد من هذه الآية القرآنية:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٢

هو ان بعثة الأنبياء والرسول هي لتحقيق هدف واحد، وذلك الهدف هو الذي يقود البشرية بكافة تياراتها للانضواء تحت راية المهدي المنتظر عليه السلام. يقول تعالى في كتابه الكريم:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^٣

١. عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة، من مرتضى عياش.

٢. سورة آل عمران ١٠٥.

٣. سورة الصف ٩.

يقول الأمام الكاظم عليه السلام: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام. إن الخطوة الأولى في توحيد العالم والمجتمع البشرى هو إيمان الأديان جميعا بالإمام المهدي عليه السلام والدخول تحت رايته، ذلك ان الدعوة لدمج العالم ليست دعوة حديثة بل إنها ارتبطت تاريخيا بالديانات السماوية القديمة، لقد انطلقت هذه الديانات من فكرة وحدة البشرية أمام الخالق وبالتالي فان الجوهر بالنسبة لكل الديانات هو دعوة الشعوب والأمم للتقارب والتكافل تحت راية الأيمان بوجود رب واحد وخالق واحد وقيم وقناعات ومسلمات مشتركة تحكم السلوك الإنساني في كل أنحاء العالم.^١

لذلك تتوقع الأديان ظهور المهدي وتنتظره وعندما يظهر فإنها تؤمن به خاصة انه عليه السلام يظهر مع علائم تجعل من المستحيل التشكيك به، فيخرج معه عيسى بن مريم كما ذكرنا في الرواية المروية عن رسول الله ويصلى خلف الإمام المهدي عليه السلام، يقول الإمام الباقر عليه السلام: إذا ظهر القائم ظهر براية رسول الله وخاتم سليمان وحجر موسى وعصاه، وعنه عليه السلام: فإذا اجتمع عنده عشرة آلاف فلا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد ممن يعبد غير الله الا آمن به وصدقه وتكون الملة واحدة ملة الإسلام.

وعنه عليه السلام أيضا: وانما سمي المهدي لانه يهدى الى أمر خفى ويستخرج التوراة والإنجيل من ارض يقال لها إنطاكية.

ان عالمية الإمام المهدي عليه السلام تظهر من خلال تواصله العالمى وقدرته على إيصال الرؤى الى كافة بقاع العالم، فعن الصادق عليه السلام حيث يقول عن النداء

١. عاظم الفكر العدد الثانى ١٩٩٩، المصدر السابق وأيضا مرتضى عياش.

الساوى: يسمعه كل قوم بألسنتهم، اذ ان اللغة هي من أهم اصعب العوائق والحواجز التي تفصل بين البشر وتمنعهم عن التواصل والحوار وتؤدي الى الانعزال والتفوق والانقسام .

يبدأ مشروع العدالة العالمى عند المهدي عليه السلام من تحقيق التكامل المعرفى والعقلى عند الإنسان، لان معظم الشرور تنشأ من الجهل وعدم المعرفة، فعن الباقر عليه السلام: (إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم)، وهذا الجمع يعنى أمرين: الأول ان التكامل الحضارى لا يعتمد على مستوى التقدم المادى والتكنولوجى والمعلوماتى بل يعتمد على التكامل العقلى والتركيز المعرفى من اجل بناء النفس والذات، والحضارة المادية هي وسيلة وليست غاية، والثانى: هو الحوار العقلانى والفكرى الذى يعتمد على الثقة والتفانى فيتم التواصل والتقارب وهذا ما يحققه المهدي عليه السلام .

والمرحلة الثانية من مشروع الحكومة العالمية تنطلق من خلال إيجاد التوازن الاجتماعى والاقتصادى وإلغاء الاستغلال والاحتكار والتفرد فى السيطرة على موارد الأرض، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: فيجىء إليه الرجل يقول يا مهدي اعطني اعطني اعطني، فيحشى له فى ثوبه ما استطاع ان يحمله، وعنه صلى الله عليه وآله: ابشروا بالمهدى، ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملا قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى انه يأمر مناديا ينادى من له حاجة الى . وتكثر الماشية وتعظم الأمة وتزيد المياه فى دولته وتمد الأنهار وتضاعف الأرض اكلها^١ ويطبق الإمام عليه السلام قانون الإسلام الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله:

١. الإمام المهدي من المهدي الى الظهور، المصدر السابق ومرضى عياش.

من أحياء أرضاً مواتاً فهي له وهذه هي قيمة العدالة التي تعطى الحق للإنسان في امتلاك الأرض كالأخرين، يقول الباقر عليه السلام: أيما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعمروها فهم أحقّ بها وهي لهم، لذلك تزدهر الأرض وتموج بالنشاط والعمل وكمثال على ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: إذا قام قائم آل محمد اتصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء.

وبتحقيق العدالة والعدل ينتشر الأمن وتختفي الجريمة ويتحقق الأمان، يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديثه عن الأمن والأمان في عصر المهدي:

وتخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد

وتتكامل دولة الإمام المهدي عليه السلام العالمية بإلغاء الحدود الجغرافية وترفع الحواجز المصطنعة ويصل البشر إلى مبتغاهم في حرية العمل والحركة والحياة، يقول فكتور باش: حق كل إنسان بوصفه إنسان في امتلاك حقوق، وهو الذي يخول لكل مواطن دولة أن يدخل أراضي دولة أخرى، وهذا الحق في التجول بحرية على الأرض وفي عقد اتفاقيات قانونية مع سائر الناس يقوم حق المواطن العالمي.^١

فالأرض تصبح موطناً لكل إنسان في عهد الإمام المهدي عليه السلام، يقول الصادق عليه السلام: إن القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلها ويظهر الله به دينه ولو كره المشركون، ويقول عليه السلام:

إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي بالمغرب
وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق.

١. فلسفة القانون والسياسة، عبد الرحمن بدوي.

ان المجتمع البشرى لا يصل الى طريق الوحدة الحقيقية التسي تقضى على الحروب والأزمات والعواصف إلا بعد ان يرجع الى العوامل الواقعية المشتركة التي تجمع العنصر البشرى، ولاشك ان العامل المادى لا يمثل غير عنصر للاختلاف والتنازع والاستغلال أما العقل والفطرة فهما العاملان اللذان يقودان البشرية لاستجماع ذاتها والوصول الى حقيقتها وهذا لا يكون بوجود الا قيادة واقعية تقودها نحو التكامل العقلى والتأصل الفطرى والتنكر عن الدوافع الأنانية المميتة وهو عصر العدالة والحرية والامان والسعادة عصر الإمام المنتظر المهدي عجته وفقنا الله لرؤية نور وجهه الكريم والامتثال والعيش تحت راية عدالته العالمية الإلهية.

وعلى العموم فان الديانات السماوية بشرت بالمخلص وان اختلفوا فى كنهه، قال اليهود إن المخلص هو النبي إيليا أو المسيح الذى يخلص اليهود من العبودية ويجعلهم فوق البشر، أى تكريس لمفهوم الشعب المختار المنحرف، والمسيحيون ينتظرون السيد المسيح عائداً من السماء ليعيد الشعب الإسرائيلى إلى عقيدة المسيحيين، فهو كما يعتقدون يعود بفكرة التجسيد ويعمل على أن تسود المسيحية، ولكن الإسلام وحده الذى بشر بمخلص مصلح له نفس خلق ومثل ملامح الأنبياء، معصوم من الخطأ، يحارب الاستكبار من أجل نشر العدل، يحمل الميزان الإلهى للتقويم البشرى، يعود بالشرعية القرآنية التى جاء بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ليزيح الانحراف البشرى الذى شاب عقيدة التوحيد، لذلك كله كان لابد أن يكون هذا المصلح من نسل النبي وأن يكون آخر سلسلة اثنا عشرية خباها الله فى علم الغيب ليراقب

الأحداث وليحكم على الناس ويتدخل في بعض الأحداث التي تسدور بين الخير والشر، لأن الأسباب الاثنا عشر عاشوا في عصر واحد وماتوا في نفس الجيل فلم يتمكنوا من مواجهة كل الانحراف الإسرائيلي، والحواريون الاثنا عشر الذين التفوا حول المسيح عاشوا عصراً واحداً وتفرقوا في البلدان ليكرزوا بالملكوت الإلهي لم يتمكنوا من تخطي الانحراف البشري الذي جعل المسيح إلهاً أو نصف أو ثلث الله. لذا فإن المصلح الإسلامي خبأه الله في آخر سلسلة الاثنا عشر الإسلامية ليكون في آخر الزمان، وفي غيبة طويلة تراقب أهوال الإنسان ضد أخيه، بعد أن صان أسلافه الأحد عشر إماماً عليهم السلام عقيدة التوحيد والميزان من الإندثار كلية، وعند ظهوره الشريف يكون قد عرف خبايا الاستكبار ومكوناته ومكوناته، هداه الله بنسبة الشريف فكان مهدي الأمة، وجعل الأمة تنتظره، فكان المهدي المنتظر.

في هذا البحث سنحاول الحديث عن المستقبل البشري، وبشائر الكتب السابقة بالتبشير بظهور المهدي سلام الله عليه، وفلسفة الغيبة و مستقبل الظهور في زمن الإنتظار الثوري، وفي ثنايا البحث سنكتب عن محاولات المستكبرين اخفاء حقيقته الشريفة في أربعة محاور...

المحور الأول: علوم المستقبل

قبل الحديث عن هذا الانتظار لا بد من ذكره أن العالم المعاصر والذي بشر القرآن به باكتشافه للعلوم والآفاق والفلك والطب، وضع علم أسموه بعلم المستقبل أو المستقبلية، هذا العلم يتفاعل مع علوم الاحصاء ونظرية

الاحتمالات، ولم يقل أحد أن هذا رجم بالغيب أو أن هذا ضد منطق العقل العلمي، وبناء على هذه النظرية الاجتماعية يتم وضع الخطط المستقبلية العابرة للقارات والتي تخدم مخططات الاستعمار ونهب الثروات واستغلال الشعوب جميعاً، وهذا ما يقول البعض عنه ان نظرية المؤامرة، المؤامرة التي تحاك ليل نهار ما هو الا تخطيط في الخفاء، تخطيط يعتمد على العلم وثقافة الشعوب لاتجاهات تفكيرها وميول مواطنيها لكي تحدد كيفية اتخاذ القرارات فيها، ومن ثم توضع الخطط بناء على ما هو متوقع من ردود أفعال هذه الشعوب، وفيها قدر لا بأس به من النبوءات الدينية حسب ما يؤمنون به، فهم يؤمنون بالمخلص السماوي الذي ينزل للأرض، وهنا اختلط العلم بالدين بالأساطير ليكون جميعاً علم المستقبليات.

ان الحديث عن المستقبل الغيبى فى القرآن لا يعنى نفى انفراد الله سبحانه وتعالى بالغيب، وأصدق ما قيل فى ذلك فى جواب الامام على عليه السلام لرجل قال له: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فقال عليه السلام:

ليس هو بعلم غيب، وانما هو علم من ذى علم، وانما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله سبحانه فى قوله (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام) فيعلم سبحانه ما فى الأرحام، قبيح أو جميل، وسعيد أم شقي، ومن يكون فى النار حطماً أو فى الجنان مرافقاً، فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمته ودعا لى بأن يعيه صدرى وتضطم على جوانحى.^١

وهو ما روى عن حذيفة بن اليمان قال:

قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى يوم الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.^١

المستقبل والانتظار والوعد

ربط الله تعالى المستقبل بما يمكن تسميته بفلسفة الانتظار، وقبل الحديث عن هذه الفلسفة الانتظارية نورد بعض الآيات التي تتحدث عن الانتظار والوعد الإلهي لأولئك المنتظرين:

«يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ»^٢
«وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»^٣.

«فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»^٤؛

«وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^٥؛

١. صحيح مسلم، ٨، ٨٩.

٢. سورة الأنعام، ١٥٨.

٣. سورة يونس، ٢٠.

٤. سورة يونس، ١٠٢.

٥. سورة هود، ١٢١ - ١٢٣.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِصْرُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٢﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِتْمَامَ
مُنْتَظَرُونَ ﴿٣﴾

فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٤﴾

فَإِذَا جَاء وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا
دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتْبِيرًا ﴿٥﴾

وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الْآخِرَةِ
جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٦﴾

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ
رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿٨﴾

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا
وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَمَلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩﴾

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٠﴾

١. سورة السجدة ٢٨ - ٣٠.

٢. سورة الأسراء ٥.

٣. سورة الأسراء ٧.

٤. سورة الأسراء ١٠٤.

٥. سورة الأسراء ١٠٧ - ١٠٨.

٦. سورة الأنبياء ٩٧.

٧. سورة الأنبياء ٩.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾^٢

تفاوتت آراء المفسرين في شرحهم لكلمة الوعد كل حسب رؤيته الفكرية
والمدرسة السياسية التي ينتمى إليها هؤلاء ما بين مفسر للوعد بأنه يوم البعث
والنشور أو مفسر لها بأن هذا الوعد يعنى تلك الفتوحات الواسعة التي حدثت
في الصدر الأول للتاريخ الإسلامى إلا أن هذه المرحلة قد تميزت بالإضافة
لهذه الفتوحات بمجموعة أخرى من الحوادث السلبية التي شوهت المزاج
النفسى للمسلمين كافة وأدت حسب ما نعتقد إلى إطلاق مجموعة أخرى من
الروايات التبريرية الاعتذارية^٣ والتي تحمل في ثناياها اعترافا ضمنيا بالواقع
الأليم الذى عاشته الأمة؛ فى الآيات هنا نتحدث عن انتظار معلق بوعد إلهى
لا بد ان يتحقق، بعضها يتحدث عن انتظار يوم القيامة، مثل الآية ١٥٨ من
سورة الأنعام، أما الآيات الأخرى فإنها تتحدث عن شيء مستقبلى غير يوم
القيامة، فيقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا إنى

١. سورة النور: ٥٥.

٢. سورة الأنبياء: ١٠٥.

٣. احمد راسم النفيس، المهدي المنتظر ومعركة تحرير القدس، المؤلف نفسه، القاهرة ٢٠٠٢

معكم من المنتظرين، هنا يتحدى القرآن أولئك الحادين الكافرين عن أمر الله الذين طلبوا معجزة أو آية كونية يتحققون منها على صدق نبوته فيرد عليهم بأن الغيب عند الله وأنه سوف يعطيهم هذا المعجزة فيما بعد، في المستقبل لهم أو لأحفادهم أو لأمثالهم المنكرين لنبوة محمد، فقط عليهم الانتظار، قد تكون هذه المعجزة آية كونية، وقد تكون رجلاً مسلحاً، يقدم لهم هذه الدلالة الكونية عند يندلع الصراع بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله النبي الأعظم وأمته، والباطل لدى أولئك اليهود ومعهم قوى الاستكبار العالمي، وبالتالي يمكن ربط آيات الانتظار بالوعد الإلهي للمستضعفين بوراة الأرض، والوعد الإلهي للمسرفين والمستكبرين واليهود جميعاً "ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء، وأهلكنا المسرفين"، هنا يدرك الذين أوتوا العلم من قبله أن الله منجز وعده فوعده مفعول في ديمومة انسانية تستهدف انتظار من يبعثه الله ليصلح العالم من خلال حرب تدور رحاها بين كل قوى الإيمان مجتمعة، وقوى الاستكبار مجتمعة، وللدلالة على أن هذه الحرب قادمة أن الأديان السابقة تعيش على نبوءات توراتية تستهدف انتظار المخلص، فرغم علمية العقل الغربي، إلا أنه يعيش على أساطير فيها بعض ما تبقى من نبوءات تنتظر الملك النبي كما عند اليهود، والمسيح الموعود عند النصارى، وهي أفكار إذا خلصت من شوائبها ان المخلص لابد ان يكون من داخل دولة التوحيد، من فكرة ثورة الانتظار القرآنية، وأن يتجسد هذا المنتظر في شخص من أهل بيت النبي المصطفى ﷺ وقد بشرت التوراة والانجيل به. المحور الثاني: المهدي في كل كتب السماء.*

في هذا العرض سنجد أن هوية المخلص الحقيقي وردت في الكتاب المقدس، ولكن مفسري الكتاب من اليهود والنصارى أخطأوا في تحديده رغم أن ما سنورده يحدد هويته الإنسانية وعمله الرسالي، والغريب أن الفراعين من حكام الأمة الإسلامية عملوا أيضاً على تغييب خصائص المهدي الموعود، وكأنهم اتفقوا مع اليهود والنصارى على إخفاء معالمه.

فلقد كان ملوك بني العباس ينتظرون ولادة الإمام الثاني عشر للقضاء عليه ولذا أخفى والده الإمام الحسن العسكري ولادته عن الناس خوفاً عليه ولم يعلم به إلا الصفوة من أصحابه، وهذا ما يفسر لنا ما ورد في رؤيا يوحنا حيث قال:

والتين وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يتلع ولدها متى ولدت.^١

و شاء الله سبحانه أن يغيب وليه في أرضه (الإمام المهدي) عن أنظار الناس إلى وقت معلوم وساعة معلومة علمها عنده وحده (لا يجليها لوقتها الا هو) وهذا ما عبرت عنه الرؤيا حيث جاء فيها:

فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعصا من جديد، واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه.^٢

وهكذا فإن غيبة الإمام المهدي عليه السلام قدر من الله تعالى فمهما طال غيبته فهو في حماية الله وتحت ظل عرشه حتى يأذن له بالخروج وحمل راية الحق

١. سفر الرؤيا ١٢ ٤.

٢. الرؤيا ١٢ ٥.

في مقابل تجمع الكفر العالمي تحت راية المسيح الدجال الذي نشهد تحركه في أيامنا هذه.^١

وليس بعزيز على الله تعالى أن يُبقي وليه في أرضه حياً مخفياً عن أنظار الناس مدة طويلة من الزمن لا يعلمها الا هو حتى يحين الوقت المعلوم فيبعثه ليمحق به الكفر والضلال ويقوم به دولة الحق والعدل فـ "إن المسيح الدجال شر مخبوء، ومن عدل الله تعالى أن يضع أمام الشر المخبوء خيراً مخبوءاً".^٢

والشر المخبوء سيعمل جاهداً على إرساء قواعد الظلم التي تستقر عليها ألوهية العبيد، ومن يدعى الألوهية لا يدعيها إلا على أقوام طحنها الظلم، وطحنتها الأهواء، والخير المخبوء سيعمل على تصفية كل مؤسسات الباطل وأجهزته التي هي مؤسسات وأجهزة الظلم والجور، ليضع أعلامه وييسط أجهزته وبذلك تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً".

ان المهدي حق، لأن الدعوة الى الله قبل الانقلاب الكوني الأخير ستكون على أرض بها المسيح الدجال، وخروج المسيح الدجال يعنى إغلاق باب التوبة فلا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، والله أدرى بعبده قبل أن يُغلق باب التوبة، والله أدرى بمن يرشدهم ويدعوهم إليه في أرض بها من يدعى ظلماً وكفراً وتجبراً أنه إله يعبد من دون الله ! ان التصدر للدعوة قبل إغلاق باب التوبة لا بد له من مهدي ولنتدبر قوله تعالى:

١. بشائر الأسفار، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

٢. المصدر السابق.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يَنْتَظِرُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِتْمَمَ
مُنْتَظِرُونَ ١.

فهذه الآيات تحدثت عن يوم فتح ! فيه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم!
وطالب الله تعالى رسوله بأن ينتظر وأخبره بأن أهل الكفر منتظرون ! هكذا
ذكرت الآيات الكريمة العلاقات ! فما هو يوم الفتح هذا ؟ ان العاقل لا يقول
بأنه كان في الماضي، لأنه لو قال بهذا لكان الذين دخلوا في الإسلام من
بعده، لم ينفعهم الايمان وبالتالي لم يقبل منهم الإسلام !.

وقال ابن كثير في تفسيره لآية الفتح: "من زعم أن المراد من هذا الفتح فتح
مكة فقد أبعده النجعة وأخطأ فأفحش.. وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل"
فمتى يكون يوم الفتح؟ ولتحديد هذا اليوم لابد أن نبحث في العلامات التي
تغلق فيها أبواب التوبة، وهي التي قال فيها تعالى:

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن
قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ٢.

وهذه الآيات قال عنها النبي ﷺ:

ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل. ٣

أما عن طلوع الشمس وخروج الدابة فلم ترد أحاديث تبين ان للمسلمين
معارك عالمية عندهما انما المعارك والفتح سيكونان في علامة المسيح الدجال. ٤

١. سورة السجدة ٢٨-٣٠.

٢. سورة الأنعام ١٥٨.

٣. روى الترمذي.

ويظهر من المصادر الإسلامية ومما ورد في كتب اليهود والنصارى من تفسير لهذه الرؤيا أن المسيح الدجال سيكون آخر عدو لله يقضى عليه الامام المهدي عليه السلام وقد جاء في مصادر أهل الكتاب أن المسيح الدجال سيكون الرئيس العالمي لليهود والمسيحيين المرتدين؛ ويبدى المسيحيون له ولاء مطلقاً؛^١ وسيقولون: هذا هو حقا المسيح الذي انتظناه.^٢

وروى عن رسول الله في توقيت خروج الدجال:

بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج المسيح الدجال في
السابعة.^٣

المهدي في الكتاب المقدس

اتفق أهل الكتب على توقيت ظهوره بعد فتح المينة الواقعة على البحر؛ فقد قال ويسلي: بعد سقوط المدينة سرعان ما يظهر الدجال وسرعان ما يسقط ويهلك.^٤

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عن هذه المدينة، التي ستكون عنوان الفتح المظفر في زمن الامام المهدي عليه السلام، أن جانباً منها في البر وجانباً في البحر، أي أنها تقع على شاطئ البحر ثم قال بأن جنود المهدي عليه السلام يفتتحوها

١. بشائر الأسفار، ص ٢٥١ ٢٨، عقيدة المسيح الدجال ص ٢٨٣، نقلاً عن بشائر الأسفار.

٢. المصدر السابق ص ٢٨٣، نقلاً عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد ١٣١؛ بشائر الأسفار.

٣. المصدر السابق ص ٢٨٣، عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد ١٣٤.

٤. أبوداود ج ١١١/٤، المدينة هنا هي غير "المدينة المنورة"؛ بشائر الأسفار.

٥. عقيدة الدجال ٢٨٢، عن تفسير الرؤيا / ويسلي ١١٣؛ بشائر الأسفار.

بنداء لا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالوا: " لا إله إلا الله والله أكبر " فيسقط أحد جانبيها الذي فيها ثم يقولون الثانية، لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغنم إذا جاءهم الصريخ أن المسيح الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون.^١

وسمعت صوتا عظيما قائلا في السماء:

اليوم هو يوم الخلاص، القوة والملك لله ربنا وسلطانة لمسيحه.^٢

لقد عبر نبي الله إرميا عن هذا اليوم حيث قال:

فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمته للانتقام من مبغضيه.^٣

ويوم الخلاص هذا أو يوم النعمة والانتقام من أعداء الله ومبغضيه على يد ولي الله في أرضه الإمام المهدي المنتظر هو ما يعرف في المصادر الإسلامية بـ "الملحمة الكبرى" وفي الانجيل الذي بين أيدي الناس اليوم باسم "معصرة غضب الله العظمى يوم الله القادر على كل شيء"^٤، ويعرف عند اليهود

١. صحيح مسلم، ج ١٨، ص ٤٣.

٢. ن كلمة مسيح لا تصلى عند أهل الكتاب على الأنبياء فقط بل قد تصلى على منك أو كاهن (نظر سفر التلاويين ٤:٣) وهذا الثقب قد يضربونه على منك أجنبي كما أضربوه على المنك الفارسي كورش: هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمما (الشمعيا ٤٥: ١) من يشائر لأسفار، إذا كلمة مسيحه في هذه الرؤيا لا تعني عيسى لمسيح بل من الأکید لها تعني لمهدي المنتظر.

٣. سفر إرميا ٤٦: ١٠.

٤. رؤيا ١٤: ١٩ ورؤيا ١٩: ١٥.

في العهد القديم باسم "الخربة الابدية"،^١ وهي المعركة الفاصلة الكبرى بين قوى الخير والإيمان بقيادة الإمام المهدي المنتظر^{عجته} من جهة وقوى الكفر والضلال في العالم من جهة أخرى، وسيكون النصر الساحق والمؤزر من نصيب الامام المهدي المنتظر^{عجته} في هذه المعركة التي لم ولن يعرف لها مثيل في تاريخ البشرية في الشدة والعنف، فقد روى عن رسول الله ﷺ القول: " لا يرى مثلها.. "أو لم ير مثلها".^٢

وقال عيسى ﷺ:

لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحدث.^٣

وبما يخص تلك الصيحة العظيمة التي تسمع في السماء إعلاماً بخروج الإمام المهدي^{عجته} فقد روى الصدوق عن الإمام محمد الباقر^{عجته} أنه قال:

ومن علامات خروجه (أي الإمام المهدي) عليه السلام خمس علامات، وعد منها: وصيحة من السماء في شهر رمضان.^٤

وعن الإمام الصادق^{عجته} انه قال:

الصيحة لا تكون إلا في شهر رمضان شهر الله - وهي صيحة جبرائيل - إلى هذا الخلق.^٥

١. أرميا ٢٥ ٩.

٢. رواه مسلم ج ٢ ص ٢٥٢.

٣. انجيل متى ٢٤ ٢١.

٤. بشائر الأسفار نقلاً عن ما بعد الظهور - محمد الصدر.

٥. المصدر السابق، ص ١٦٩.

وقبل حدوث هذه المعركة الفاصلة التي لا مثيل لها في التاريخ ستحدث معارك بين الإمام المهدي عليه السلام وطغاة المنطقة وخصوصاً ذلك المعروف بالسفياني الذي سيرسل قوة عسكرية قوية للقضاء على حركة الإمام المهدي التي بدأها في مكة المكرمة، ولكن يُقضى على جيش السفياني هذا وتُخسف به الأرض قبل تحقيق هدفه بالوصول إلى مكة، وهذا هو تفسير ما ورد في رؤيا حنا حيث قال: "فألقت الحية من فمها وراء المرأة ماءً كنهراً لتجعلها تُحمل بالنهر فأعانت الأرض المرأة، وفتحت فمها وابتلعت النهر الذي ألقاه التنين من فمه" ^١ فالحياة هي التنين رمز للطاغوت الذي سيحاول القضاء على حركة الامام المهدي عليه السلام في بدايتها، وهذا الطاغوت هو طاغوت محلي مدعوم من الغرب الصليبي والصهيونية العالمية وذلك لوقف حركة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام والقضاء عليها، ويُعرف هذا الطاغوت المحلي باسم "السفياني" كما ورد في الكثير من الروايات.

وقد تم التعبير عن الجيش الذي سيرسله السفياني الى مكة للقضاء على قيام الامام المهدي عليه السلام بالنهر نظراً لقوته وسرعة حركته، ولكن ما ان يصل إلى أرض الحجاز بين المدينة ومكة حتى تخسف به الأرض وتبتلعه كما جاء في الكثير من روايات أهل البيت المعتمدة ^٢ وأيضاً ما ورد في كتب أهل السنة. ^٣ ويبدو أنه بعد أن يتم القضاء بعد أن يتم القضاء على السفياني ستغضب مراكز القوى الاستكبارية الصليبية والصهيونية في العالم ويجمعون قواهم

١. رؤيا ١٥-١٢ - ١٦.

٢. راجع مستدرک الحاکم ج ٢٩/٤ والبحار ج ١٨٦/٥٢ - بشارت الأسفار.

٣. انظر كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لأبي العباس أحمد بن محمد ابن حجر المكي الهيثمي ص ٤٩ من بشارت الأسفار.

للقضاء على القوة المؤمنة الصاعدة بقيادة الامام المهدي المنتظر عليه السلام وهذا ما عبر عنه صاحب الرؤية قائلا: " فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حربا مع باقى نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح؛^١ والمرأة هنا هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد صلى الله عليه وآله _ والائمة الاطهار من نسلها هم الذين يحفظون وصايا الله تعالى وهم المكلفون بهداية الناس وحفظ دينه الحنيف من تحريف المحرفين وتأويل المتأولين، ولذا فالتمسك بولايتهم ومنهجهم ناج والمنتخلف عنهم هالك. فهم ائمة الفرقة الناجية وادري الناس بكتاب الله وسنة رسوله.

كما أن عبارة "نسلها (اي نسل فاطمة) الذين يحفظون وصايا الله" تفسر لنا حديث الثقلين والذي يدعوا المسلمين فيه الى التمسك بكتاب الله وآل بيت رسول الله حيث سماهم الثقلين في قوله "انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى آل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...."^٢.

أما معنى العبارة الاخيرة الواردة فى الرؤيا والتي تقول: "وعندهم شهادة يسوع المسيح" فهذا مما لاشك فيه فإن عيسى المسيح عليه السلام قد بشر بالامام المهدي المنتظر عليه السلام وايضا ما ورد فى الكثير من الروايات حول نزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان^٣ حيث سيصلى خلف الامام المهدي عليه السلام ويشهد له بأنه ولي الله فى ارضه وسيكون الساعد الايمن فى حروبه مع القوى الصليبية

١. رؤيا ١٢/١٧.

٢. الحديث مشور جدا ومتواتر فى كتب أهل السنة والشيعه على السواء.

٣. روى العلامة المجلسى فى البحار ج ٥٢ ص ٢٨٣ فى صحيحه فى باب: "نزول عيسى عليه السلام ج ٢ ص ٢٥٦" ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كيف بكم أو أنتم اذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم " - ويشائر الأسفار - ص ٢٥٩.

فى العالم . ويقال بأنه سيكسر الصليب بيديه الشريفتين. ولذا فإن مهمة عيسى المسيح ﷺ عند نزوله ستكون الشهادة للإمام المهدي المنتظر عليه السلام بأنه ولى الله فى أرضه وحجته على خلقه وسيعمل جاهداً من أجل اقناع العالم الغربى الصليبي بوجوب اتباعه والإيمان بما يدعوهم إليه، فإن أبوا إلا العناد والخلاف فإنه سيقف الى جانب الامام المهدي فى حربه ضدهم.

ولاتمام الفائدة لا بد لنا من ان نذكر هنا ما ورد فى الرؤيا التاسعة عشر من سفر الرؤيا، حيث تحدث فيها عن عظمة ذلك القادر المنتصر الملقب بالأمين الصادق والمعين من الله تعالى من قبله للقضاء على اعدائه فى حرب لم يشهد لها التاريخ مثيلاً؛ فقد جاء على لسان القديس يوحنا فى رؤياه التاسعة عشر ما نصه: " ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب؛ وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس يعرفه احد إلا هو؛ متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله؛ والاجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه على خيل ابيض لايسين بزا ابيض ونقيا؛ ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الامم وهو سيرعاهم بعضا من حديد وهو يدوس معصرة خمر وغضب الله القادر على كل شىء؛ وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب؛ ورأيت ملاكا واحدا واقفا فى الشمس فصرخ بصوت عظيم قائلاً لجميع الطيور الطائرة فى وسط السماء اجتمعى الى عشاء الاله العظيم لكى تأكلى لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم اقوياء ولحوم خيل

والجالسين عليها ولحوم الكل حرا وعبدا صغيرا وكبيراً؛ ورأيت الوحش وملوك الارض واجنادهم مجتمعين ليضعوا حرباً مع الجالس على الفرس ومع جنده فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التى اضل بها الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت؛ والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس من الخارج من فمه وجميع طيوره شبت من لحومهم.^١

يرسم لنا صاحب هذه الرؤيا صورة حية عن معالم معركة حربية ضارية تشكل بحد ذاتها ملحمة حرب عالمية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية. ولكنها لن تدور هذه المرة فقط فيما بين القوى الاستكبارية العالمية الطامعة فى السيطرة على العالم كما حدث ذلك فى الحربين العالميتين الاولى والثانية؛ بل ستدور بين قطبين لا ثالث لهما مختلفين كل الاختلاف فى الاهداف والعقائد. أما القطب الاول فستشمله قوى الكفر والضلال فى العالم مجتمعه تحت زعامة طاغوت جبار تم الرمز إليه فى هذه الرؤيا بـ "الوحش" وسيكون إلى جانبه شخصية متلبسة بلباس الدين وهى كاذبة، ولذا تم التعبير عنها فى هذه الرؤيا بـ "النبى الكذاب". وأما القطب الآخر فى هذه المعركة فسيتشكل من القوى المؤمنة بالله تعالى والمخلصة له، يقودها ولي الله فى أرضه الذى هياه للقيام بمهمة القضاء على قوى الكفر والضلال فى العالم، ونشر راية التوحيد والعدل فى أرض الله، وهذا هو التبشير الإلهى بانتظار الفرج والدعاء إليه بتعجيله بعد ان عم البلاء وزاد الشقاء.

وربما يقول قائل كيف يكون المهدي قادراً على نشر العدل في الأرض، ولم يستطع الرسول نفسه من نشر التوحيد في العالم، وهو سؤال دائماً ما يواجهه المؤمنون بعودة القائم، والرد عليه أن من ضمن معجزات الرسول الأعظم هو موجود المهدي من أمته ومن نسله، لأن رسالة السماء ختمت لأهل الأرض، ولا بد من وجود محاولات صادقة لتمييز هذا الدين وثورته، مع التأكيد على أن المسلمين رغم ابتعادهم عن منهج النبوة وفساد ملوكهم وأخلاقهم ظلوا دوماً أكثر الأمم بعداً من تجسيد الإله، أو تصويره أو تخيله، فهو ليس كمثلته شيء، وهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد والذي لم يكن له ولي من الذل، ظل المسلمون حتى اليوم رغم ضعفهم وتشتتهم وفسادهم يعدون أتقى البشر في توحيد الله، وهذا من ضمن أسباب هجوم الغرب عليه بفكره المسيحي / الصهيوني، وعلينا القول إن الشعوب الغربية فيها من المخلصين للعدالة والحرية وكرامة الانسان، ومن يرفضون الاستعباد والاستكبار، ولكن صانعي القرارات لديهم هم الذين يقبلون عامة الشعوب ليعطوهم أصواتهم، وصانعو هذه القرارات يأتون من العقيدة الأصولية التي تتخذ من منهج احتكار الحق وفرض الاستلاب سياسة دائمة لا تنفك تعمل على توسيع مجابهاتها مع دول العالم.

إن انتظار المهدي لا يعنى الاستسلام، بل هو انتظار ثوري يأبى إلا أن يكون ميراثاً ممتداً لخاتم الأنبياء ومكمل فكر التوحيد الإلهي، إن وجود المهدي يعتبر ضمن دلائل استمرار الرسالة وديمومة بذور ثورتها المتجددة ثورة الانتظار.. انتظار المستقبل.

وصدق الله العظيم:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمَ الْعُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي
الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾^١.

المحور الرابع: فلسفة الغيبة ولطف الخفاء

كما رأينا تؤكد من جديد على أن فكرة ظهور المنقذ العظيم الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان، ويقضى على الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم، ويحقق العدل والمساواة في دولته، هي فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة، واعتنقها معظم الشعوب.

فقد آمن اليهود بها، كما آمن النصارى بعودة عيسى عليه السلام، وإلى جانب هذا نجد التصريح من عباقرة الغرب وفلاسفته، بأن العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور، ويوحد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد. فمن أولئك العباقرة هو الفيلسوف الإنجليزي (برتراند راسل)، حيث يقول: إن العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد. ومنهم العالم (ألبرت آينشتاين)، حيث يقول:

إن اليوم الذي يَسُودُ العالم كله الصلح والصفاء، ويكون الناس
مُتَحَابِّينَ مُتَأَخِّرِينَ ليس ببعيد.

والأكثر من هذا كله هو ما جاء به الفيلسوف الإنجليزي (برناردشو)، حيث بشر بمجيء المصلح في كتابه (الإنسان والسوبرمان).

أما عن المسلمين، فهم على اختلاف مذاهبهم وفرقهم يعتقدون بظهور الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان على طبق ما بشر به النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر، ولا فرقة دون أخرى. وما أكثر المصرحين من علماء العامة ابتداءً من القرن الثالث الهجري وإلى اليوم بأن فكرة الظهور محل اتفاقهم، وبأن عقيدتهم أجمع.

ويقول ابن خلدون في تاريخه معبراً عن عقيدة المسلمين بظهور الإمام المهدي عليه السلام: «إعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت عليهم السلام، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولى على الممالك الإسلامية، ويسمى به (المهدي). وقد وافقه على ذلك الأستاذ أحمد أمين على الرغم مما عُرف عنهما من تطرف إزاء هذه العقيدة - إذ قال في كتابه (المهدي والمهدوية) معبراً عن رأي العامة بها: فأما أهل السنة فقد آمنوا بها أيضاً.

ثم ذكر نصاً ما ذكره ابن خلدون، ثم قال: وقد أحصى ابن حجر الأحاديث المروية في المهدي عليه السلام، فوجدتها نحو الخمسين.

فإذن لا فرق بين الشيعة والعامة من حيث الإيمان بظهور المنقذ، ما دام العامة قد وجدوا خمسين حديثاً من طرقهم، وعدّوا المهدي عليه السلام من أسرار الساعة، وأنهم ألّفوا في الردّ أو القول بالتواتر كتباً ورسائل.

بل لا فرق بين جميع المسلمين وبين غيرهم من أهل الأديان والشعوب الأخرى من حيث الإيمان بأصل الفكرة، وإن اختلفوا في مصداقها.

وقد اتفق المسلمون على أن اسمه (مُحَمَّد) كاسم النبي الأكرم ﷺ، ولقبه عندهم هو (المهدي).

إن الحديث عن ظهور الإمام المهدي عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف يتطلب الحديث عن الغيبة الكبرى، فالحقيقة المؤكدة أن الغيبة حدثت منذ عام ٢٦٠ من الهجرة الشريفة، وأن بشارات النبي بظهور القائم متواترة في الكتب السابقة وأنهم إثنا عشر إماما معصوما، وفي السيرة النبوية الشريفة والأحاديث التي وردت عن الرسول الأعظم ﷺ أكدت أن الأئمة اثنا عشر أولهم الإمام علي وأخراهم المهدي سلام الله عليهم جميعاً.

محاولات التشويش على حقيقة مهدي الأمة

اعتقد كل المسلمين بوجود المهدي وبولادته الميمونة عام ٢٥٥ من هجرة الرسول الأعظم ﷺ، واستبشروا به وعلموا أن فجرا جديدا سيشرق عليهم وينقذهم من التسلط والهيمنة وتحريف معالم دين الله، ولكن ذلك لم يرق للخلفاء الذين خافوا على خلافتهم المغصوبة من الأئمة الرساليين.

ثم حاول فراعنة الأمة إخفاء حقيقة المهدي ﷺ وإخفاء ظهوره الشريف لصرف الناس عنه والاستمرار في استبدادهم على الأمة وهي محاربة الظلم والاستعلاء والاستكبار، ولكن نظراً لشيوع غيبته وحرص المسلمين على ترقب الظهور في الأزمنة المختلفة قام الخلفاء بالتشويش على عقائد المسلمين ومن ثم التشويش على حقيقة المهدي الموعود بالظهور، واتخذ التشويش طريقين:

١. مجموعة سيرة المهدي ﷺ - مركز نبيت لعالمي للمعلومات - من شبكة أدوية للمعلومات.

١. استبدال كلمة الأئمة في الأحاديث المتواترة عن النبي الأعظم بكلمة الخلفاء لأن الخليفة في القرآن الكريم والحديث الشريف ليست اسما للذي يحكم باسم النيابة عن رسول الله ﷺ لأن الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة من يقوم مقام الغير ويسد مسده، وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح﴾^٢

وفي حديث الرسول «اللهم ارحم خلفائي... الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي» إذا فلفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحا شرعيا،^٣ وقد قيد الأمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وحددها بأنه «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فالإمام من يأتى الناس به، قد يكون أماماً للحق أو إماماً للضلال والظلم، وفي حالة إمامه الحق: الأمانة جعل الله وعهد لا يناله من اتصف بالظلم سواء أكان ظالماً لنفسه أو لغيره، وبذلك أصبح الإمام مصطلحا شرعيا وتسمية إسلامية.^٤

٢. إن ما توافر في أحاديث الرسول عن الأئمة من قريش وأنهم اثنا عشر خليفة جاءت في الأصل أئمة، ولكن مدرسة الخلفاء استبدلوا الخلفاء بالأئمة لكي ينصرف جمهور المسلمين على أنهم الخلفاء من قريش وأنهم اثنا عشر خليفة، وهذا يرمى إلى شقين:

١. مرتضى العسكري، معالم المدرستين، خلاصة الأجزاء الثلاثة إعداد السيد سليم الحسنى،

دارالبيان للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص ١١٦.

٢. سورة الأعراف / ٦٩.

٣. معالم المدرستين، مصدر سابق، ص ١١٧.

٤. نفسه.

الأول: جعل الخلافة اسماً شرعياً ومصطلحاً إسلامياً يشمل كل قبائل قريش وأن تنسحب الخلافة على الخلفاء الراشدين الأربعة ومن جاء بعدهم من خلفاء الأمويين الذين حرفوا دين الله .

الثاني: أن يقع المسلمون في حيرة ولا يعرفون أو يدركون من هم الإثنا عشر إماماً، ونورد هنا بعض هذه الأحاديث التي احتار فيها علماء العامة: روى مسلم عن جابر أن سمع النبي يقول:

لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش.^١

وفى رواية:

لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها ظاهرة علي عدوها حتى يمض منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم يكون المرح والمرج^٢ يكون لهذه الأمة اثنا عشر قياً لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش^٣؛

يكون بعدى من الخلفاء عدة أصحاب موسى^٤؛

روى الإمام أحمد في سنده عن مسروق^٥ كنا جلوس ليلة عند عبد الله بن مسعود يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتهم رسول

١. صحيح مسلم ١٢/٢٠٢.

٢. تاريخ ابن كثير، ٦/٢٤٩، تاريخ الخلفاء لسيرضي، ١٠ وغيرهم.

٣. كنز العمال، ١٣/٢٧.

٤. تاريخ ابن كثير، ٦/٢٤٨.

الله ﷺ كم يملك هذه الأمة خليفة، فقال عبد الله: ما سألتني أحد عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألتناه فقال اثنا عشر عدة نقباء بنى إسرائيل".^١

وغيرها من الأحاديث التي وردت عن عدة الأئمة، ولكن حرفت كلمة الأئمة إلى كلمة الخلفاء ليس على لسان الرواة كعبد الله بن مسعود، ولكن من عند الرواة خاصة وأن تدوين السنة كان في العصر العباسي الذي كان يقتل أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم خلف كل حجر ومدركا فعل هارون الرشيد مع الأمام الكاظم وما فعله المتوكل عندما نبش قبر الإمام الحسين عليه السلام، وما فعله الوهابيون القدامى مع القبر المقدس في كربلاء ولازال الوهابيون المحدثون يقومون بنفس الفعل الإجرامي عندما فجروا قبة سامراء عام ٢٠٠٦. إن رواية الأحاديث عن أن عدد الأئمة (وليس الخلفاء) اثنا عشر سيجعل المسلمين يفهمون أن المقصود هم الأئمة ومن أهل البيت ومن ذرية الإمام الحسين عليه السلام على وجه التحديد، ولكن روت الأحاديث كالتالي:

وضع كلمة الخلفاء بدلا من كلمة الأئمة الأمر الذي يجعل المسلمين يضعون اثنا عشر خليفة بالترتيب بعددهم أولهم أبو بكر وآخرهم أبو العباس السفاح كما ذهب محي الدين بن العربي^٢

وهذا يعنى أن معاوية ويزيد بن معاوية ومروان بن محمد وأول الخلفاء العباسيين السفاح ممن يستقيم معهم الدين وأن الأمة ظاهر

١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٩٨/١.

٢. شرح ابن العربي على سنن الترمذي، ٦٨/٩.

على عدوها خلال حكمهم أو خلافتهم، وهذا فاسد المعنى والواقع لأن ما حدث خلال الفترة الأموية يؤكد أن محاولة تحريف الدين كانت على قدم وساق ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإمامة علي زين العابدين ثم الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام لاندثرت كل معالم ومن الإسلام وانطمس كل فقهه.

كما شملت حيره علماء العامة الإمام السيوطي الذي رفض فكرة تسوالي الخلفاء كما ذهب ابن العربي، فقال السيوطي:

وقد وجد من الإثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز في الأمويين والظاهر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت.^١

وهذا ما ذهب إليه معظم علماء العامة من المسلمين حيث لم يتفقوا على رأى في تفسير الأحاديث التي تقول بأن الخلفاء اثنا عشر خليفة، ثم إنهم أهملوا إيراد الروايات التي ذكر الرسول فيها أسماء الاثني عشر لأنها تخالف سياسية الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون لأنه ذكرهم يعرف الناس عنهم وعن ظلمهم واستبدادهم، كما أن ذكرهم يحصر الإمامة في نسل الرسول ويصرفها عن سائر قريش كما ذهب الروايات التي قالت بأنهم جميعاً من قريش دون تحديد.^٢

١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ١٢.

٢. معالم المدرستين، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

الطريق الثاني

عندما ذكرت الأحاديث عن علماء العامة على ظهور المهدي عجل الله فرجه جاءت كذلك مشوشة لأفكار وآراء تؤكد على أنه محمد بن الحسن العسكري، ولكنها ذهبت طرقاً شتى لأفكار تظهر حقيقة الموعود بالظهور، نذكر بعضها لتؤكد صدق ما نذهب إليه:

أ- " لا تذهب الدنيا في يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي " ^١

في هذا الحديث تشويش فهو لا يذكر المهدي إلا أنه رجل يملك العرب وليس كل المسلمين وكل ما ذهب إليه أن اسمه محمد على اسم النبي صلى الله عليه وآله

ب- " لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً " ^٢

وهذا الحديث أقرب لحقيقة المهدي إلا إنه لم يذكره بالاسم ولا أنه يختفي غيبة كبرى يراقب فيها أحداث العالم الدامي وصراعات الحق مع الباطل، وانتصار الباطل في معظم المعارك .

ج - " المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليله " ^٣

١. سنن الترمذي ٧٤٩ - ورواه أبو داود في صحيحه والخضيب البغدادي والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٦.

٢. الحاكم - مستدرک الصحيحين - ٥٥٧٤ - سند الإمام أحمد ٣٦٣ - السيوطي في الدر المنثور ٥٨٦.

٣. مسند الإمام أحمد - ١٤١ - أبو نعيم في حلية الأولياء ١٧٧٣ - السيوطي في الدر المنثور ٥٨٦.

وهذا الحديث يعطى انطبعا أن المهدي كان ضالاً أو تائها عن الحق أو منصرفاً عن الدعوة ثم يصلحه الله في ليلة، أي أنه ينفي العصمة عنه ويوقع الخطأ والزلل في صفة الموعود بالظهور.

د - " المهدي من عترتي من ولد فاطمة "، و" المهدي منا من ولد فاطمة "¹

هـ - " يولد منهما - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - مهدي هذه الأمة "، و" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من ولدي هذا وضرب علي الحسين عليه السلام "²

وهذه الأحاديث تقترب من حقيقة قائم آخر الزمان، وحدده بأنه من ولد فاطمة أي من عترته المطهرة وأنه يولد من الحسن أو الحسين وفقى حديث آخر يحدده بأنه من الحسين عليه السلام رغم أنه في الأحاديث السابقة وغيرها تأكيد على أن المهدي اسمه محمد علي اسم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأنه من ولد الحسين في إحدى الروايات وأنه من ولد فاطمة وأنه أيضاً قد يصلحه في ليله، وفي رواية أخرى أنه يملأ الأرض بعد أن ملئت جوراً، هذه الروايات تبدو متعارضة ومتضاربة والهدف من هذا التعارض والتضاد هو التشويش على حقيقة القائم واسمه الذي قاله الرسول الكريم كما ورد صريحاً في روايات أهل البيت والذي حدده الإمام علي عليه السلام في قوله:

١. الحاكم - المستدرک - ٥٥٧:٤. سنن أبي داود - ١٤٢:٧.

٢. ذخائر العقبى عن أبي أيوب الأنصاري - ص ١٣٦.

أن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من بنى هاشم لا تصلح
على سواهم ولا يصلح الولاية من غيرهم.^١

ونلاحظ أن الإمام علي عليه السلام قال الأئمة من قريش ولم يقل الخلفاء
من قريش، ثم إنه حصرهم في بنى هاشم ثم في ذريته من الزهراء البتول
عليها السلام أي ليس بنو هاشم على إطلاقهم، لذلك قال أيضا:
اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا
مغمورا لتلا تبطل حجج الله وبيانه.....^٢

وهذا يؤكد حقيقة المهدي الموعود بالظهور، وأن الحكام حاولوا إخفاء
معاله ظهوره الشريف، فاعتقد العوام بأن المهدي سيولد في آخر الزمان،
وأن لم يولد في وقته بسبب ذلك التعتيم الإعلامي والنفساني الدائم والمستمر،
وبالعموم هذا يؤكد حقيقة المهدي وحتمية ظهوره واقامته للعدل في الأرض
بعد أن يعيد الدين الإسلامي إلى قواعده التي جاء بها الرسول الأعظم،
وحافظ عليها الأئمة الأحد عشر من الإندثار، ولكن ظل معظم المسلمين لا
يعون ذلك.

المؤكد أن الموعود بالظهور ظهر في العقول واعتقد به العامة في الأحاديث
التي ذكرناها بالإضافة إلى روايات أخرى من أهل البيت حددتهم بالاسم
أوصياء أئمة للنبي من بعده الإمام علي - الإمام الحسين - الإمام الحسن -

١. الإمام علي - نهج البلاغة - خطبة رقم ١٤٢.

٢. الشيخ سيدهان الحنفي - بيع المودة - ص ٥٢٣، أبو نعيم في الحلية ١، ١٠١، وحياء غنوه الدين
أبي حمزة غزالي ١، ٥٤١.

الإمام زين العابدين السجاد - الإمام محمد الباقر - الإمام جعفر الصادق -
الإمام موسى الكاظم - الإمام علي رضا - الإمام محمد الجواد - الإمام علي
الهادي - الإمام الحسن العسكري - محمد بن الحسن (المهدي) - الحجة
المنتظر) وقد وردت روايات كثيرة تؤكد ذكرهم رواها الأئمة عن الإمام
علي عليه السلام عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن الله تعالى أي أنها منصب إلهي وضرورة
لازمة للدين والدنيا معا.

وعندما وجد الحكام والسلاطين وفقاؤهم أن المسلمين عرفوا بولادة
المهدي وبصدق الأحاديث الواردة عن الرسول الأعظم والأئمة قاموا
بالتشكيك في سفراته أو نوابه الأربعة: عثمان بن سعيد بن عمرو العُمري
الأسدي، المُكنى بأبي عمرو السَّمان ومحمد بن عثمان بن سعيد العُمري
الأسدي، المُكنى بأبي جعفر العسكري والحسين بن روح النوبختي، و يُكنى
بأبي القاسم، و يُلقَّب بالبغدادي وعلي بن محمد السَّمري، المُكنى بأبي
الحسن، وعندما فشلوا في ذلك قاموا بالتشكيك في صدقهم مستغلين
الملايسات المحيطة بمولد الحجة بن العسكري عليه السلام والغموض الذي اكتنف
ميلاده وغيبته الصغرى ثم الكبرى، ثم ان أفتعلوا المزيد من الروايات التي
حاولت الاختلاف في نسبه الشريف أو تغيير هويته مثل أنه من ولد الإمام
الحسن عليه السلام، أو مثل ما جاء أن النبي قال: المهدي من ولد العباسي عمي^٢ أو

١. الشيخ كاظم جعفر المصباح - الامام المهدي ومفهوم الانتظار - دار البصائر للطباعة والنشر -

طهران - ٢٠٠٢ - ص ١٣١.

٢. الحاوي للفتاوى - ٢ - ١٦٥.

مثل حديث: - " لا مهدي الا عيسى بن مريم " ^١ وتلك وغيرها مما جاء بالبحث نماذج لما إختلفه وعاظ السلاطين بهدف محو آثار المهدي ونفى غيبته المقدسة ونسف قضية المهدوية من جذورها ونفى وجود المهدي في الوقت الحاضر، ولا زال وعاظ السلاطين يبذلون جهودهم الحثيثة بهدف أمتناع المسلمين عامه والشيعة بوجه الخصوص بعدم وجود المهدي، وأن هذه الفكرة مجرد نسج من الخيال لا واقع ولا حقيقة موضوعيه لها على وجه التعيين، وأن المهدي لا يمتاز بخصائص ومقومات واقعة تميزه عن غيره. ^٢

واستغلوا كثرة مدعى المهدوية لالقاء ظلال الشك على وجوده المقدس، ولا بد أن نقول: إن صحة خلافة الخلفاء أمويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم من الخلفاء وما تبعهم من الأمراء والولاة والقضاة وأئمة الجمعة والجماعات في البلاد الاسلامية زهاء أربعة عشر قرنا كانت متوقفة على كتمان ما جاء في إمامه الإمام علي والأئمة من ولده ^٣ وأمتد الجهل والكتمان إلى آخر الأئمة الذي لا بد أن ظهوره سيقضى على الحكام والملوك والرؤساء الظالمين الذين يحكمون بإسماء الطواغيت ويتحاكمون اليها، إضافة إلى الإيمان بالظهور سيقضى على مستقبل هؤلاء، لذا دوما يفسرون الآيات القرآنية التي تؤكد الانتظار وحقيقته على أنه إنتظار يوم القيامة كما رأينا في هذا البحث.

وهنا يبدو التساؤل منطقيا: ماذا عن أدعاء المهدوية في التاريخ الإسلامي والذي جعل البعض يقول بعدم ظهور المهدي لأنه غير موجود حتى

١. إبراز الوهم الكنونة - ٥٨٤.

٢. الإمام المهدي ومفهوم الانتظار - مصدر سابق - ص ١٣٥.

٣. معالم المدرستين - مصدر سابق - ببعض تصرف - ص ٢٤٣.

وصل الأمر بأن ألف أحدهم كتاب "لا مهدي ينتظر" الذي فند كل الأحاديث المروية عن الإمام أو ظهوره المشهورة في روايات العامة وخلص فيها بأنه لا وجود لشخص يظهر يملأ الأرض عدلاً، وقد وقع الشيخ في إضطرابات الاحاديث التي سقناها، أي أنه وقع تحت تأثير التشويش المقصود من سياسة الخلفاء عندما رووا عن الخلفاء الاثنا عشر وليس الأئمة الاثنا عشر.

إن ظهور مدعى المهديّة دليل على حقيقة الظهور وحتمية نشر العدل مثل محمد عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي الهرعي ومحمد بن علي بن الشيخ السنوسي والمهدي السوداني والغلام القادياني والمرزة علي محمد مؤسس الباييه وغيرهم كثير^{٢٠}.

إن إدعاء المهديّة ليس دليل على عدم وجود المهدي لأن الانكار حيله العاجز، لقد شاعت فكرة الظهور حتى قال ابن خلدون في مقدمة "بأن من المشهورين عند العامة على مر الأعصار أنه لا بد من آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى المهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أسراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل

١. هو الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية في قطر سابقاً - لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر - طبعة قطر - ١٩٨٠، وفي هذا الكتاب أثر واضح بكل ما في مدرسة الخلفاء من تسلط وإبهام وغموض وتشويش.

٢. مدرسة الإمام الصادق فكر متجدد - منشورات مؤسسة الإمام الخولي الخيرية - لندن - ٢٠٠٠ - ص ١٢٥.

الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتى المهدي في صلاته " وهو ما أوردناه آنفاً .

ورغم أن ابن خلدون يعود فيشكك في وجود المهدي سواء الغائب كما ذكر أهل البيت أو ما قالت به روايات أهل السنه من أنه سيولد في آخر الزمان، إلا أن شيوع فكرة المهدوية تؤكد على حتميتها وأن الظهور حقيقى من الغيبة، كما أن كثرة مدعى المهدوية دليل على صدقها لأنه لولاها لما اشرايت أعناق الذين حاولوا تخلص قومهم من الظلم مثلما حاول محمد أحمد المهدي السودانى ضد الظلم البريطانى وما قام به غيره ضد الظلم، المهم هنا أن كلا منهم كان يريد أن يلتفت الناس من حوله ولم يجد صيغة مثلى من إدعاء المهدوية التى يؤمن بها المسلمون، رغم أن إدعاءه ينكشف فيؤمن الناس بأنه ليس المهدي الحقيقى، وبالتالي فإن المهدي الحق مازال ظهوره فى علم الغيب لا كما ذهب مدعو المهدوية عبر التاريخ.

فلسفة الغيبة

إن فلسفة الغيبة تاتى من حقيقة أن الظلم الانسانى المنتشر يحتاج لمراقب يأذن الله تعالى يراقب الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعقائدهم ومذاهبهم فيحتوى كل ذلك فى ذهنه وضميره حتى يأذن الله له بالظهور فتكون خلفيته الذهنية والدينية منصهرة فيكشف مواطن الضعف فى الأعداء

١. مقدمة ابن خلدون - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٠ - ص ١٤١ - وقد ذكرنا ما قاله ابن خلدون من قبل لأن الذين ينكرون المهدي - يستدلون بابن خلدون - لذا ركزنا عليه أكثر من غيره.

وأماكن تخزين السلاح والوثائق السرية التي يملكها من يسمون أنفسهم النورانيين وهم من اليهود الذين شكلوا المحافظ الماسونية، وهم الذين أجسوا الصراعات العرقية والطائفية في العالم.

إن غيبة المهدي عليه السلام تجعله يراقب من بعيد تحريف السنة النبوية الشريفة لكي تتواءم مع رغبات الحكام الظالمين فيكون على بينة من أمره، فيظهر ومعه الدليل على انحراف المسلمين عن أمر دينهم وموالاه أعدائهم، معه الدليل على أن من ادعوا أنهم علماء الأمة أفتوا للسلطين بما يوافق أهواءهم، سيكون معه مجموع الفتاوى التي صدرت طوال التاريخ الإسلامي، تلك الفتاوى المزيفة التي راجت، طوال التاريخ فيحاسب أصحابها.

إن ظهور المهدي من الكعبة الشريفة وإيمان عدد من المسلمين عددهم مثل عدد المسلمين في معركة بدر الكبرى يأتي من كون المسلمون الأوائل الذين حاربوا مع الرسول المشركين في بدر لهم دين في أعناق كل المسلمين اللاحقين في عصر الظهور، فعدد المؤمنين الأولين بالمهدي ليس عبثاً، كما أن بدر لم تكن عبثاً فلولاها ولولا المحاربين فيها لضاع الدين ولقمعت دولة المدينة المنورة النواة الأولى التي أسسها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لتكون النور الذي يشرف على العالمين منها.

إن ظهور المهدي عليه السلام دليل صدق على رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يأتي من عترته يؤيد الدين وينصر الإنسانية على أهوائها وظلمها، كما أن العقل لا يأبأها، وظهور المهدي لا بد أن يربك حسابات الذين استمرأوا الاستبداد وموالاة الأعداء فيحاربوه تحت راية السفيناني الذي يستنجد بالقوى

الاستكبارية فتدور معركة هائلة بين الحق (المهدي وإتباعه) والباطل يجتمع تحت رايته الحكام الظلمة واليهود النورانيون والاستكبار العالمي، ينتصر الحق بعد عودة المسيح ﷺ فينتشر العدل وتسود الأريحية لتكون ختام المسك للإنسانية المعذبة وكرامة الإنسان المهذرة لأن من الأعمال المشتركة في تحرك الأمة هو إجماعهم على التبشير بيوم ظهور مهدي آل محمد الذي يسود به الإسلام على كل بقاع الأرض ويقام به حكم الإسلام العادل فتسعد به الأمم ولا يظل للظلم أثر، ذلك اليوم الذي ينتقم به لكل المظلومين في التاريخ من ظالمهم.

وللائمة أحاديث طويلة تذكر الإمام القائم ودولته جاءت في كتب الحديث منها حديث عن الإمام الصادق عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل.

قلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم

قالت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة من ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لما آتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وأقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما، يا بن الفضل إن هذا الأمر أمر

من الله، وسر من سر الله وغيب من غيب الله ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وأن كان وجهها غير منكشف^١.

المحور الرابع: الانتظار الثورى

إن إنتظار المهدي عليه السلام هو شأن مستقبلي خالص، كما لا يغرب عن البال أن الانتظار في حد ذاته هو ترقب، والترقب يستلزم الاستعداد الايجابي الثورى وليس الانتظار السلبي بأية حال من الأحوال كما يذهب البعض بسبب الضربات الدموية الموجهة التي تلقاها شيعة أهل البيت طوال تاريخهم الدامى^٢، والحقيقة أن إنتظار القائم لا بد وأن يكون إنتظار ثوريا بكل ما فى الكلمة من ثورية، لأنه من غير المنطقي أن يظهر ويجد الأمة غير مستعدة للجهاد معه ضد كل طواغيت العالم ويجب التأمل فى أنه سيملاً الأرض عدلا وليس مدينة أو دولة، فالجهاد عند الظهور جهاد كوني^٣ والقائم عندما يظهر لا بد وأن يجد جماعة مستعدة له، وقيادة أمينة تمهد الطريق لظهوره الشريف أو كما قال الشهيد محمد باقر الصدر " لا يكون الفرد على مستوى الانتظار المطلوب الا بتوافر عناصر ثلاثة مقترنه: عقائدية ونفسية وسلوكية، ولولاها لا يبقى للانتظار أى معنى إيماني صحيح سوى التعسف المبني على منطق القائل: إذهب أنت وريك فقاتلا انا ههنا قاعدون... إن الجانب السلوكي للانتظار يتمثل بالالتزام الكامل بتطبيق

١. النعمانيه الغيبة - ص ٢٠٠ نقلا عن الإمام المهدي ومفهوم الانتظار - مصدر سابق - ص ١٥٤.

٢. نفسه.

٣. نفسه.

الاحكام الإلهية السارية في كل عصر على سائر علاقات الفرد وأفعاله وأقواله حتى يكون متبعاً للحق الكامل والهدى الصحيح فيكتسب الارادة القوية والاخلاص الحقيقي الذي يؤهله للتشرف بتحمل طرف من مسؤوليات اليوم الموعود^١

وأى حديث عن إنتظار سلبى حتى تمتلأ الأرض بالفساد لكى يكون الظهور حتمياً هو حديث يكشف عن حال الأمة المهترئ الذى تغلغل فيه هذا الفكر العبثى^٢.

إن الانتظار الثورى ما جاء على لسان الإمام الصادق فى وصف أصحاب المنتظر: " حيث قال: " ... من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة^٣ وقال أيضاً: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو فى القسطا الذى للقائم^٤.

١. الشهيد محمد باقر الصدر- الغيبة الكبرى - ط بغداد ١٩٧٢ - ص ٥٧.

٢. مثل شيخ كبير وعالم من العلماء بدأ منذ تصاعد المد الثورى لفكر أهل البيت -ع- أن يحذر من الذى أسماه بالتبشير بالشيع فى بلدان سنية خالصة، فكشف عن طائفة. لأن الوهابيين هم الذين يبشرون فى دول العالم بأسماء السخى. وليته كان تبشيراً بالسلام الصافى. ولكنهم يبشرون بالإسلام العنيف التكفيرى الذى يقتل الغير باسم الإسلام والإسلام ورسوله منهم براء، وتلك الملاحظة لتدليل فقط على مدى الانتظار الثورى الإيجابى الذى يجب أن يتحلى به المنتظرون بصفة عامة.

٣. النعمانى - الغيبة - ص ٢٠٠ نقلاً عن الإمام المهدي ومفهوم الانتظار - مصدر سابق - ص ١٥٤.

٤. نفسه.

وعن الصادق أيضاً: "ليعدن أحدكم لخروج القائم ولو سهما فإن الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسى في عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه وأنصاره"^١

وغيرها من الأحاديث التي تؤكد على ضرورة الاستعداد لظهور القائم، فكما تحتاج الأمة للقائد المخلص المنتظر، فالمنتظر يحتاج أيضاً لاتباع ينتظروه بالاستعداد الثوري والفكري والعقائدي والسلوكي، لأنه بمجرد الظهور تبدأ المجاهبات ضد قوى الاستكبار من السلاطين المحليين والعالميين فلا وقت لتربية الإتياع، الجماعة المنتظرة المستعدة يجب أن تأخذ على عاتقها التبشير بظهوره ثم الاستعداد بجمع شمل الأمة بالتقريب فيما بينهم لأن المسلمين على إخلاف مذاهبهم تريد أن ترى الأمة متوحدة وأن تجابه الصهيونية العالمية وأن تنتصر عليهم، والفرحة الغامرة التي انتابت كل المسلمين عندما أنتصر حزب الله على إسرائيل يؤكد هذا المعنى مع العلم أن حزب الله حارب كل دول العالم تقريباً حارب الصهيونية الأمريكية وحارب الغرب الصليبي وحارب الحكام المحليين الذين وصفوا صراعه على الصهيونية بأنها مغامرة غير محسوبة بحيث يصدق القول إن الاستعداد للظهور يكون بخير وسيلة، استعداد إيماني وعقائدي وسلوكي وعسكري محسوب بدقه، وهو انتظار ثوري بكل المقاييس، وهذا ما أكده الشهيد محمد باقر الصدر بقوله: "شرائط اليوم الموعود أن تكون الأمة ساعة الظهور على مستوى عال من الشعور بالمسئولية الإسلامية، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عز وجل،

أو على الأقل أن يكون معه العدد الكافي ممن يحمل هذا الشعور ليكون الجندى الصالح الذي يضرب بين يدي المهدي عليه السلام ضد الكفر والانحرف، ويبنى بساعده المفتول الغد الاسلامي المشرق ويكون الجيش المكون من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الواعي الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^١ فالشعور بالمسئولية الإسلامية موجود في الضمير الإسلامي، ضمير المسلم باختلاف مذاهبه ويحتاج فقط النموذج المسئول الذي يقوده لأكبر وحدة بين أكبر عدد من المسلمين، وطبعاً هذا يحتاج إلى فكر ثوري يتخطى المذهبية الضيقة التي يحاول كثيرون من علماء المسلمين أن يكرسوها إما بسبب جهلهم بالانتظار الثوري أو بفكره الانتظار على إطلاقها وإما سبب خوفهم على منافع دنيوية زائلة كما يحدث كثيراً في ديار المسلمين، وإما بسبب الوقوع تحت وطأة الفكر التكفيري الذي يقتل الآخر المسلم لا لشيء إلا لأنه مخالف له في الفكر والسلوك علماً بأن فقهاء الفكر التكفيري هم فلاسفة الطاعة للحاكم حتى لو كان ظالماً فاسداً سفاكاً للدماء وهم الذين يدافعون عن الحديث المنسوب ظلاماً لرسول الله ﷺ "أطع الحاكم ولو ضرب ظهره وأخذ مالك"^٢ ويتهمون من ينكره بالكفر ويستحلون دمه، ثم يتحالف ساستهم مع الصهيونية / الأمريكية ضد الأمة ويكرسون الفزع من التمدد الثوري لمذهب أهل البيت عليهم السلام ويصفون أتباع القائم عليه بالرافضة، ويزعمون أنهم يحرفون القرآن الكريم وغيرها من

١. مفهوم الانتظار - مصدر سابق ص ٢٧٢.

٢. صحيح البخاري.

الأقوال المناقفة، وهو خوف تاريخي من فكر أهل البيت الثوري، ذلك الخوف الذي مثله خلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن بعدهم الملوك والرؤساء والولاة ومن والاهم من الفقهاء والعلماء الذين يبررون لهم كل نقيصه.

إن الانتظار الثوري هو الذي يتصدى إعلاميا وفكريا لهذا الفكر المنافق، إنتظار ثوري يؤلف القلوب حول الهدف الإسلامي الأعلى وهو إقامة العدل بميزان القسط، وهو كما وصفه الشهيد الصدر " ولا يخفى ما في الانتظار المنسجم مع المبادئ الإسلامية العليا عن الأثر الإيجابي على نفس المؤمن وسلوكه إذا تصورنا ما في اليأس والقنوط من أثر سلبي عليه في إضعاف معنوياته وكبح جماحه والكف عن نشاطه إذا لم يكن لنشاطه أمل يرتجى أو نتيجة تقصد، على حين أن هذا الانتظار أو الأمل يعطيه الدفع الثوري الكافي إيماناً وسلوكاً لكي ينخرط الفرد في سلك الأنبياء والشهداء والصالحين ويشارك بمقدار جهده بتمهيد المقدمات ليوم الله الموعود"^١.

لقد إشتملت نظرية الانتظار الإيجابي على خمس ركائز أساسية مستنبطة من النصوص القرآنية والروائية ومنسجمة مع الغاية الجوهرية من بعثه الأنبياء والرسل، بل مجسدة لأسمى هدف من أهدافها وهو الكفر بعباده الأوثان الحجرية والبشرية المتجسدة بالطاغوت بكل أشكاله، وحكومات الجور والضلال والإيمان بعبادة الله الواحد القهار:

١. الغيبة الكبرى مصدر سابق - ص ٢١٨.

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»^١.

وهذه الركائز هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد دفاعاً عن الإسلام وصيانه أحكامه من التحريف والتسويق، والصبر على ما يفرزه الجهاد من المشاق، ثم ممارسة التقية بشكل صحيح بهدف مواصلة الجهاد حتى في أشد الظروف خوفاً وإرهاباً لكي تتمهد الأرضية الصالحة لاجتداد حكومة اسلامية تمهد السبيل لظهور القائم^٢.

وهي أمور حتمية للتمهيد للظهور، لأن القائم سيعمل على رد الانحراف البشري عن رسالات السماء وإعادة القيم الرسالية إلى أصولها وذلك في نفس الوقت الذي يجاهد فيه الاستكبار المحلي الذي سيدعى عليه أنه ليس المهدي الموعود ثم يسارعون بالتحالف مع قوى الاستكبار العالمي، الأمر سيكون شديداً على الاتباع المخلصين ولا بد لهم من تربيته سابقة عملية على الظهور والنموذج المهدوي حتماً سيزيد من الأتباع المخلصين من أبناء المسلمين الذين سيعلمون جيداً أنهم عاشوا في غيبوبة فكرية وعقائدية، كما أن من أتباعه مسيحيون يعلمون صدق الدعوة خصوصاً عندما ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ليعضد دعوة المهدي مشاركاً في الجهاد ضد الصهيونية والاستكبار، ووجود المسيح سيقوض الكنائس العالمية التي تحكم بإسم المسيح والتي لو ظهر المسيح للتكريز الحقيقي برسالته الآن لحاولوا صلبه من جديد^٣.

١. سورة النحل ٣٦.

٢. مفهوم الانتظار - مصدر سابق ص ٢٧٥.

٣. من الطوائف النقدية للمسيحية المسرحية الشهيرة للكاتب الفرنسي المبدع الكبير نيكوس كازانتزاسكي (المسيح يصلب من جديد) تؤكد أنه عندما يعود المسيح سيجد أن الإنجيل السدي

الخاتمة. سلام عليه. عليه السلام

كما رأينا بالبحث أن المستقبل البشري مرهون بوجود مخلص رسالي معلوم غير مجهول، فالفرد هو الذي يبدأ التغيير، وهو الملهم والقائد المصلح، وهو الذي يظهر وسط الجماعة الصالحة التي انتظرته انتظارا ثوريا، وأيقنت أن مصير البشرية متوقف عليه، وأن ظهوره مؤكد في كتب السماء الثلاثة، ولأنه حقيقة مؤكدة، عمل المغتصبون لمقدرات البشرية إخفاء حقيقته وكينونته الشريفة فجاهد فقهاؤهم على نشر ما يشوش على ما بشرت به الأنبياء، وما دعا إليه الأوصياء، خاصة وأنه آخر السلسلة الطاهرة في مسيرة الأرض ومن عليها، سيرته هي سيرة القرآن الكريم والسيرة المطهرة اللذين قرنهما الرسول الأعظم ﷺ لقيادة الأمة والبشرية فهم وشيعتهم الوارثون للأرض كما في الحديث الذي يرويه الشيعة والسنة:

إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله
وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.^٢

ركز به والحواريون من بعده لم يعد له وجود بعد أن قلصه الفاتيكان في صلبه وتجسيده و
معه القديس بطرس الذي صلب في الساحة التي كان الرومان يعدونها لمسحيين ياتقائهم
للسبب الجانحة لتأكيدهم، ودفن في نفس المكان الذي صار رمز البابوية وعنوان المسيحية
الكاثوليكية، ولقد قال عنهم الكاتب الفرنسي فونتين: إنهم يعيشون على أنفاس عصر ينبعث من
إناء فارغ!!

١. السيد محمد حسين فضل الله - بحث عن المهدي (ع) منشور في كتاب الحوار الإسلامي
الإسلامي - دار الكلمة بيروت ١٩٩٨.

٢. الحديث مشهور ومتواتر لدى كل المسلمين وخارجه أئمة أهل السنة وكتب الحديث عند أهل
البيت حتى صار من معالم الدين ويتردد في كل كتاب وعنى كل لسان، ومع ذلك يوجد من

وليس المراد بأهل بيته كل من ينتسب إليه بقراءة، ولكن المقصود هم أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين تتابعوا واحداً بعد واحد، وكانوا تحت أعين الناس يرونهم ويتحدثون إليهم ويسمعون أحاديثهم.

إن النبي يقول: "فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"، ومعنى ذلك أنه ما دام كتاب الله يمتد في الزمن، فهناك شخص من أهل بيته يمتد في الزمن. هذا هو الخط العام الذي يؤكد أن هناك من أهل بيت النبي عليه السلام من يمتد في الزمن مع الخط العام، وذلك لأن إنحراف البشرية الذي تحدثنا عنه يؤكد ضرورة أن يصل المعصوم الفرد ومع الكتاب المعصوم من التأويل الفاسد ليصطدم مع كل الزيف الذي تعيش عليه البشرية.

إذا، فإن أساس هذه العقيدة هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وما جاء بعد ذلك عن الأئمة الهداة من أهل بيته عليهم السلام.

وعلينا أن نكون نحن - المسلمين - الذين ينطلقون بالعدل لتكسون كل حركتهم في الحياة حركة عدل، وأن يكونوا العادلين في كلماتهم، وأن يكونوا العادلين في معاملاتهم، وأن يكونوا العادلين في علاقاتهم، وأن يكونوا العادلين في أحكامهم ومواقفهم في حالي الرفض والتأييد، لأنك لا يمكن أن تكون مسلماً إذا لم تكن عادلاً، ولأن الله ربط الإسلام بالعدل.

ولهذا علينا أن نتبنى العدل، وإذا ذكرنا الإمام الحجة عليه السلام على أنه العدل المنتظر، فإن علينا أن نستلهم منه هذا الخط الإسلامي الشامل للعدل، وأن

يؤوله على غير ما قال به رسول الله صلى الله عليه وآله. وذلك من ضمن التشويش الذي تحدثنا عنه في بحث..

نفهم بأن طريقنا هو هذا الطريق، فلا نرضى بظلم ظالم، سواء كان فرداً أو مجتمعاً أو حكماً، بل نعمل لنقف ضد هذا الظالم في خطة حكمه، حتى نستطيع أن ننقذ الناس من هذا الظلم أو ظلم ذاك، حتى ننشر العدل في الكون كله، بأن نكون مع كل الدعوة للعدل حتى لو اختلفنا معهم في الكثير من المواقع، وأن نتعاون مع الذين نختلف معهم في الخط الفكري إذا كنا نلتقي معهم في مرحلة معينة أو في خط معين، في تحرير شعب، وفي إنقاذ أمة، وفي مواجهة ظلم واستكبار.

علينا أن نكون جبهة المستضعفين في الأرض الذين يعملون من أجل إسقاط المستكبرين، لنؤكد وعد الله ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين﴾^١ ونختم هذا البحث بالدعاء الشريف المنسوب إليه.

اللهم المم به شعشنا، واشعب به صدعنا، وارثق به فتننا، وكثر به قلتنا، واعزز به ذلتنا، وأغن به عائلنا، واقض به عن مغرنا، واجبر به فقرنا، وسد به خلتننا، ويسر به عسرنا، وبيض به وجوهنا، وفك به أسرنا، وأنجح به طلبتنا، وأنجز به مواعيدنا، واستجب به دعوتنا، وأعطنا به سؤلنا، وبلغنا من الدنيا والآخرة آمالنا، وأعطنا به فوق رغبتنا.^٢

ومن هذا الدعاء يجب أن ننطلق من الحق وإلى الحق.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾^٣

١. سورة القصص / ٥. وانظر السيد محمد حسين فضل الله - المصدر السابق ببعض التصرف.

٢. من دعاء الافتتاح المنسوب للإمام الحجة المنتظر سلام الله عليه وعجل الله فرجه الشريف.

٣. سورة لقمان / ٣٠.

صدق الله العلي العظيم، سلام على صاحب الزمان عليه، سلام عليه، عليه
السلام

مصادر البحث

- ١ - سورة الحديد / ٢٥
- ٢ - سورة البقرة / ٧٤
- ٣ - مرتضى عياش - جريدة النبأ المعلوماتية - العدد ٣٠ - ٤٠ لعام ١٤٢٠، (والهوامش من ٣ وحتى ١٥ من نفس بحث الأستاذ مرتضى عياش ببعض التصرف القليل من نفس المصدر)
- ٤ - العولمة دراسة تحليلية - عبدالله عثمان وعبدالرؤوف آدم
- ٥ - العولمة دراسة تحليلية
- ٦ - مالكوم واترز - كتاب العولمة - نقلا عالم الفكر العدد الثاني ١٩٩٩
- ٧ - سورة القصص، الآية رقم ٥
- ٨ - الإمام المهدي من المهدي الى الظهور، السيد محمد كاظم القزويني
- ٩ - سورة الأنبياء / ١٠٦
- ١٠ - فرائد السمطين للجويني - ج ٢
- ١١ - عبدالرحمن بدوي - فلسفة القانون والسياسة - من مرتضى عياش
- ١٣ - عالم الفكر العدد الثاني ١٩٩٩ - المصدر السابق وأيضا مرتضى عياش

١٤- الإمام المهدي من المهدي الى الظهور - المصدر السابق ومرتضى

عياش

١٥- فلسفة القانون والسياسة، عبد الرحمن بدوي

١٦- نهج البلاغة - ج ١ - ص ١١

١٧- صحيح مسلم - ٨ / ٨٩

١٨- سورة البقرة / ١٥٨

١٩- سورة يونس / ٢٠

٢٠- سورة يونس / ١٠٢

٢١- سورة هود - ١٢١ - ١٢٣

٢٢- سورة السجدة / ٣٠

٢٣- سورة الاسراء / ٥

٢٤- سورة الاسراء / ٧

٢٥- سورة الاسراء / ١٠٤

٢٦- سورة الاسراء / ١٠٨

٢٧- سورة الانبياء / ٩

٢٨- سورة الانبياء / ٩٧

٢٩- سورة النور / ٥٥

٣٠- سورة الأنبياء / ١٠٥

* ببعض تصرف من كتاب: د. علي أبو الخير: (الرسول المصطفى (ص)).

ثورة الكلمة المقدسة)

- ٣١- احمد راسم النفيس - المهدى المنتظر ومعركة تحرير القدس -
المؤلف نفسه - القاهرة ٢٠٠٢ - ٣٦
- ٣٢- سفر الرؤيا ٤/١٢
- ٣٣- الرؤيا ٥/١٢
- ٣٤- بشائر الأسفار - مصدر سابق - ص ٢٤٩
- ٣٥- المصدر السابق
- ٣٦- سورة السجدة / ٢٨-٣٠
- ٣٧- سورة الأنعام / ١٥٨
- ٣٨- رواه الترمذى
- ٣٩- بشائر الأسفار - ص ٢٥١ ٢٨- عقيدة المسيح الدجال ص ٢٨٣،
تقلاً عن بشائر الأسفار
- ٤١- المصدر السابق ص ٢٨٣، تقلاً عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد
١٣١؛ بشائر الأسفار
- ٤٢- المصدر السابق ٢٨٣، عن تفسير سفر دانيال / إيرنسايد ١٣٤
- ٤٣- أبو داود ج ١١١/٤، المدينة هنا هي غير " المدينة المنورة "؛ بشائر
الأسفار
- ٤٤- عقيدة الدجال ٢٨٢، عن تفسير الرؤيا / ويسلى ١١٣؛ بشائر الأسفار
- ٤٥- صحيح مسلم / ج ١٨ / ص ٤٣
- ٤٦- ان كلمة " مسيح " لا تطلق عند أهل الكتاب على الأنبياء فقط بل
قد تطلق على ملك أو كاهن (انظر سفر اللاويين ٤:٣) وهذا اللقب قد

يطلقونه على ملك أجنبي كما أطلقوه على الملك الفارسي كورش: هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما " (أشعيا ٤٥: ١) من بشائر الأسفار. إذا كلمة " مسيحه في هذه الرؤيا لا تعنى عيسى المسيح (ع) بل من الأكيد انها تعنى المهدي المنتظر

٤٧- سفر أرميا ١٠/٤٤

٤٨- الرؤيا ١٩/١٤ والرؤيا ١٥/١٩

٤٩- أرميا ٩/٢٥

٥٠- رواه مسلم ج ٢/٢٥

٥١- انجيل متي ٢٤/٢١

٥٢- بشائر الأسفار نقلاً عن ما بعد الظهور / محمد الصدر

٥٣- المصدر السابق، ص ١٦٩

٥٤- رؤيا ١٥/١٢ - ١٦

٥٥- راجع مستدرک الحاکم ج ٤/٢٩ والبحار ج ٥٢/١٨٦- بشائر

الأسفار

٥٦- انظر كتاب " القول المختصر في علامات المهدي المنتظر " لأبي

العباس أحمد بن محمد ابن حجر المكي الهيثمي ص ٤٩ من وبشائر الأسفار

٥٧- رؤيا ١٧/١٢

٥٨- الحديث مشور جدا ومتواتر في كتب أهل السنة والشيعة على

السواء

٥٩- روى العلامة المجلسي في البحار ج ٥٢ ص ٢٨٣ في صحيحه في

باب: " نزول عيسى عليه السلام ج ٢ ص ٢٥٦ " ان رسول الله (ص) قال:

- كيف بكم أو أنتم اذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم " - وبشائر
الأسفار - ص ٢٥٩
- ٦٠- - بشائر الأسفار - ص ٢٦٠
- ٦١- رؤيا / ١١ - ١٣
- ٦٢- سورة سبأ ٤٨ - ٤٩
- ٦٣ - مجموعة سيرة المهدي (عج) - مركز البيت العالمي للمعلومات -
من الشبكة الدولية للمعلومات
- ٦٤ - مرتضى العسكري - معالم المدرستين - خلاصة الأجزاء الثلاثة
إعداد السيد سليم الحسنی - دار البنيان للطباعة والنشر والتوزيع - بدون
تاريخ - ص ١١٦
- ٦٥ - سورة الأعراف / ٦٩
- ٦٦ - معالم المدرستين - مصدر سابق - ص ١١٧
- ٦٧ - نفسه
- ٦٨ - صحيح مسلم ٢٠٢/١٢
- ٦٩ - تاريخ ابن كثير - ٢٤٩/٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي - ١٠ وغيرهم
- ٧٠ - كنز العمال - ٢٧/١٣
- ٧١ - تاريخ ابن كثير - ٢٤٨/٦
- ٧٢ - مسند الإمام أحمد بن حنبل - ٣٩٨/١
- ٧٣ - شرح ابن العربي على سنن الترمذي - ٦٨/٩
- ٧٤ - السيوطي - تاريخ الخلفاء - ١٢

- ٧٥ - معالم المدرستين - مصدر سابق - ص ٢٤٢
- ٧٦ - سنن الترمذى ٧٤/٩ - ورواه أبو داود فى صحيحه والخطيب
البغدادى والسيوطى فى الدر المنثور ٥٧/٦
- ٧٧ - الحاكم - مستدرک الصحيحين - ٥٥٧/٤ - سند الامام أحمد
٣/٢٦ - السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٦
- ٧٨ - مسند الامام أحمد - ٨٤/١، أبو نعيم فى حليه الأولياء ١٧٧/٣ -
السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٦
- ٧٩ - الحاكم - المستدرک - ٥٥٧/٤، سنن أبى داود - ١٤٢/٧
- ٨٠ - ذخائر العقبى عن أبى أيوب الأنصارى - ص ١٣٦
- ٨١ - الامام على - نهج البلاغة - خطبة رقم ١٤٢
- ٨٢ - الشيخ سليمان الحنفى - بيع المودة - ص ٥٢٣، أبو نعيم فى
الحليسة ٨٠/١، واحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ٥٤/١
- ٨٣ - الشيخ كاظم جعفر المصباح - الامام المهدي ومفهوم الانتظار - دار
البصائر للطباعة والنشر - طهران - ٢٠٠٢ - ص ١٣١
- ٨٤ - الحاوى للفتاوى - ١٦٥/٢
- ٨٥ - إبراز الوهم الكنونة - ٥٨٤
- ٨٦ - الامام المهدي ومفهوم الانتظار - مصدر سابق - ص ١٣٥
- ٨٧ - معالم المدرستين - مصدر سابق - ببعض تصرف - ص ٢٤٣
- ٨٨ - هو الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية فى
قطر سابقا - لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر - طبعة قطر -

١٩٨٠، وفي هذا الكتاب أثر واضح بكل ما فى مدرسة الخلفاء من تسلط وإيهاام وغموض وتشويش.

٨٩ - مدرسة الإمام الصادق فكر متجدد - منشورات مؤسسة الإمام الخولى الخيرية - لندن - ٢٠٠٠ - ص ١٢٥

٩٠ - مقدمة ابن خلدون - مكتبة الأسرة - القاهرة - ٢٠٠٠ - ص ١٤١ -
وقد ذكرنا ما قاله ابن خلدون من قبل لأن الذين ينكرون المهدي (عج)
يستدلون بابن خلدون - لذا ركزنا عليه أكثر من غيره

٩١ - الاحتجاج - ١٤٠/٢

٩٢ - النعماني - الغيبة - ص ٢٠٠ نقلا عن الإمام المهدي ومفهوم الانتظار
- مصدر سابق - ص ١٥٤

٩٣ - نفسه

٩٤ - نفسه

٩٥ - الشهيد محمد باقر الصدر - الغيبة الكبرى - ط بغداد ١٩٧٧ - ص ٥٧
٩٦ - مثل شيخ كبير وعالم من العلماء بدأ منذ تصاعد المد الثورى لفكر
أهل البيت عليهم السلام أن يحذر من الذى أسماه بالتبشير بالتشيع فى بلدان
سنية خالصة، فكشف عن طائفية، لأن الوهابيين هم الذين يبشرون فى دول
العالم بالمال السخى، وليته كان تبشيراً بالسلام الصافى، ولكنهم يبشرون
بالإسلام العنيف التكفيرى الذى يقتل الغير باسم الإسلام والإسلام ورسوله
منهم براء، وتلك الملاحظة للتدليل فقط على مدى الانتظار الثورى الإيجابى
الذى يجب أن يتحلى به المنتظرون بصفة عامة

- ٩٧ - النعماني - الغيبة - ص ٢٠٠ نقلا عن الإمام المهدي ومفهوم الانتظار - مصدر سابق - ص ١٥٤
- ٩٨ - نفسه
- ٩٩ - نفسه
- ١٠٠ - مفهوم الانتظار - مصدر سابق ص ٢٧٢
- ١٠١ - صحيح البخاري
- ١٠٢ - الغيبة الكبرى - مصدر سابق - ص ٢١٨
- ١٠٣ - سورة النحل / ٣٦
- ١٠٤ - مفهوم الانتظار - مصدر سابق ص ٢٧٥
- ١٠٥ - من الطرائف النقدية للمسيحية المسرحية الشهيرة للكاتب الفرنسي المبدع الكبير نيكوس كازانتزاكيس (المسيح يصلب من جديد) تؤكد أنه عندما يعود المسيح سيجد أن الإنجيل الذي كرز به والحواريون من بعده لم يعد له وجود بعد أن قلصه الفاتيكان في صلبه وتجسيده و معه القديس بطرس الذي صلب في الساحة التي كان الرومان يعدوها للمسحيين بإلقائهم للسابع الجائعة لتأكلهم، ودفن في نفس المكان الذي صار رمز البابوية وعنوان المسيحية الكاثوليكية، ولقد قال عنهم الكاتب الفرنسي فولتير: إنهم يعيشون على أنفاس عطر ينبعث من إناء فارغ !!
- ١٠٦ - السيد محمد حسين فضل الله - بحث عن المهدي (عج) منشور في كتاب الحوار الإسلامي / الإسلامي - دار الكلمة بيروت ١٩٩٨
- ١٠٧ - الحديث مشهور ومتواتر لدى كل المسلمين وخرجه أئمة أهل السنة وكتب الحديث عند أهل البيت حتى صار من معالم الدين ويتردد في

كل كتاب وعلى كل لسان، ومع ذلك يوجد من يؤوله على غير ما قال به رسول الله (ص)، وذلك من ضمن التشويش الذي تحدثنا عنه في البحث.

١٠٨ - سورة القصص / ٥، وانظر السيد محمد حسين فضل الله -

المصدر السابق ببعض التصرف

١٠٩ - من دعاء الإفتتاح المنسوب للإمام الحجة المنتظر سلام الله عليه

وعجل الله فرجه الشريف

١١٠ - سورة لقمان / ٣٠

دولة الموعود و مآزق الفكر السياسي

الباراديجم المهدوي باعتباره نهاية لتاريخ الاجتماع السياسي

ادريس هاني

الخلاصة

تقدم دولة المهدي الموعود من خلال ما توصلنا به من نبوءات ومظاهر دولته المنتظرة شريطا يكاد يكون متكاملًا عن أحوال دولته وسياسته ومشاريعه. تخرج بدلالات التزامية كبرى، وتتمحور حول حقيقة طالما تشوق إليها البشر وشكلت حلمهم الدفين. بل والمعلن أحيانًا، إنها دولة تلخص حلم البشر في انقضاء على كل أنواع الظلم والجور وتؤسس لدولة العدالة بمعناها الفريد. ذلك لأن مسيرة البشرية الممتدة عبر آلاف السنين أكدت بأن خياراتها السياسية العادلة لم تعد تقوى على مواجهة أشكال المقاومات السلبية التي تعيق سير البشرية لتحقيق العدالة. حتى أن الأمر أصبح يتجه اليوم إلى نوع من ارتضاء النماذج القاصرة التي لا تبغ بالاجتماع إلى حاق العدالة. بقدر ما تسعى إلى الإقناع والافتناع بأن ليس في الإمكان أبدع مما كان. وبأن العدالة الاجتماعية والإنسانية غاية لا تدرك.

وبأن المطلوب هو الرضى بالقدر المتيسر والإغضاء عن كل الحلول الحالمة والمشاريع الطوباوية التي يتعذر تحقيقها في دنيا البشر. فالظلم والجور غدا معضلة بنيويا، ودورته باتت مأزقا نسقيا. وإن أى حل لا يكون ثوريا سوف لن يحل معضلة الإنسان، وليس أى ثورة تقصد هاهنا فى المقام، بل المقصود قيام ثورة كونية. بهذا المعنى تحديدا نفهم لماذا عبر الخبير الأمريكى ذات مرة عن الخيار الليبرالى بأنه نهاية التاريخ وعن الرجل الليبرالى بأنه خاتمة النوع. وبينما ساد الانطباع كذلك بأن دنيا البشر هى ساحة لتزاحم المصالح والصراع بحيث بتنا نسلم منذ ابن خلدون حتى اليوم بأن الأمر حتى لو تعلق بأرقى مستويات الديمقراطية لا يعدو مجرد نمط من التغلب السياسى أكثر نعومة من ذى قبل. وبأن العصبية والتغلب هما أساس التسلط فى الدولة الحديثة أيضا. إلا أن البعض لا يكاد يدرك من نموذج دولة الموعود سوى أنها ارتقاء بفكرة المستبد العادل إلى منتهاها.

وعليه تعين وضع ما به امتياز دولة الموعود وتحريرها من سلطة الإسقاطات المنهجية والأيدولوجية التى تتيحها النماذج السياسية الراهنة والتاريخية، باعتبار أن دولة المهدى هى فى نهاية الأمر ليست نموذجا تاريخيا مستعدا، بل هى نموذج مستقبلى لم يطبق ولم يكن فى مكنة الشروط التاريخية ما يسند هذا الحلم الذى يعبر عن رشد البشرية وقوة إمكاناتها. إنها بهذا المعنى تلخص كل آمال الأنبياء والرسلى والمصلحين عبر التاريخ، إنها لحظة التطبيق الأولى لكبرى القيم الإلهية والإنسانية على الأرض، لسذلك كانت وعدا، ليس للمسلمين فقط، بل هى وعد للبشرية جمعاء منذ آدم حتى يومنا هذا.

ما سنبحثه فى هذه الورقة يتعلق بما هو محل تميز دولة الموعود وخصائصها لا سيما إزاء ذلك الشكل الذى توحى به عند النظرة

الأولى، نعنى المستبد العادل. وأيضا إبراز ملامح الجدة والمستقبلية والتاريخانية فى هذا النموذج الرسالى المشرق. وأيضا توضيح جانب الخاتمية كأساس تغدو فيه دولة المهدي ضرورة أكثر من كونها ضرورة سياسية، بل ضرورة حضارية كونية؛ ضرورة يفرضها الاجتماع الإنسانى. ليس من حيث أنها خاتمية الرسالة بل من حيث هى تمامها الذى لا يتقوم إلا بوجود إمام مخلص يحقق ما لم ينجز بعد. لذا كانت تمام النعمة.

دولة المهدي باعتبارها نهاية التاريخ والمهدي باعتباره الرجل الأخير

ليس جزافا أن سمى فوكوياما محاولته الكلاسيكية: نهاية التاريخ والرجل الأخير. إنها صياغة تحمل شحنة تحيل على أكثر أشكال الإيمان رسوخا فى وجدان الإنسان الحديث. لقد قدمت الليبرالية نفسها تعبيرا عن التجسيد المقدس عن حلم البشر بالعدالة والحرية. واستمرت كذلك مع نجيتها النيوليبرالية بوصفها نهاية تجسد هذا الحلم. هكذا استندت الليبرالية على تقديم نموذجها باعتبارها وعد الله على الأرض، ومظاهر عدن متحققة بقوة العمران وجاذبية هذا النمط الأبيقورى الذى جعلها تستقوى بمظاهر الاستهلاك والرفاهية والعيش الكرنفالى، مما يحجب كل أشكال العذابات والتدمير الممنهج للإجتماع والبيئة وسلطة التهميش لأغلبية البشر من أن يكونوا شركاء فى الحد الأدنى من الثروة والموارد والخيرات. وهى بالتأكيد ضريبة هذه الكرنفالية الدائمة لعدد محصور من النوع يبنى رفايته فوق عذابات أغلبية المعمورة. العنوان الأخير هو نوع من الشماتة والسخرية المقنعة بهذه الملايين المعذبة والمهمشة فى المراكز والأطراف، حيث راهنوا

طيلة الحرب الباردة على نموذج أكثر عدالة لينقلهم إلى بعض من تلك الرفاهية التي يحتكرها الأقلون في عالم النيوليبرالية المشحون بكل قيم التغلب والسيطرة والقمع والتحرش بالسياسات الاجتماعية الضامنة لحرية وكرامة هذه الشريحة الأغلبية من المجتمعات. إن سقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار سور برلين كانا نقطة الانطلاقة لهذا النوع من الطرحات التي تسعى إلى انتزاع الاعتقاد من وجدان البشر بإمكان انبعاث دولة العدالة الاجتماعية من نموذج ما هو بالتأكيد خارج تحكم الفكر السياسي النيوليبرالي. كذلك سعى فوكوياما للقول بأن النموذج اليوم هو هاهنا، وبأن الغلبة للمعسكر الشرقى هي الحجة البالغة على انتصار الليبرالية. بل هي نفسها ذلك الحلم الذي تنتظرونه. لذا كانت برسم تاريخانيته المغالطة نهاية تاريخ النماذج وكان الرجل الليبرالي والأمريكى هو الرجل الأخير.

لعله من المفارقة أن تسعى الليبرالية عبر الخطاب الفوكويامي إلى فرض نموذجها الحالم بغلب الأيديولوجيا وتداعيات الهيمنة الأحادية عشية نهاية الحرب الباردة. وقد كان هذا منتهى الشطط في إرادة الهيمنة على الوجدان والعقول والضمائر، مع أن لحظة هذا الاستئثار الأيديولوجي كانت هي أسوء لحظة وآلمها على المجتمع الدولي. هذا دون أن نتحدث عن تداعياتها المدمرة التي اتجهت بالعالم نحو مزيد من التفجير والتدمير حتى لتلك المكتسبات التي حققتها البشرية عبر نضالاتها الحقوقية والتحررية. لم يصاغ هذا النموذج الخلاصى الفوكويامي في وجدان البشرية، بل لقد أريد له أن يصاغ في دوائر الهيمنة والشطط في الاستكبار.

لم يعد اليوم وبعد مرور سنوات على إطلاق هذا الخطاب الحالم ما من شأنه أن يدعم كل المسوغات المحشدة التي ساقها فوكوياما للدفاع عن صواب أطروحتة. فلقد لجأ ككل ناسج أيديولوجى على أفكار منتزعة من سياقاتها ومقاصدها لدعم خيار لا يزال وراء كل أشكال التفجير والتدمير الممنهج للاجتماع الانسانى. فحتى قبل بزوغ الرأسمالية، لم يكن الفقر يوما عاملا لتخريب الاجتماع الانسانى وقيمه. لقد جاء التخريب مع شكل مزيف من أيديولوجيا الوفرة. تلك التى تعنى باللموس تقسيم العالم إلى فسطاطين: أحدهما ينعم بأقصى فرص الوفرة والآخر و هو القسم الأكبر يتأرجح بين الفقر وما تحت الفقر. لقد أظهرت الأحداث بؤس هذا الوعد الكاذب لايدولوجيا بقدر ما تتحت أيقونتها الايديولوجية بعناية، ترسم كاريكاتورا لنهاية دراماتيكية لكل أشكال الايديولوجيات. حقا إنها أيديولوجيا محتالة: أيديولوجيا نهاية الايديولوجيات!

لقد سعى هذا الأخير عبر صياغة تلفيقية من فلسفات تناقض فى مبدئها ومنتهاها مع هذه النهاية السيئة التى اكتمل نشيدها عشية انهيار المعسكر الشرقى، إلى أن يصور النيولبرالية كحركة طبيعية قدر لها أن تواجه كل هذه المضادات لتراتبية التطور التاريخى، ما جعلها انتصارا لطبيعة الاشياء. ففى محاولة تحريفية قصوى استعار هذا الأخير المنظور الهغلى ليغضى على أزميتين بنيويتين فى المشروع النيولبرالى: الأولى تتعلق بفلسفة التاريخ الهغلى التى ترى تاريخ البشر هو صيرورة غير منقطعة بحثا عن الاعتبار والكرامة. وهذا المنظور حتما لم يعد مؤسسا حقيقيا للنيولبرالية بنكهتها

الفيكتورية التي حولت مفهوم الاعتراف والكرامة لينحصر في أولئك السادة الذين امتلكوا على حين غفلة وبأى شكل اتفق قدرة التحكم بشروا الأمام وأيضا مكنهم ذلك من الاستغلال الأقصى لعموم الخلق. فالرأسمالية فى أطوارها النيوليبرالية اليوم هى لحظة عارمة تقوم على مولنة الكرامة واختزال الرقى فى المراكمة التى عادة ما تقوم على المضاربات المالية الوهمية المدمرة للسياسة الاجتماعية والاقتصادية. وهذا ما يقودنا إلى الأزمة الثانية حيث لم يصدقنا فوكوياما حينما جعل من الفلسفة الهيجلية رجز أيديولوجيته النيوليبرالية. إن غاية الانسان ليست اقتصادية. وهنا تصلح الهيجلية مستندا ضد النزعة الماركسية. فليس بالإمكان أن نبرر أهمية الديمقراطية لو سقطنا فى هذه النزعة المادية لتاريخ التقدم البشرى.

صحيح قد تكون الهيجلية برسم المادية الماركسية جدلا مقلوبا يمشى على الرأس. لكن تاريخ النيوليبرالية مع كل هذا الادعاء لم يكن يوما استجابة لهذه النزعة الهيجلية بقدر ما هو معانقة لهذه النزعة المادية؛ المادية التى جعلت من الديمقراطية اليوم وسيلة للاجهاز على آخر ما تبقى من آثار للقيم والكرامة. لم تكن النيوليبرالية هى حصيلة نضال طويل من أجل الكرامة، بل هى نفسها ذلك الخطر المهدد للكرامة، وبالتالي هو ما يجب الانتصار عليه. يقول فوكوياما مدافعا عن فكرته ومنزها إياها عن زيف الأيديولوجيا:

وبالرجوع إلى سؤالكم وعن ما أشرت إليه من أن نظرية نهاية التاريخ هي أيديولوجيا، فإنني أقول: ليست أيديولوجيا بالمعنى الذى حملته تسمية أيديولوجيا منذ زمان، إن نهاية التاريخ هي أكثر

من ذلك، إنها وصف وتحليل للأسلوب وللطريقة التي يتغير بها العالم ويطور بشكل أمبريقي نظامه السياسي في الزمان.^١

يحاول فوكوياما أن يقنعنا كما فعل في كتابه المذكور بأن ثمة رؤية أميريقية للتاريخ يستند إليها هذا النوع من الوعد الكاذب بنهاية التاريخ عند أعتاب النيوليبرالية. والحق أن الأحداث التي رافقت هذا الاعلان لم تكن لتعزز من صدق هذه الأطروحة. إن حديثه الانشائي عن النماذج الواعدة في آسيا هي دليل على انتصار الليبرالية. وقد سعى لتبرير عظمة النموذج الاسيوي الذي قاده ثورة النمر الاسيوية، حتى لو اقتضى الحال ان يجازف هذه المرة ويقلل من نزعتة الهيغلية ويتمسك بنزعة أكثر ايدولوجية وبراغماتية وهو يعزو الأبوية المنازعة لديمقراطية هذه البلدان إلى آفاق انترولوجية خارج منطق التراتبية التاريخية التي أصر عليها منذ البداية أيما إصرار. إن فوكوياما لم يتأمل فارق النموذج لما يبرر سياسة القمع والاستبداد في المجال السياسي للنمر بكونها فرعا لأصول الأبوية، ذلك الارث الطبيعي للسوسيو-ثقافة السياسية لبلدان لا يهم حقا أن تكون مثالا يعزز انتصار عقيدة الانسان الأخير، طالما أن هذه الأبوية المناقضة لأصول الديمقراطية نفسها تتماشى مع الارتفاع المضطرد لمعدل النمو. وذلك حينما يستشهد هذا الأخير بكلام لكوان يوفان، رئيس الوزراء السانغافوري الأسبق إن شكلا من الاستبداد الأبوي يتناسب أكثر مع التراثات والتقاليد الكونفوشوسية في آسيا. والأهم

١. انظر الحوار الذي أجراه كاتب السطور مع فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ بعد مرور أكثر من عقد على إعلانها، مجلة الكلمة، العدد ٤٧، السنة الثانية عشر، بيروت ٢٠٠٥.

أنه يمشى بشكل أفضل مع معدل النمو المرتفع، بالمقارنة مع الديمقراطية الليبرالية الغربية. فالديمقراطية في نظر لي كوان هي عقبة في طريق النمو.^١ إن التاريخ هنا سيكشف ان يكون بحثا عن الكرامة والاعتراف، بل هو تاريخ نشاط مادي ذي طبيعة استعراضية قابلة للانهييار الكارثي كما حدث قبل سنوات، وكما سيحدثنا أحد أبرز الفاعلين في اقتصاد المضاربات، والمتهم الرئيسي في كارثة الانهييار الذي شهدته اقتصادات النور قبل سنوات، حينما يقول، ليس فقط عن هذه الاقتصادات التي أظهرت أن مضاربا واحدا في حجم سوروس يمكن أن يدفع بها إلى هاوية الإفلاس، بل عن عموم النموذج الرأسمالي لما قال: إن انهيار السوق العالمية، سيكون حدثا مؤلما يسفر عن نتائج يتعذر تصورها، ومع ذلك أجد أن تصور الانهييار أيسر من تصور استمرار النظام الراهن.^٢

هنا الديمقراطية تصبح برسم هذه الرأسمالية الجامحة مجرد عارض غريب، وبأن الغرض متى تم ولو بدونها، فذلك هو المطلوب. ثمة مغالطة بخصوص هذه اللعبة القذرة التي تجعل من جموح غريزة التغلب والسيطرة، طبيعة للاجتماع أيضا. وليس غريبا ما قاله تشومسكي عن هذه اللعبة القذرة لمنطق السوق:

إن مثلا من قبيل الديمقراطية والسوق مثل جيدة، طالما أن ميل الملعب يضمن فوز الناس الذين يجب أن يفوزوا. أما إن حاولت

١. أديب ديبترى، دكتاتورية رأس المال، ص ٤١، ط ١، دار نمدي، دمشق ٢٠٠٢.
٢. جون غري، الفجر الكاذب، ص ٧٢ أحمد فؤاد بنوع، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة ومكتبة نسروي، القاهرة - كوالامبور - جاكرتا ٢٠٠٠.

جموع الرعاع رفع رؤوسها، فيجب أن يضربوا إلى أن يخضعوا بشكل أو بآخر. في العالم الثالث غالباً ما يفي العنف المباشر بالغرض. أما إذا أثرت قوى السوق على امتيازاتنا المحلية، فسرعان ما نقذف بالتجارة الحرة في النار.^١

الاقناع بأن النيوليبرالية ستنتصر لأنها التعبير عن طبيعة الأشياء، سيعيدنا إلى البداية الفيكتورية التي تراجعت فترة طويلة بفعل نضالات شهدتها أوربا. إنها اهتبال وحشى لفرص تاريخية تملك النيوليبرالية قدرة خارقة على استغلالها. لكنها لم تكن هي النهاية نتيجة صمودها الطويل، وليس بروزها لحظة الفراغ يعنى أنها هي نهاية الاعتقاد. ان النيوليبرالية والرأسمالية لم تكن التعبير عن رفع القيود المكبلة للانماء، ولا هي معانقة سمحة لطبيعة السوق. بل كانت دائماً نتيجة تدخل الدولة. بل يكون تدخلها فى الغالب أشرس تدخل. يحدثنا جون غراى عن هذه الحقيقة بوضوح تام:

إن السوق الحرة التي وجدت في بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر لم توجد مصادفة كما أنها على نقيض التاريخ الاسطوري الذي يروج له اليمين الجديد لم تنشأ من تطور طويل غير مخطط، وإنما كانت صناعة يدوية للسلطة وفن الحكم.^٢

لم يكن فوكوياما فى حاجة إلى أن يعلم البشرية ماهية الليبرالية التى عرفوا كل مظاهرها السلبية واصطفافها ضد العدالة الاجتماعية وكوارثها

١. نعوم تشومسكى، سنة ٥٠١، الغزو مستمر، ص ١٧١، تسمى النيهان، ط ٢، دار المدى، دمشق ١٩٩٩.

٢. المصدر، ص ١٦.

الاجتماعية و الثقافية والبيئية. فإذا كان واقع الليبرالية قد صنع عوالم الفقر وما تحت الفقر سواء فى المركز أو المحيط فى عز حربه الباردة ضد خصيمه السوفياتى، فماذا لو خلا له المجال واستفرد بالاستكبار ولم يوجد له من رادع أو أن يوجد فى هذا الصراع المدمر للبشرية من يخلق شكلا من التوازن يعيق استفراده بالنوع ويؤجل أجدته النهائية. وبالفعل إن سقوط الاتحاد السوفياتى ونهاية الحرب الباردة كان له الفضل فى انهيار كل أشكال السياسة الاجتماعية ليس فى الاتحاد السوفياتى فحسب، بل فى أوروبا التى أدخلت مجتمعاتها فى دورة نيوليبرالية غير مقدور عليها بالنسبة للعقل السياسى الأوروبى، مما جعل حركة الاحتجاج والثورة تنطلق هذه المرة من هوامش أوروبا ضد ذلك النموذج النيوليبرالى الأمريكى الذى بات يتهدد الهوية الثقافية والمقومات الاجتماعية لأوروبا نفسها. تلك التى صدرت يوما نموذجها الاقتصادى والاجتماعى ليس على أساس عظمتها الليبرالية، بل على أساس سياستها الاجتماعية التى ظلت حتى حين مدينة فيها للنموذج النقيض، حيث كان للصواريخ الباليستية السوفياتية الفضل فى حفظ هذه السياسة حتى لا يصبح للنموذج السوفياتى الاجتماعى جاذبيته تلفت انتباه مجتمعات أوروبا الغربية.

يبدو أن النهائية تتحدد بأخر حلم بشرى. فطالما ثمة ما لم يستنفذ من هذه الأحلام، ومادام أن ثمة مجموعة بشرية تنتظر ما هو أفضل، فذلك خير دليل على أن النهاية لا تكون كونية إلا إذا تحقق معها مخرج كونى لعذابات الشعوب وانحطاط الأمم. ومع ذلك يكون خطاب النهايات نظير ما رأينا من فرنسيس فوكوياما، على علاته وإسرافه واستعجاله أكبر دليل على أن ثمة نمودجا ما تنتظره البشرية دون أن تجد له طريقا ولا مثالا فى هذا المعروض

البشرى المحكوم بنيويا بمظاهر الظلم والجور، أو لنعبرها حكاية قرصان انتصب في وسط الطريق ليسرق من الموكب البشرى ما تبقى لديه من حلم، ليس غريبا أن الرأسمالية سرقت الشعوب واحتلتها ونهبت مواردها. فالיום تسعى لاحتلال وعيها وسرقة رأسمالها الرمزي المحتمل، سرقة مستقبلها بعد أن فعلت ذلك في ماضيها وحاضرها.

وإذا كان مظهر قومة الموعود هو القطيعة مع كل أشكال الجور والظلم وانطلاقا سمحا في آماذ العدل والخيرات، فلا بد أن يكون آلة تحقيق ذلك هو قيام دولة عظمى، تتميز ليس فقط في استقوانها الإيجابي الذي لا قبل لدول العالم به، بل تتميز أيضا بحسن الإدارة وقوة الإنماء والتقدم بحيث تحمل استحقاقها في مظاهر نموذجها الذي سينسخ تلقائيا كل النظم السياسية التي سوف تبدو حتما في صورة بشعة يكاد المرء يعجب كيف صمد الجهل كله والظلم كله في هذه النماذج السياسية وكيف ظلت البشرية أسيرة لهذا الانسداد السياسي الأعظم، لكن قبل الحديث عن ميزات دولة المهدي وخصائص سياسته للمدينة الموعودة لا بد أن نقف عند نقطتين أساسيتين:

إحدهما تهدف تمييز دولة الموعود عن دولة الطوبا والأخرى، أن انتصار دولة الموعود لن يكون بالضرورة انتصارا حربيا.

دولة الموعود ودولة الطوبا... أية علاقة

ثمة ما هو مهم في دولة الطوبا، وهي ذلك الحلم الكبير الذي لم يبرح خيال الفلاسفة والحكماء، وهم يعبرون بصورة مثالية وذوق رفيع عما يختلج في

قلوب البشر. إنها قصة الحلم بمستقبل أفضل ونموذج أكمل. لكن تفاصيل ما جاد به خيال أولئك جعلها قصة حلم فقط وليست حتمية من حتميات التاريخ. إن دولة الموعود هي كبرى الحتميات التي يفرضها منطق التاريخ نفسه. وهي كذلك بما أنها تقع في حيز الإمكان لا تعاكس الضرورة المنطقية أيضا؛ تلك الضرورة التي يعززها أيضا منطق الإيمان. إن إطلاقة سريعة على بعض أحوال المدن الخيالية تضعك أمام شكل من أشكال النقص والاعورار في تدبير المدينة يؤكد على أن منطلق النقص هو كامن في بنية الخيال نفسه وتصورنا للعدالة والحقوق. إن أي حالم بهذه الطوبا لم يفعل أكثر من تجسيد مظاهر ثقافته وخبرته ودرجة خصوبة خياله. لكنه لم يتمكن من ذكر إلا نموذج يستحق أن يوصف بأنه ليس له من الجدارة إلا أن يظل خيالا مستحيل التحقق. ودولة الموعود تحمل مظاهر استحقاقها في نموذجها ومن منطق التاريخ، بحيث ندرك لو قارنا بين كل أشكال الطوبا ودولة الموعود سنجد أن أرقى نموذج يرقى ويهذب حتى مخيلة الحالمين هي دولة الموعود كما سنجدها وحدها من بين هذه الدول الحالمة، تتوفر على ضمانات تاريخية وجغرافية ودينية. بل إنها لا تنتمي لجنس الأدب اليوتوبي - طالما هي متصلة بأزمة الراهن وطالما هي ليست مجهولة المكان والشروط بالجملة - لأنها ليست كما الطوبا: أي اللامكان، بل هي دولة موعودة بحتمية التاريخ وضمانة الوحي وتحقق الجغرافيا. إن دولة الموعود لها جذر تاريخ حقيقي وأيضا جغرافيا سياسيا للانطلاق وأيضا ضمانات دينية.

تضعنا الأخبار الإسلامية على محددات لتشخيص الموعود وتاريخانيته وجغرافيته. وقلت تاريخانيته احترازا من الالتباس الذى قد تضفيه عبارة تاريخه، لأن التاريخ بناء على النهى عن التعيين، أمر ثابت بالجملة ومتوقف على شرائط. عدم التعيين لا يخرج الحقيقة من سياق التاريخ وفلسفته. لكن التاريخ هنا ليس محض كرونولوجيا بل هو فعل تراكمى تشارطى. وتاريخانية الظهور يعنى أنها حتمية تاريخية متوقفة على جملة من الشروط.

ففى «سنن ابن ماجة» (ج ٤ ص ١٥١ ط السعادة بمصر) قال: ذكر الحافظ أبو داود السجستاني فى «سننه» (ج ٤ ص ١٥١ ط السعادة بمصر) قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا عبدالله بن جعفر الرقى، ثنا أبو المليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بيان، عن على بن نفيلى، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتى من ولد فاطمة. فى منتخب كنز العمال: المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٩٦ ط اليمينية بمصر). روى من طريق ابن عساكر عن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: إبشرى يا فاطمة فإن المهدي منك. روى بسنده عن على بن هلال، عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو فى الحالة التى قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول الله ﷺ إليها وقال: حبيبتى فاطمة ما الذى يبكيك فقالت: أخشى الضيعة من بعدك فقال: يا حبيبتى أما علمت «إلى أن قال»: ومنا سبطا هذه الأمة وهما إناك الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما والذى بعثنى بالحق خير منهما، يا فاطمة والذى بعثنى بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت

الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وانقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً فبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في آخر الزمان ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً الحديث .

حديث ابن عباس كما ورد في المناقب: لعبدالله الشافعي: ص ٢١٥ وري بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنه مني يعني المهدي من ولد الحسين بن علي. عن عبدالله بن مسعود في صحيح الترمذي: ج ٩ ص ٧٤ الصاوي بمصر. حدثنا عبيد بن اسباط بن محمد القرشي الكوفي، حدثني أبي، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم بن بهذلة، عن زرّ، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطى اسمه إسمي. قال أبو عيسى: وفي الباب عن عليّ وأبي سعيد وأمّ سلمة وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح. قال: وحدثنا عبد الجبار بن العلاء، عن عبد الجبار العطار، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عاصم، عن زرّ، عن عبدالله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلي رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي قال عاصم: حدثنا صالح، عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي. هذا الحديث حسن صحيح.

عن علي عليه السلام في كتاب الاعتقاد للبيهقي: (ص ١٠٥ ط كامل مصباح) قال:

حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد عليه السلام أنبأنا حامد بن محمد الهروي أنبأنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا فطر

بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي . الخ.

عن تميم الدارمي في تذكرة الحفاظ: (ج ١ ص ٧٦٥ ط حيدرآباد).
قال: أخبرنا عبد الخالق [القاضي] وابنة عمه ست الأهل بقرائتي عليهما ببعبك قالاً: أنبأنا البهاء عبدالرحمن بن إبراهيم منو جهر بن محمد، أنبأنا هبة الله بن أحمد، أنبأنا الحسين بن علي بن بطحاء سنة ٤٢٨، أنبأنا محمد بن الحسين الحراني، أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة أنبأنا أحمد بن سلم الحلبي، أنبأنا عبدالله بن السري المدائني عن أبي عمر البزار، عن مجالد عن الشعبي، عن تميم الدرامي قال: قلت: يا رسول الله ما رأيت للروم مدينة مثل مدينة يقال لها: انطاكية، وما رأيت أكثر مطراً منها؛ فقال النبي ﷺ: نعم وذلك أن فيها التوراة وعصى موسى ورضاض الألواح ومائدة سليمان في غار - إلى أن قال - فلا تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من عترتي، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، خلقه خلقى، وخلقه خلقى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

في صحيح الترمذى: ج ٩ ص ٧٤ ط الصاوى بمصر. قال: قال عاصم: وأنبأنا ابو صالح، عن ابى هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى (يعنى حتى يلى رجل من أهل بيتي يواطى اسمه اسمي) وإنما لم يذكره تعويلاً على ذكره فى الحديث.

وقد رويت أخبار أكثر من ذلك وبطرق مختلفة تؤكد أن الموعود مشخصا لا مجرد فكرة في الرؤوس كما رأينا في الأدب اليوتوبى ورأينا لها نظائر عند من اختزل القضية والشخص فى مشروع فكرة.

وأما من حيث المكان، فالأخبار تكاثرت فى تعيينه ليس فقط فى الاقليم أو البلدة فقط بل حددت حتى موطء قدمه الأول حين الخروج ومكان صلاته وظهوره. ففى «الأربعون حديثاً لأبى نعيم» الحديث السابع قال:

روى باسناده عن عبدالله بن عمر قال: قال النبى ﷺ:

يخرج المهديّ في قرية يقال لها كريمة. وثمة روايات تتحدث عن خروجه بين الركن والمقام مما لا يخفى على مطلع على أحوال عصر الظهور.

تتجلى ضمانة الوحي فى مجمل النبوءات التى زخرت بها التعاليم وحشت على الاعتقاد بها بوصفها وعد الله الذى لا يخلف الميعاد. وما تعبیرنا بالنبوءة فى المقام إلا جريا على المتداول. وإلا فهى حقائق المستقبل التى ذكرتها المصادر الدينية الكبرى. إضافة إلى أنها عينت لها تاريخا مجملا متصلا بأشراط محتومة كما عينت لها جغرافيا مشهودة.

تظل دولة الطوبا مستحيلة التحقق بلا ضمانات. حيث لم يعد بها من تنزل وعده منزلة المحتوم. ولا تعينت جغرافيتها التى ستشهد نشأتها الأولى إلا فى خيال الحالين. إنها محض تعبير عن أحلام. لكنها أحلام تؤكد بأن ثمة حتمية لا مفر منها. أن تبلغ الأمم رشدها الحقيقى و تتكامل فكرة العدالة لتستصدر نموذجها الكامل بقيادة الإنسان الكامل.

ثم إنها بما هي تعبير عن تصميمات أيديولوجية وثقافية خاصة بالحالم وبيئته الثقافية لا يمكن أن تكون بالضرورة كونية وفيها إسعاد كل البشر. بينما ليس في دولة الموعود ما يتعذر تحقيقه، وليس لها من خصوصيات إلا قصة الدين كما بطرحها تحدى الإلحاد. وهذا سينحل بمجرد أن يدرك العالم أن الدين ضرورة وواقع أكثر الحقائق برهانية وقوة في زمن الموعود، فالدين كان ولا يزال وسيظل الظاهرة الأبرز في تاريخ النوع. فإذا تحقق ذلك لم يعد في مظاهر دولته العادلة ما يجعل الحليم حيران. بل يصبح الإلحاد شذوذا وتفاهة وانحطاطا. فلن ترزع دولته يهوديا أدرك تعاليم موسى ولا مسيحيا أدرك تعاليم عيسى، حيث كان من المفترض أن يشهد الأنبياء على صدق دولة الموعود، ليؤكدوا لاتباعهم أنها هي نفسها دولة الوعد الموسوي والعيسوي، لكن عودة المسيح نفسها هي الدليل الكافي لذلك، حيث وجود المسيح الذي شكل عقدة مفصلية في الانتقال النبوي من الموسوية إلى العيسوية، سيثبت ذلك بضمانة قوة الموعود نفسه ويجعل الأبدال والأتباع من مختلف الأقوام، حيث من بنى إسرائيل من سيدخل دولة الموعود وينصرونها؛ اعنى الأمتين اليهودية والمسيحية. دولة الموعود تؤكد أن الأشرار الذين سيواجهون دولة الموعود هم أشرار الخلق ممن كان يتأسلم أو يتهود أو يتمسح، مما يعنى أنها دولة الإنسان التي ستعيد وضع خريطة الطريق لتوزيع أمثل لقيمة الإيمان، فهي دولة الابتلاء الكبير. فخصومها قد يكونوا يهودا أو مسيحيين أو حتى مسلمين وغير دينيين، كما ان أتباعها سيكونون مسلمين ويهود ومسيحيين، إنها ليست قضية مسلمين فقط بل هي قضية العالم أجمع!

ففى رواية عن الإمام الباقر عليه السلام:

فإذا اجتمع عنده عشرة آلاف رجل، فلا يبقى يهودي ولا نصراني
ولا أحد ممن يعبد غير الله تعالى إلا آمن به وصدقته^١.

أما من جهة الحروب ومظاهر العنف المقدس الذى تحدثنا عنه الأخبار، فهو لا شك عارض ستقوم به البشرية نفسها مع ظهور النموذج وتحققه على الأرض بقيادة الإمام المهدي عليه السلام. بمعنى أن الحرب سوف تكون موقف الشعوب والأمم من عدوها الذى يبغى لها الاستمرار تحت وطأة الجور، وليس ذلك خيارا للإمام إلا من حيث هو الحل الأخير الذى ستفرضه أقلية قليلة من البشر، تريد أن يتأبد الشر فى العالم حيث كتب الله أن للعدل المطلق دولة موعودة هى حجته على أن عالم الخلق قادر أن يظفر بتلك العدالة التى جاء من أجلها الرسل ودعا إليها صلاح الأمم دون أن تتحقق. إن عنوان الحرب أو السيف الذى وصفت به دولة الموعود، هو من باب التغليب لأمر اختص به الموعود دون سائر خواص الخلق من الأنبياء والأولياء^٢؛ أعنى تنفيذه للحكم الواقعى فى مقام القضاء^٣. فالعدالة المطلقة تقتضى أن لا يأخذ

١. نور الأبصار للشبلنجي، ج ٢، ص ١٥٥.

٢. بعض الأنبياء أو الأولياء حكموا بالواقع ولكن فى مهام محدودة وفى ظل الغيبة مثل الخضر عليه السلام لكن الامام المهدي عجل سوف تكون تلك خاصية حكومته الظاهرة والدائمة والشاملة.

٣. تؤكد بعض الأخبار أن المهدي سيأتى فيما سيأتى به، بقضاء جديد. ولعل من أبرز مظاهر جده هذا القضاء ليس محتوى العدل ومضمون الحقوق التى هى مدركة لكل البشر مولويًا وإرشاديا وشكل على مدى قرون مقاصد بها يتقوم ضمير لاقانون نفسه ومفهوم العدالة. لكن ما هو جديد كل الجدة فى قضاء المهدي، أنه سيحكم بعلمه لا بالظاهر، وسوف يحل مفارقة القانون الظالم، ذلك القانون الذى يطبق بصورة متوحشة على من لا يملك أن يدفع عنه ظلم

بالظاهر فيما هو يعلم الواقع. وأن لا يحكم بالبينات والأيمان فيما هو يدرك من أمر الجاني في حاق الواقع ما خفى عن الأنام. إن سائر الأنبياء والأوصياء كانوا على علم بما يفعل الخلق، ولكنهم لم يكونوا مأمورين بتنفيذ الأحكام على وفق ما يعلمون. وبذلك فقط تتحقق العدالة المطلقة ليس لأن الموعود سيحكم في مقام التقاضي بالعلم فقط، بل إن سيفه سيلحق كل من أتى جريمة حتى يدخل في قلوب الجناة الرعب، فلا يجرأ أحد على الإقدام على أية جريمة. إنه الردع والقانون ينزل في موارد دونهما شطط ولا إخطاء الجاني.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بينة،
يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كل قوم بما استنبطوه^١.

ليس سيف الإمام المهدي سيفاً جباراً إلا من حيث هو تعبير عن جلال الباري تعالى، ولكن لا ننسى قيمة الجمال لدولة الموعود التي بها ستصبح الأرض مسرحاً لكبرى قيم العدالة والحق والخير، فتعتدل بها السياسة والمعاش، ويشذ فيها الباطل والجور والشطط. إن سيف المهدي قوة لا شطط فيها. سيف العدالة لا يحرفه عن مهمته نزوة عصم منها. فهو مأمور تجرى حركته بعين الله، لأنه وعد الله ووليه الذي احتفظ به لهذه المهمة العظيمة وسدد خطوه، حتى كان له ولياً وناصرًا ودليلاً وعيناً.

١. بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٣٩.

تطبيق العدالة بخلاف الواقع. إن قيمة التطبيق القانوني في عهد المهدي نيس في التطبيق المجرد بل التطبيق المشروط بالمطابقة الحقيقية للواقع. نيس لأنه وحده من أدرك الواقع. بل لأنه مأمور بتنفيذ الحكم الواقعي. وهذا أبرز عنوان الجدة.

يومها ستدرك الأمم قاطبة أى سيف هذا الذى يمتشقه أسد الله الموعود.
ذلك لأنها ستشهد لأول مرة بعد تاريخ مرير من الجور أنه سيف فى خدمة
الحق و العدالة. لن يتطلع أحد إلى نموذج آخر بعد ذلك، لأن النموذج الأخير
سيعلم الأمم أن فرصتهم الأخيرة هى ها هنا فى ظل حكومة الموعود.
وكما جاء عن الإمام الباقر عليه السلام:

دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا
ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء. وهو قول الله عز وجل: والعاقبة
للمتقين^١.

المهدوية وحتمية الطريق الثالث

يوقفنا تاريخ الفكر السياسى على ضربين من المخارج الرئيسية للاستبداد
ونظام السلطان العارى. ولم يشهد تاريخ الفكر السياسى من مخرج حقيقى
سوى منظورين سرعان ما استتب الأمر لأحدهما بعد أن أصبح الأول هو
نفسه موضوعا للاستهجان والامتناع. ونقصد بذلك مفهوم المستبد العادل
ومفهوم الديمقراطية. وحتى وإن كانت معظم النظم السياسية المعاصرة لا زالت
تدين لفكرة الاستبداد، فإن الديمقراطيات هى نفسها باتت تستنجد بسلطة
المستبد حتى يرعاه، مما جعلها غاية فى ذاتها وليست وسيلة لتحقيق العدل
وتأمين الحقوق. إن فكرة المستبد العادل ما هى إلا مخرج من كل أشكال
الطغيان العارى الذى عرفته البشرية ووسم تاريخها بالعنف والعبودية

١. الغيبة، الطوسى، ص ٣٨٢.

والانحطاط. ومشكلة المستبد العادل في حكومة الموعود لا موضوع لها، لأن حكومته جاءت لتتجاوز معضلة أقصى ما بلغته البشرية في نظمها السياسية، أعنى الديمقراطيات. فهي متجاوزة لنموذج المستبد العادل برتبتين، ما دامت هي متجاوزة لما كان متجاوزا لها، أى النظام الديمقراطي. ولعل الشبهة فى المقام، أن حكومة الموعود يحكمها شخص واحد. وهذه الشبهة تخطئ مناط قيام النماذج والنظم السياسية وفلسفتها. لأن الديمقراطية نفسها لم تكن هدفا فى ذاتها إلا بالقدر الذى تمكننا من بلوغ أفضل اختيار حر للحاكم. ليست الديمقراطية فى نهاية المطاف وبكل المخارج التى لحقتها من أجل التقليل من صلاحيات الحاكم الفرد، مثل الانتخاب الدورى والفصل بين السلطات، إلا بحثا عن حكم العادل. وليس الانتخاب الحر نفسه هدفا فى ذاته، بل من حيث هو طريق لاختيار الأفضل. فإذا كان الطريق إلى معرفة الأفضل غير هذا النموذج، فإنه المطلوب، لأنه الغاية. بل اختيار الأعدل هو قيمة القسيم. إن مفهوم العدالة يتناقض مع الاستبداد بمعناه السياسى.

فالعدالة فى ظل هذا النموذج هى مصلحة المستبد بما هو أقوى وليست العدالة المطلقة التى تتحرك فى الاجتماع السياسى الموعود على أساس العدالة والعلم والمهمة الرسالية. بل ليست أحكامها جزافية ولا أحكاما مزاجية بل هى تنفيذا أمثل لقانون أمثل. وقد جاءت الديمقراطية لتعيد الاعتبار إلى حق الشعب فى اختيار نموذجه وحكم نفسه بنفسه عبر آليات وهيئات تمثيلية تمارس الحكم والرقابة حتى تحاصر تشكل الاستبداد بالسلطة ولا حتى الاستبداد بسلطة من السلط المفصول بينها. لكن الجدل

الذى شهدته ولا تزال المجتمعات حول نواقص الديمقراطية وفتلها بالارتقاء
بالإنسان وحماية قيمه، بل كونها أصبحت وسيلة لتدمير القيم الجماعية بفعل
تغول سلطة الفرد وفوضى الحريات وانهايار مفهوم الأسرة وما شابه، هو نفسه
أصبح طريقا لا يقل ضراوة عن سابقه، طريقا لأشكال جديدة من الطغيان
والتدمير المستهج لقيم الإنسان.

إن الديمقراطيات اليوم فى البلدان المتقدمة لا تخلوا من هذا النوع من
الاستبداد الناعم الذى يجعل السلطة لا تفلت من أيدي بارونات المال
والمستنفذين وأعدائهم. يلعب المال والمصالح الشخصية والفئوية دورا حاسما
فى اللعبة الديمقراطية، فالأمر كما يبدو تحول من نظم تفرض نفسها بالباطل
والاستبداد القائم على القوة إلى نظم تسمح باللعبة السياسية، على شرط أن
تكون لعبة بين أقوياء مسلحين بالمال والنفوذ وبين أشخاص منزوعى السلاح
والقوة. لعبة يدرك الجميع أن مآلها الوحيد هو استبداد مقنع بالسلطة. إن دولة
الموعود لا هى استبداد شخصى لأن مفهوم التشخص أبعد من أن يكون سمة
للإنسان الكامل المنزه عن الأنا. وكذلك هى أبعد من أن تجعل مصائر الخلق
متوقفة على لعبة الديمقراطيات التى أوجدت أشكالا أخرى من الجور
البنوي، لا طريق للخلاص منه إلا مع قيام دولة الموعود، إن هذه الأخيرة
هى إعلان صريح عن نهاية عصر المستبد العادل وعصر الديمقراطية، لأن
عنوانيهما سيتنفيان لا محالة بعد تحقق النموذج الأكبر: حكومة الإنسان
الكامل، أى حكومة تلتقى عندها مقاصد الخالق والمخلوق. يكون الاستبداد
فيها ليس ذاتيا بل موضوعيا كما هى جملة الحتميات الطبيعية الأخرى.

وإن الموعود سيحكم الناس في طريق العدل بقوة الحتميات الطبيعية. فإذا تحقق خروج الانسان الكامل وظهر، انتفى موضوع المستبد العادل كما لم يعد للديمقراطية موضوعا. فاختيار الأصلح مع وجود الإنسان الكامل، لن تكون حينئذ إلا وقاحة من الأشرار الذين سيكابرون رغم الصيحة - الإعلامية - التي ستجعل الموعود معروفا لدى العالم، لا يجهل استحقاقه أحد. ولا شك أن الانتخاب الطبيعي في المقام هو العمدة التي ينتفى معها موضوع الاختيار الحر. ليست الديمقراطية هي النظام الأمثل والأخير بل هي أفضل من سواها مما في يد البشر. لكنها كانت دائما تأكيدا على تلك الحقيقة التي يتعين أن لا يمارس النسيان في حقها؛ هي كونها تقر بأن لا ضامن للعدالة في غياب نظام النبوة والانسان الكامل. وبأن دولة الموعود هي وحدها النظام الذي يحمل خصائص دولة النبوة والانسان الكامل المفقود.

هل هي دولة أم قومة

يتطلب الأمر عودا إلى المعجم السياسي للوقوف على مفهوم الدولة بمدلوله المعاصر. وحتما إننا ندرك أن الدولة لم تبرح حياة الاجتماع الإنساني منذ عرف الأشكال الأولى للتنظيم والإدارة العقلانية لجماعة بشرية ما. لكن هذا

١. تؤكد الأخبار على أن من المحتوم ظهور النداء أو الصيحة من السماء. وقد نفهم نحن الحدثاء أن مثل هذا الحدث معقول جدا في زمن الاتصالات والفضائيات التي تبث أخبار العالم بمختلف اللغات. هذا ما يزيده وضوحا كلام للامام الصادق. حينما يعتبر أن كل قوم سيسمعون النداء بألسنتهم. ويزيده الامام الصادق وضوحا أكثر - وإنه نعجيب أن كلما بدا غريبا على القدماء ازداد وضوحا عند الخلف - لما ذكر بأن قائمنا إذا قام مد الله لشيئتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يرون بينهم وبين القائم يريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه. ونظائر ذلك كثير.

لا يمنع من القول أن مفهوم الدولة الحديثة برسم التعريف السويسري الشهير لا يغدو أن يكون إلا كما ذكرنا؛ التدبير العقلاني، حيث لا يسعنا تمييزه عن أى دولة فى تاريخ النوع سوى بهذا الشمول والعمق والنضج العقلاني كما شهدته تاريخنا الحديث. لذا كان الأمر سيكون حعباً لا بل متعذراً أن تقوم دولة الموعود فى شروط تاريخية غير الشروط التى ينعم بها تاريخنا الحديث والمعاصر. إن الدولة بمعناها اللغوي تحيل أيضاً إلى الجولة، ودولة الموعود هى خاتمة الجولات، وبالتالي خاتمة الدول، وهى منتهى التدبير العقلاني الذى لا يدع مجالاً للاحتتمالات الكبرى، لأن نضج البشرية بهذا النموذج سوف يتعدى كل أشكال النضج التى وسم بها تاريخنا الحديث منذ قررها كانط مجيباً عن سؤال ما معنى التنوير.

إننا ندرك أن معضلة الاجتماع السياسى والذى فجر إشكاليات الفكر السياسى والاقتصادى، هو الندرة، فلو أننا سلطنا الضوء على كبرى نظريات الاقتصاد السياسى والعلوم السياسية والفكر السياسى، سنقف على تلك الحقيقة التى لا زالت تؤرق العقول؛ لدينا دائماً فى أى اجتماع سياسى أو جغرافيا سياسية عدداً محدوداً من المناصب والموارد والامتيازات، وحيث أصبح من الصعوبة بمكان تأمين الحقوق برسم الرفاهية لكل الشعب، إلا على أساس التوزيع الظالم للثروة وبالتالي النفوذ، فإننا سنجدنا دائماً أمام ذلك المبدأ الأساسى والطبيعى الذى توارى بمخاتلة وراء مفهوم العقد الاجتماعى والديمقراطية؛ أعنى مبدأ القوة الذى هو العامل الوحيد الذى لا يزال يفسر به كل أشكال الاجتماع السياسى بما فى ذلك الشكل الذى ينتمى إلى دولة

الرفاهية. وجود القوة الفتوية ووجود الندرة عاملان أساسيان في هذا الانسداد السياسي الأعظم.

ترعم دولة الموعود بأنها ستنتقل من هذين العاملين في تحقيق نموذجها. إنها من جهة تتحدث عن القوة، ولكن وحيث يتعذر غياب القوة فإن دولة الموعود تتحدث عن تمركز عادل للقوة. إن قوة المهدي لا تستمد فقط من القدرة على التغلب بوسائط بالغة الإعجاز. بل هي ارتقاء في الأسباب والسنن. لعل أهم مصدر لقوة المهدي هي قناعة الشعوب بقيمة النموذج الأمثل الذي سيجعلهم بعد يأس جماعي مرير يقفون على معنى جديد ومطلق للعدالة الاجتماعية. إن الإلحاد لا يملك كل هذه الخاصية من اليقين والقسوة حتى يصمد أمام الحججة الكبرى للموعود أو يملك حتى من المصالح حينئذ ما يغري به دنيا البشر. فالمهدي سيمى دنيا البشر حتى يصل إلى كل ذي حق حقه، فلا مجال للابتزاز والمساومة باسم الدين، بل لا مجال أن يتعري الإنسان من قيمه النبيلة ليكسب رهان المصلحة المشروعة. فدولة المهدي ستجعل المعاش متماهيا مع القيم. بل ستجعل غداء الإنسان قيما كبرى بعد أن يتشبع بحقوقه المادية ويدرك أنها لا تفرض عليه كل هذا الحرص والخوف من فوات الفرص. إن واحدة من مصاديق القوة المهدوية، امتلاكه الحججة الكبرى. فلا يظل صاحب دين في غمرة الشبه. فالناس هم أنفسهم سيثورون في وجه من عارض المهدي.

فعن أمير المؤمنين: إذا بعث السفيناني إلى المهدي جيشا فخسف به بالبيداء، وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم:

قد خرج المهدي فبايعه وأدخل في طاعته وإلا قتلناك، فيرسل إليه بالبيعة. ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتنقل إليه الخزائن وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال حتى تبنى المساجد بالقسطنطينية وما دونها.^١

ولا ندرى كيف سيتخلف عن دولته اليهود والنصارى وقد استخرج التوراة والإنجيل وأوضح أنه موعود العالم جميعاً. بل كيف يظل الغرب المسيحي بعيداً عن هذه الدولة وقد تزامن ذلك مع نزول المسيح ﷺ. حيث لنزوله مغزى عميق. فهو أكبر شاهد على شرعية الموعود، لما يصلى وراءه ويبايعه. عن عبد الله بن عباس، قال رسول الله ﷺ:

والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل عيسى ابن مريم فيصلي خلفه.^٢

كل الأحداث والوقائع التي ستجرى تباعاً وتزامناً مع ظهور المهدي، تجعل قناعة الناس بدولته أكبر، وتفقد قوى الباطل شعبيتها المزيفة. لأن الناس ترفض بطبيعتها أهل الباطل، وهي لا تنقاد إليهم إلا إذا أجبروها على ذلك الشكل من الاستعباد بقوة البطش والابتزاز. فإذا تحولت سلطة السيف إلى المهدي ولم يعد في أيديهم ما يصلح للابتزاز، تحول الناس طوعاً إلى حكومة العادل وتركوا الباطل بلا رجعة.

١. كنز العمال، ج ٢، ص ٢٦١.

٢. فرائد السمطين، الجويني، ج ٢، ص ٣١٢.

ف تكون الأغلبية خيرة، لأن الأغلبية بإنسانيتها خيرة، وكذلك الأغلبية برسم التهميش والفقير والاستضعاف ستدرك قيمة العدالة الموعودة. وتدرك أيضا أن دولة المهدي سوف تحتكر العنف العالمي على أساس مشروع العدالة الإنسانية. هذا بالإضافة إلى عدالة الإمام التي تضمنها عصمته بوصفها أعلى مدارك العدالة. فلا عدالة فوق عدالة المعصوم. بل إن قومة المهدي لن تكون إلا بعد أن يصبح الناس مؤهلين لاستيعاب أزمته وانحطاطهم فتتجه أفئدتهم لنموذج آخر جديد وحاسم. وهذا يتحقق على خلفية تقاسم خيبات الأمل وانسدادات الفكر السياسي وبداية التطلع إلى طريق ثالث حتمي لكنه مستحيل في ما بين يد البشر من مقدمات مضادة. فحينما تملاً حكومة المهدي ثغرات النظم السياسية سيدرك العالم أنه الأعداء لا محالة. بل سيدركون متأسفين أنهم كانوا ظالمين لأنفسهم أو كانوا مخدوعين عبر تاريخ من الجهل والطغيان والانحطاط السياسي. إن حكومة المهدي قد تستوعب كل إيجابيات نموذج المستبد العادل وكل إيجابيات الديمقراطية، لكنها ستتجاوز كل ثغراتها. ومن هنا كان لابد للناس أن يجربوا إيجابيات المستبد العادل والديمقراطيات وأيضاً يقفوا على ثغراتها ليدركوا قيمة حكومة المهدي. ففوة دولة الموعود هي فوة نموذجهم. ورعب المهدي هو ضد حراس ثغرات نموذج المستبد العادل وثغرات الديمقراطية التي هي سبب بؤس الإنسان وعامل تدمير للعدالة الإنسانية. ليس فقط أن دولة المهدي هي تجاوز للنظم السياسية الوضعية، بل هي تجاوز للتطبيقات الفاسدة للنظم الدينية وثورة على التحريفية. فهي نموذج مستقبلي وليست نموذجاً سلفوياً.

ففي غيبة النعمان ذكر رواية التيملي، قال: حدثني أخوای محمد وأحمد ابنا الحسن، عن أبيهما، عن ثعلبة بن ميمون، وعن جميع الكناسي جميعا عن أبي بصير، عن كامل، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء. وكذلك، أخبرنا عبدالواحد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا محمد بن جعفر القرشي، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، قال: حدثنا محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، فقلت: اشرح لي هذا أصلحك الله، فقال: [مما] يستأنف الداعي منا دعاء جديدا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله.

دولة العدالة ودولة الوفرة

ليست دولة الموعود هي فقط دولة العدالة التي بها تطمئن النفوس وتتدك الفوارق الباعثة على كل أشكال الصراع والاستغلال. بل هي أيضا دولة الوفرة الحقيقية القائمة على أساس الوفرة بمدلولها الاستغراقي وليس الطبقي. لقد كانت دولة علي بن أبي طالب هي المجلى الحقيقي للأزمة التي ظهر أن ليس لها مخرج إلا في دولة الموعود. وذلك حينما قال في النهج:

الله الله في الطبقات السفلى من الناس.

أو لما قال أيضا: ما رأيت من نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع.

أو لما قال: ما جاع فقير إلا بما متع به غني.

وقوله: وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها. وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع.

إن دولة الموعود تؤكد على أن لحل مشكلة الفقر وإدخال البشرية في حالة من الاستقرار المادي والاستهلاك الجماهيري الحقيقي، يقتضى الأمر النهوض بجملة عوامل بدءا بترشيد أمثل لنمط الانتاج وعدالة قصوى في التوزيع وثروة هائلة تكفى حاجيات المستهلكين. فهي تتأهض الظلم الاجتماعى فى التوزيع والظلم القائم على نمط الانتاج وأيضا تتأهض اقتصاد الندرة وتعد بمستقبل الوفرة الاقتصادية للنوع. ولذا فإنها أكدت على وفرة الموارد وتغيير النموذج وتأمين النفوس وإعادة الاعتدال الى النفوس، حيث ان من أسباب اهتزال العدل هو فقدان العدل فى النفس وشيوع أنماط انتاج فاسدة سرعان ما جعلت الاقتصاد ينمو بخلق حاجيات وهمية على حساب سلامة الاجتماع والبيئة، فيصبح الانسان خادما للاقتصاد وليس العكس.

إن دولة الموعود تخطئ كل التوقعات التى تقررها الهيئات والخبراء فى مجال الاقتصاد والبيئة. إن التوقعات تشير إلى تراجع فى الموارد الطبيعية. إحدى أهم المؤشرات تؤكد على نضوب مهول فى مصادر الطاقة، مضافا إلى ارتفاع معدل التصحر مضافا إلى أزمة المياه وارتفاع الحرارة وتراجع المساحات الخضراء، وبالتالي تقلص مصدر الأكسجين، ويزداد الامر سوءا

حين الحديث عن ثقب الاوزون والمشاكل التي يسببها التلوث المستدام والتخريب الممنهج للبيئة دون أن نتحدث عن مخاطر الاقدام على حرب نووية. إننا حسب هذه التوقعات أصبحنا أمام مستقبل كارثي للكوكب، فكيف تكون دولة الموعود لا تزال تعدنا ببيئة نظيفة وموارد هائلة كما لو كانت كل هذه التوقعات مجرد هواجس خرافية ليس لها رصيد من الحقيقة. والحق أن الانسان ما يزال بصدد ترميم ما أمكنه من أزماته. حتى أنه ما أن يحل مشكلة حتى يغرق فيما هو أنكى وأمر. ففي الفكر السياسي ما زالت الديمقراطية التي باتت أمل المجتمعات الراضحة تحت نير النظم الفردية والطغيان السياسي، هي نفسها مصدر استغلال لا يزال يحول دون السعي إلى بدائل يفرضها الاحساس بعدم انسداد الآفاق أمام نظم أكثر ضمانا للحرية والعدالة.

وكذلك ظلت البشرية في مستوى الاقتصاد السياسي رهينة تصورات خاطئة في تقدير الثروة ورهينة انسدادات في تدبير الموارد البشرية. على الرغم من كل المعارضة التي أبدتها نقاد الاقتصاد السياسي ضد النسق الرأسمالي اللاأخلاقي، استطاعت الرأسمالية أن تنتصر في نهاية المطاف، باعتبارها النظام الأكثر قدرة على الصمود حتى الآن رغم ما يحمله في طياته من أزمات بنوية. لعل انتصار الرأسمالية على كل مناهضاتها بما في ذلك تقيضها الأشرس، المعسكر الاشتراكي، دليل على أننا وصلنا عصر الانسداد. إذا كان فوكوياما رأى في هذا الانتصار تكريسا لليبرالية وتوابعها - في مقدمتها اقتصاد السوق - بعد أن غطى على كل أزماتها البنوية، فهو لم يفعل

أكثر من أن يقدم شهادة على هذا البؤس الذي يشكل ظاهرة عالم يعيش يوما بعد يوم على إيقاع فريد من التفقير. يتساءل كبير الرأسماليين المضاربين جورج سوروس كيف أمكن هذا النظام الاستمرار حتى اليوم. فانهيار السوق العالمية سيكون حدثا يسفر عن نتائج يتعذر تصورها، ومع ذلك أجد أن تصور هذا الانهيار أيسر من تصور استمرار النظام الراهن^١.

لم يهزم النظام الرأسمالي المهيمن معارضييه، على فظاعة توحشه، لأنهم لا يحملون البديل القادر على الإحلال محله بجدارة، ولا لأنهم حاربوه بوسائل أقل نظافة منه. بل لعله حاربهم بأقدر ما لديه. من المؤكد أن الأزمات التي واجهت الرأسمالية كادت تعجل برحيلها لولا التدخل السافر للدولة في حمايتها وتمكينها. لم تكن الرأسمالية حقا مساوقة للطبيعة إلا إذا اعتبرنا تشجيعها على الجشع وعبادة المال والنزعة الأنانية هي هذه الطبيعة الانسانية التي تزعم الرأسمالية مسايرتها. وقد صدق جورج سوروس حينما عزی انتصار الغرب إلى أمر آخر غير رأسماليته. ففي رأيه أنه من المناسب أن نعزو انتصار الغرب إلى حقيقة أنه مجتمع منفتح أكثر من كونه مجتمعا رأسمالياً.

لم تستطع الماركسية على الرغم من أنها قدمت تحليلا نقديا للنظام الرأسمالي لعله الأهم من كل النقود، لأنها لم تستطع أن تضع اليد على المشكل الحقيقي، وهو أن النسق الرأسمالي بما أنه نسق متكامل يستطيع أن يحتوى أزماته بما في ذلك الأزمات التي تصورتها الماركسية عللا تامة برسم

١. جون غراي. الفجر الكاذب. ص ٧.

٢. جورج سوروس. خرافة التفوق الأمريكي. ص ٩٢. ط ١. مطبعة فضالة المحمدية - المغرب ٢٠٠٦.

نظرية الأزمات. هكذا استطاع هذا النظام تحييد أو تعطيل النشاط البروليتارى و صرفه عن فكرة التموقف التاريخى الجذرى من النظام الرأسمالى. كما طورت الرأسمالية الكثير من أساليبها، ما أبطل مفهوم الثورة الشيوعية التى لم يعد لها أى معنى لا سيما بعد انهيار معسكر كامل قام على أساسها. حاولت الماركسية أن تجد الحل فى التطور الطبيعى للرأسمالية الذى ينتهى بها إلى حتمية الانفجار. لكن الرأسمالية عرجت على مسارات أخرى جنبتها كل المخاطر التى تكهنت بها الماركسية. الأمر يتعلق بالأثر الأوديبى بالمعنى الذى ذهب إليه بوبر فى إبطال النبوءة.

إن القيم الأخلاقية الماركسية التى استنقوت بها الحركة الماركسية فى نضالها ضد النظام الرأسمالى لا يمكن أن يدان بها هذا النظام، لأنه لم يستدعيها منذ النشأة الأولى ولا يمكن محاكمته بشيء لا يعنيه فى صميم النسق. كان لابد على الماركسية أن تبحث خارج هذه المنظومة عن سند تستقوى به فى إعلان ثورتها. لقد استندت على الضمير الداخلى للرأسمالية فيما هى نسق نصب نفسه خارج مفهوم الضمير الاخلاقى فى الاقتصاد. ولأن الماركسية نفسها راهنت على الرأسمالية فى استدماج كل الانماط الأخرى ما قبل الرأسمالية انتظارا لانسدادها الحتمى. مع ذلك كان للاجهاز على الحقيقة الدينية الدور الأكبر فى جعل الماركسية عاجزة عن إيجاد ضامن أخلاقى. يتساءل أندره كونت سبونفيل إن كانت الرأسمالية أخلاقية. سيضطر هذا الأخير رغم إلحاده غير المبرر أن يسلك طريقا كانظيا لإحلال الاخلاق المجردة أو القانون الاخلاقى محل الدين كضامن من خارج النسق لنوع من

الاخلاقية - ethique - بدل الاخلاق - moral - بين الاخلاق كفعل للموجب وبين الاخلاقية كفعل باعته الحب. هذه عودة مبطنة للقيم الدينية نفسها مع تمثل حالة من خفة اليد. أي خلع كل صفات وقيم الدين على هذا الشكل المثالي من الاخلاق. يعيدنا ذلك إلى النكتة نفسها التي واجه بها شوبنهاور القانون الأخلاقي الكانطي. أخلاق بلا ضمانات. لكن كان رأي هذا الأخير صائباً في فضح انسداد النظام الرأسمالي الذي جعل إنماء الثروة ليس فرصة للفقراء المحتاجين، بل هي فرصة سانحة فقط للثرياء. أليس هذا هو مبدء بيروت: المال يولد لمال. نعم. وإذن صح قول الباحث:

أفضل وسيلة لكي تصبح ثرياً في بلد رأسمالي هو أن تكون ثرياً^١.

نحن أمام تحصيل حاصل. إنماء وحشى للثروة قد يتيح منافذ وفرصاً على المستوى الفردي تستطيع أن تتباها بها الرأسمالية المخاتلة لإغراء الغالبية العظمى التي رسم لها سقفاً من الاحلام لن تخرج منه أبداً. لكنها الكارثية على المستوى الجماعي. يجب على الأغلبية الساحقة في هذه السوق الداروينية التي تبتلع الصغار والمتوسطين باستمرار أن تتطلع لتعمل أكثر ولكن في الوقت نفسه عليها أن لا تصل إلى مبنغاها حتى لا تتحسن أحوالها لتبرح نطاق الشغيلة.

غياب العدالة وسورة الأزمات البنيوية للاقتصاد الرأسمالي وتكاثر السكان وتراجع الموارد وتلوث البيئة وانفجار وضعية الشركات العابرة للحدود فسي

١. ندره كوت سيوتفيل، هل الرأسمالية أخلاقية؟، ص ٧٨، تاسيساد حجر، دار نساق، ط ١، بيروت ٢٠٠٥.

ظل عولمة جارفة لكل أشكال القوانين التي تحمي نظم التكلفة السياسية والاجتماعية والبيئية، كل هذا يعنى أن الفقر هو صناعة رأسمالية بامتياز. إن الانسداد الأعظم لم يطال الفكر السياسي فحسب، بل إننا أمام ضرب كارثي من الانسداد الأعظم في الاقتصاد السياسي. على الرغم من أن تساوى البشر في معدل الاستهلاك الجنوني وتحول الأمم جميعا إلى مصاف الأمم المصنعة الكبرى يظل حلما ساذجا في ظل الشروط المجحفة التي يفرضها النظام الرأسمالي على الدول الفقيرة أو تلك السائرة في طريق النمو - ذلك لأن الأمر لا يتطلب كثير تأمل - فالفقر والتخلف هو الذي يؤمن الهامش الأمثل للمركز. إننا جميعا جزء ضروري ووظيفي للرأسمالية. فهي لا تقوم بالمركز فقط، بل تكتمل بوجود هامش مهدور المصير.

وهذا الأخير ليس مسألة جرافية، بل هو صنعة النسق الرأسمالي الذي بقدر ما يتيح للمركز نموا مضطردا فأیضا يعمل على تأميل تفكير مضطرد للهامش. لكن دعنا نحلم قليلا مع هذا النظام ونسايره في أحلامه تلك. فحتى لو أصبحنا جميعا في هذا العالم مصنعين في مستوى الدول العظمى فإن ذلك سيكون كارثة على البيئة لا تتحملها البتة. إن نمط الانتاج ونوع الطاقة المستهلكة اليوم في هذه الصناعات تنذرنا بمستقبل كارثي. لا يوجد من يخطئ هذه الحقيقة حتى من أولئك الذين يتحايلون للامتناع عن دفع التكلفة البيئية. إن الطبيعة كما يقولون متسامحة تتحمل كل الاختلال البيئي الناتج عن التدخل الخاطيء للإنسان وسوء تدبير الموارد الطبيعية. يقولون أيضا إن الطبيعة ستعود لتوازنها متى كف هذا الأخير عن التدخل. نقول هذا مؤكدا ما لم يستمر

الاستنزاف. ولا ندري هل حقاً نحن أمام ذلك المصير أو المستقبل المشترك الذى بشرت به التنمية المستديمة، وهل فى سياق هذا التدبير الخاطئ والجنونى للبيئة سنسمح للأجيال القادمة ببعض من هذا الامتياز. هذا حقاً لا يهمنى الآن بقدر ما يهمنى الوقوف عند فكرة التسامح البيئى وعلاقة ذلك بالجواب عن وضعية دولة الموعود. لا نريد أن نضع أرقاماً لتوصيف الحالة المزرية للطبيعة اليوم ولا ما هو متوقع غداً. لكن السؤال الذى يظل مطروحاً: هل دولة الموعود تستطيع أن تفى بكل وعودها فى مستقبل ينذر بالمأساة البيئية. قد يكون لفكرة التسامح البيئى قدرة على تفسير ذلك. لكن ماذا لو لم يعد فى مكنة الطبيعة أن تغفره للانسان بعد أن تنفذ مواردها أو يفسد مناخها بصورة لا تطاق. هذا إنما يفيدنا، بأن دولة الموعود سيكون لها موعد مع العالم قبل استفحال الوضع البيئى بصورة لا رجعة فيها ولا تسامح. إن الطاقة اليوم تعد بنضوب، وحسناً أن يكون ذلك سبباً فى انطلاقة جديدة للبحث عن طاقة بديلة ونظيفة. إن مظاهر دولة الموعود تؤكد على أنها دولة تنعم بآخر مستويات التقنية النظيفة. بل إن كل ما تعد به يؤكد على أنها دولة تخضع لنمط اقتصادى مختلف جذرياً، بحيث لا مكان لنظرية التفجير والأزمات وما شابه ذلك. وبالتأكيد لا مجال لأى شكل من أشكال الملتوسية هنا، ما دامت الموارد ستتضاعف فى نموها أكثر من الحجم السكانى. إن دولة الموعود تؤكد على أن الموارد ستظهر بشكل لم يسبق له مثيل. فالمستقبل واعد بالرفاه. لذا علينا أن نتأمل بعضاً من تلك الروايات التى تقول مثلاً:

١. لمزيد من الأضلاع انظر السيد محمد الصدر، تاريخ ما بعد الظهور، ص ٥٤٢ ج ٣ ط ٢.

- أخرج البخارى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ: لا تقوم الساعة، حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته. وحتى يعرضه فيقول الذى يعرض عليه: لا أرب لى به.

- أخرج الحاكم عن أبى سعيد، عن الرسول ﷺ يخرج فى آخر أمتى المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحا وتكثر الماشية وتعظم الأمة.

- روى الصدوق عن الامام الباقر: القائم منا منصور بالرعب مؤيد بالنصر تطوى له الأرض وتظهر له الكنوز ولا يبقى فى الارض خراب إلا عمر.

- يروى المجلسى قول على بن أبى طالب: ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشى المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه.

- يروى الشافعى عن أبى سعيد الخدرى عن الرسول ﷺ: تنعم أمتى (فى عصر المهدي) نعمة لم يتنعموا مثلها قط، ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدع الارض شيئا إلا اخرجته.

- فى عقد الدرر عن النبى ﷺ: وتزيد المياه فى دولته وتمد الانهار وتضاعف الارض أكلها.

مثل هذه الروايات ونظائرها فاضت بها المتون الاسلامية، يجب استيعابه خارج اللغة والنمط الحضارى الذى ذكرت فيه مثل هذه النبوءات. فأفضل

وسيلة لمزيد من الاستيعاب هو إعادة تأمل مضامينها فى ضوء النموذج الحضاراتى المعاصر. إنها قضايا موجهة لنا أكثر مما هى موجهة للأسلاف. ومن هنا فمثل هذه المظاهر تؤكد على أن دولة الموعود غير معنية بالتكهنات آنفة الذكر، تلك التى تنذر بعودة الندرة والتلوث والفقير والمجاعة والمستقبل الكارثى للانسان. إنها تؤكد بذلك على أنها باراديعم مختلف تنتهى معه رحلة الاجتماع السياسى وتقف عنده أيضا محاولات الاقتصاد السياسى. إن المستقبل البشرى والاجتماع السياسى الانسانى لا يمكن أن يقرأ بصورة إيجابية فيما تؤكد تقارير تنتمى إلى العقل السياسى والاقتصادى الذى بات واضحا أنه لا يملك ما يقوله عن المستقبل سوى ذلك الشكل من التحذير والترهيب. لكن يظل دائما السؤال الذى يطرح و طرحه مشروع، حول إمكانية إعادة تطهير الاجتماع الانسانى والبيئة من الفساد فى دولة الموعود؟ ندرك أن العملية لا تقتصر على أحياء ضيقة ولا حتى على حيز المؤمنين. الامر يظل الكوكب برمته ومن عليه. لا ننسى أن دولة الموعود هى كونية. وعملية كهذه ليست محصورة وبسيرة، بل هى انقلاب حضارى وبيئى سيجعل العالم أمام نمط مختلف عن كل ما سبقه. إنها ثورة الانسانى المنتظرة بقيادة الموعود. قراءة الاخبار فى شموليتها تؤكد على أن ارتفاع معدل الأمن إلى أقصاه وغياب الندرة ونهاية سلك الأزمات البنيوية فى الاقتصاد وشعار دعه يعمل دعه يمر الذى لن يظل كما فى النظام الرأسمالى شعارا لطبقة من المتنفذين وأيضا ليس شعارا يتحلل به المستثمر من كل التزاماته الاجتماعيه والاخلاقية..كما يؤكد على ارتفاع فى مستوى التحسن البيئى ونظافة وسائل

الانتاج وتغيير نمط الاستهلاك وكل هذا مع وجود عدالة كافية لتوزيع الثروة بالقسط، جدير بخلق مناخ صحي لانطلاق اقتصاد كبير وتحقق قدر هائل من الوفرة للنوع.

ثمة كما أكدنا تحولات جذرية ستطال الثقافة والأنماط. وهي كما يظهر من الاخبار تتحدد في:

ـ أنماط استغلال البيئة:

يتقوم النمط الراهن في شكل ضار من الاستغلال للبيئة بلغ ذروة الشطط. والمسألة البيئية اليوم والتقارير التي تطلع علينا ليل نهار دليل كافي على أن الأمر لم يعد يتحمل مزيدا من الاستهتار. لا سيما وأن معدل أوكسيد الكاربون يتزايد بصورة جنونية مهددا البيئة وهو مسؤول عن درجة ارتفاع حرارة الارض والتأثير السلبي على طبقة الأورزون وما ينتج عن ذلك من فيضانات وحرائق للغابات والتصحر... في مقابل ذلك تنهض دولة الموعود على سياسة مختلفة وجادة في هذا المجال، قوامها: الاستغلال الأمثل للطبيعة والاستغلال الأنظف للطاقة.

إن استغلالنا للطبيعة لا زال ضعيفا للغاية بحيث لا يغطي الطلب. ومثل هذا لا يشكل أزمة حقيقية في نمط الانتاج المعاصر طالما أن معضلة المجاعة لا تصيب إلا الطبقات السفلى من المجتمع أو المجتمعات الفقيرة في العالم. فأنماط الانتاج الراحنة ليس فقط أنها تواجه مشكلة تقنية في تأمين الطلب الحقيقي للنوع، بل إن السياسات الانتاجية تفرض عبر سلطة الاحتكار أن لا يتم البحث عن بدائل لا في التكنولوجيا ولا في أنماط الانتاج، من شأنها أن تهدد بنية الارباح والامتيازات التي تحرسها سياسة الاحتكارات الكبرى.

ـ أنماط الاستهلاك:

إذا كان نمط الاستهلاك اليوم هو تعبير عن منتهى غياب ليس الاخلاقية فقط عن الاقتصاد بل العقلانية التي طالما بشرت بها السوسولوجيا الحديثة. لقد تجاوز نمط الاستهلاك المعاصر كل الحاجيات الحقيقية للانسان، بل كدنا نرى انقلابا في سلم المقاصد العقلانية للنوع، منذ أصبح الانسان يرسم الاستهلاك الجنوني اليوم يستهلك من السموم والأزبال ما يعرض الصحة العالمية لوضعية حرجة. لم يعد في معايير المستهلك أن ثمة ضروريات يجب أن تفوز بالمقام الأول في الاعتبار. فالتحسينات استوعبت باقى القيم، لا بل إننا أصبحنا أمام شكل هجين من الضروريات؛ ضروريات وهمية تنتج باستمرار، تؤمن صيرورة الاستيلا ب الامثل للانسان، تجعله كائنا عاجزا عن وجود ذاته واستقلاله ومعناه خارج هذه الدورة العدمية للاستهلاك اليومي. يحدثنا طويلا جون بودريار عن هذه الحقيقة بصورة أكثر كاريكاتورية، حينما يحاول أن ينجز تشريحا لما يسمى homo oeconomicus. الحكاية مصاغة كالتالى:

كان فى وقت ما انسان يعيش على سبيل الندرة. ومن خلال العديد من المغامرات والأسفار عبر العلوم الاقتصادية التقى مجتمع السوفة. فتزوجا وأصبح لهما الكثير من الحاجيات .

هذه الجمالية نفسها التي كان يتمتع بها الامو- ايكونوميكوس، كما تغنت بها الحكايات الكلاسيكية لم تعد موجودة فى هذا المناخ الجنونى الذى تحول

1. jean baudrillard. la societe de consommation :ses mytes ses structure. p93editions denoel. 1970.

فيه الاستهلاك من أمر نحدده ونبحث عنه إلى أمر مفروض في الضرورة المحتومة لهذا النمط الاستهلاكي الذي منح قوام الكوجيتوا الجديد: أنا أستهلك إذا أنا موجود، بل أصبح الأمر غاية في التفاهة: أرني قمامتك أقول لك من تكون. الاستهلاك للاستهلاك، تلك هي عقيدة شخص آخر يشير به هذا النمط الخطير من الاستهلاك، أعني ما أسميه بالكائن الأونطو — ميتري، كناية عن كائن تتحدد أنماظه ومضاتره بحسابات الانتاج والربح والخسارة والعرض والطلب. كائن تحدد ماهيته قبل وجوده، بل يبرر وجوده باكتمال ماهيته وقابليته للاندماج في دورة اقتصادية لا وجود لبداياتها ولا لنهاياتها. إنها دورة لا تقبل إلا بالمسوخ.

إن دولة الموعود بما أنها تلخص آمال البشر ومتطلبات الرشد البشري، كفيلة بإحداث هذا الانقلاب الأعظم في نظرية الاستهلاك. هذا أمر ممكن جدا ما دام أن هذا النمط من الاستهلاك هو الابن البار لنمط الانتاج والنسق الرأسمالي المتوحش نفسه. وهذا سيعد بعودة العقلانية في الاستهلاك يتحرر بموجبها الانسان من سطوة التشيء والاستيلاء. حيث يصبح الاستهلاك تعبيرا عن حاجيات حقيقية وعقلانية لا مجرد انخراط في دوامة غير معقولة من الاستهلاك للاستهلاك. ويتقوم ذلك أيضا بتخليق الاستهلاك، وهو ما يجعل الاستهلاك أيضا في خدمة الانسان ويعزز ماهيته ككائن خالق للتسامي العقلي والروحي وليس كائنا يبعث عن منتهى منتهى في مناهة الاستهلاك والتشيء والاستيلاء. فما نتحدث اليوم فلسفات الانسان، ولعل القواعد المنظمة لهذا النمط التخليقي من الاستهلاك هي:

- لا تستهلك إلا ما كان ضروريا حقا أو حاجة تجد فيها كمال العقل والروح وسلامة البدن...

- لا تستهلك للاستهلاك...

- لا تستهلك ما فيه فساد البدن والروح والعقل...

هذا القدر من المحددات لا يتحقق إلا في ظل دولة الموعود لاكتمال أخلاقها ونمو مداركها العقلية والروحية. إن ما تكشف عنه هذه الدولة من خيرات لا يعنى أن الاستهلاك أضحي أكثر جنونية. بل إن الانسانية يومها مشغولة فيما هو أعظم من ذلك. أعنى ذلك المعنى الانساني السامى الذى يجعل الناس تكتفى بحياة التقشف رغم الوفرة، لأن ما سيأتى به الموعود ليس مجرد كنوز لن يجد لها طالبا من فرط فائض الانتاج، بل قيمة ما سيأتى به أنه سيحرر الانسان من مقولة أنطوان مونتكرتيان: إنما الانسان ولد لكي يعيش للعمل المستمر والاحتلال إلى المعنى الأسمى للانسان بوصفه خلق لعبودية الخالق لا لعبودية القطاع والعمل فى ظروف مزرية. كما خلق لتعمير الأرض لا للاحتلالات الجائرة التى تستعبد فى طريقها الأمم وتخضع لقوانين التخليف والتفقير. أجل إن زمان الموعود زمان مختلف، وذلك لأن أنماط السلطة ستشهد تحولا جذريا. لا عجب فى ذلك إذا تأملنا قوله لجده على بن أبى طالب فى النهج: إذا تغير السلطان تغير الزمان.

وعليه ستكون دولة الموعود خاتمة المطاف فى تاريخ النوع وليس بعدها من نموذج جدير بالانتظار. إنها نهاية تاريخ الاجتماع السياسى والنموذج المأمول. ذلك هو الحد المعروف من مستقبلنا المشترك.

ختاماً

لدى شئ أقوله فى نهاية هذه الورقة: إن البحث عن حلول لإنسانيتنا من داخل صيرورة الهدر التى يفرضها النسق المتغلب فى حياتنا هو أمر مشروع ومطلوب لإيجاد ما هو أمثل دائماً من داخل النسق. لكن هذا لن يحل مشكلة البشرية المتأرجحة فى أزمات بنوية. قد يتراءى للبعض أننا نحلم، لكن حلمنا هو واقع مؤجل يملك من المسوغات والضمانات أكثر من أى خيار آخر. إن ما بين أيدي الناس اليوم سياسات واقتصادات لا تملك إلا أن تصنع الجور والفقير، ولا تملك إلا أن تنذر بمستقبل مظلم وكارثى ملؤه الرعب واليأس. وأمام هذا القدر المحتوم لأنظمة سياسية واقتصادية، ليس أمام البشرية المعذبة إلا أن تحسن الإطراق والسمع لذلك النداء الذى لا يحمل سوى بشرى جميلة للاجتماع الانسانى. وإن دولة الموعود حتماً لن تحرر المظلومين من شخوص ظالمين فحسب، بل ستحررهم من نموذج ظل فيه الظالم والمظلوم كلاهما ضحية نموذج فاسد، جعلهما حقاً فى حاجة ماسة إلى ذاك المخلص.

الأسس التربوية والأخلاقية في حكومة المهدي المنتظر

د. حكيمة شامي، الرباط / المغرب

الحمد لله على دين الإسلام الذي جمع الشتات، ودعا إلى التآلف والتحابب والمودة والاعتصام ونهى عن التفرق والخلاف والشقاق وبين أن الاختلاف إذا وقع في الأمة كان هو سبيل التفريق والتعصب وقد ذكر الله تعالى نعمة الاتحاد والاتفاق:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^١

إننا اليوم في أشد الحاجة إلى جمع الكلمة لجمع الشمل، وإننا نحتاج إلى توحيد الصفوف الإسلامية بعلمائها وشيوخها وطلابها، وهذا لا يمنع أن تكون هناك مسائل خلافية ولكنها لا تقتضي العداوة ولا البغض ولا الإخراج عن الملة.

١. آل عمران . ١٠٣.

وهذا البحث يندرج ضمن البحوث العلمية الداعية إلى شد عرى المحبة بين طوائف المسلمين، وتكريس الجهود من أجل توحيد الصف وجمع الكلمة للرد على الهجمات التي يتعرض لها العالم العربي والإسلامي.

إن الاعتقاد بظهور مصلح في آخر الزمان، ليس من معتقدات المسلمين فحسب، فهي قضية شغلت الفكر والتراث الإنساني برمته. فالأديان السماوية تجمع على ظهور رجل في آخر الزمان يقيم أظهر حياة وأنظفها على وجه الأرض: حياة لا شرك فيها ولا وثنية، يغمرها التوحيد الخالص، والعبادة لله الذي تغنو له الوجوه. حياة لا ظلم فيها، ولا استبداد، بل يسود فيها الحق، والعدالة، والحرية، والإخاء. حياة لا جهل فيها، ولا أمية، بل حليتها العلم والمعرفة، والحكمة، حياة لا حسد فيها، ولا حقد، بل تخيم عليها المحبة والتعاون، والتآزر، والكرم، والإيثار. حياة لا خمول فيها، ولا تقاعس. بل جهاد في سبيل نشر مبادئ المهدي عليه السلام.

لقد شغلت قضية "المهدي المنتظر" التراث الإنساني برمته. فهي قضية إنسانية قبل أن تكون دينية أو إسلامية. لم تعبر عنها الأديان السماوية فحسب بل شملت المدارس الفكرية والمذاهب الغير الدينية أيضا، يقول العلامة الشهيد محمد باقر الصدر:

ليس المهدي عليه السلام تجسيدا لعقيدة إسلامية، ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح اتجهت إليه البشرية، بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، أدرك الناس؛ من خلاله؛ على الرغم من تنوع عقائدهم، ووسائلهم إلى الغيب، أن للإنسانية

يوما موعودا على الأرض، تحقق رسالات السماء، بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي. وتجد فيه المسيرة المكشوفة للإنسان؛ على مر التاريخ؛ استقرارها وطمأنيتها. بعد عناء طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي، والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينيا بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضا، وانعكس حتى على أشد الإيديولوجيات والاتجاهات العقائدية، رفضا للغيب والغيبيات.^١

فاعتقاد الإنسانية بحتمية ظهور المصلح، من النقاط المتفق عليها بين جميع الديانات، فحسب اعتقادنا نحن المسلمين المهدي المنتظر "مكن الله له في الأرض"، والذي جاء ذكره في الأحاديث والروايات، وجاء ذكره في التوراة والإنجيل فهو الذي يقوم بتأسيس الحكومة العالمية الشاملة أو ما يسمى في الإنجيل بـ "مملكة السلام"، حيث يملأ الأرض قسطا وعدلا، بعد أن ملئت ظلما وجورا، ويحل الأمن والسلام في ربوع المعمورة.

"يبلغ من رد المهدي المظالم، حتى لو كان تحت ضرر إنسان شيء انتزعه حتى يرده"^٢ وقد ورد ذكره في التوراة والإنجيل بإشارات واضحة، فقد جاء في سفر إشعيا: "يخرج فرع من جذع يسي، وينمو غصن من أصوله. روح الرب ينزل عليه، روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة والمعرفة

١. محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي، تحقيق عبد الجبار شرنزة، مركز الغدير لدراسات الإسلامية، مطبعة فروردين، قم، ط. ١، ١٤١٧ ١٩٩٦، ص. ٥٣-٥٤.

٢. العرف الوردى في أخبار المهدي لندجلال السيوطي، تحقيق أبي يعنى البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤٢٧ ٢٠٠٦، ص. ١٤٢، الحديث ٢٣٣. الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة بين السنة والشيعا لمحمد أمير الناصري، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، المجمع العالمي لتقريب، طهران، ط. ١، ١٤٢٧ ٢٠٠٦، ص. ٧٠، ح. ١٦٥.

والتقوى، ويبتهج بمخافة الرب. لا يقضى بحسب ما ترى عيناه، ولا يحكم بحسب سماع أذنيه، بل يقضى للفقراء بالعدل. وينصف الظالمين بكلام كالعصا ... لا يسيء أحد، ولا يفسد، أينما كان في جبلى المقدس، لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب، كما تمتلأ المياها البحر^١، كما جاءت نصوص صريحة بالبشارة به فى الإنجيل. فقد جاء فى إنجيل لوقا:

وستظهر علامات فى الشمس والقمر والنجوم، ويصيب الأمم فى الأرض قلق شديد ورعب من ضجيج البحر واضطراب الأمواج. ويسقط الناس من الخوف ومن انتظار ما سيحلُّ بالعالم، لأن قوات السماء تنزعزع وفى ذلك الحين يرى الناس ابن الإنسان آتيا فى سحابة بكل عزة وجلال. وإذا بدأت تتم هذه الحوادث، قفوا ورفعوا رؤوسكم لأن خلاصكم قريب^٢.

وجاء فى الأخبار:

يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيأتي منادٍ ينادي هذا المهدي خليفة الله فتبعوه^٣.

وقد ورد فى تفسير أبى حمزة الثمالى للأية الكريمة:

﴿طَسْمٌ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^١

١. سفر أشعيا. الإصحاح ١١، الأعداد ١-٩.

٢. إنجيل لوقا، الإصحاح ٢١، الأعداد ٢٥ - ٢٨.

٣. كشف الغمة، ج ٢، ص ٤٧٠. العرف الوردى فى أخبار المهدي، حديث ٣١، ص ٦١.

صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان، تخرج به العوائق من البيوت وتضج له أسماء.^٢

فحينما نقرأ تلك النصوص نجد لها مطابقة لما ورد في الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام، والروايات الواردة عن أهل بيته الأطهار عليهم السلام من طريق أهل السنة والشيعة، من تلك النصوص:

- المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة؛^٣

- المهدي مني؛ أجلي الجبهة، أقتنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين؛^٤

- القائم بعدى في الجنة.^٥

وعليه، فالآيات والأحاديث كثيرة والمقام لا يتسع لذكرها كاملة، ولكن كلها تجمع على حتمية وجود إمام حق في آخر الزمان يهتدى به، ويكون حجة على أهل زمانه في الدنيا والآخرة، يقول عز وجل:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.^٦

١. الشعراء: ١-٤.

٢. تفسير القرآن العظيم لأبي حمزة الثمالي، جمعه عبد الرزاق محمد حسين حرز المدين، دار المفيد، بيروت، ط. ١، ١٤٢٠: ٢٠٠٠، ص ٢٥٥-٢٥٦. وانظر أيضاً "تفسير القرطبي"، ج. ١٣، ص. ٨٩.

٣. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للمجلال السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١، ١٤١٠، ١٩٩٠، الحديث ٩٢٤٣.

٤. الجامع الصغير، ج. ٢، ص. ٥٥٢ - ٥٥٣، الحديث ٩٢٤٤.

٥. الجامع الصغير، ج. ١، ص. ٢٨٦، الحديث ٦١٧٠.

٦. البقرة: ١٢٤.

فقد جاء في سفر التكوين

ولا تسمى أبرام بعد اليوم، بل تسمى إبراهيم، لأنى جعلتك أبا لأمم كثيرة سأتميك كثيرا واجعلك أمما، وملوكا من نسلك يخرجون، وأقيم عهدا أبديا بينى وبينك وبين نسلك بعدك، جيلا بعد جيل.^١

فالإمامة عهد من الله تبارك وتعالى، ولذا كانت فى أعلى درجات العدالة والتقوى، وجعلها سبحانه فى ذريته. وهذا يجعل الذرية الإبراهيمية لا تخلو من متأهل للإمامة إلى يوم القيامة، ومما يؤكد قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^٢ فقد جاء عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال: فىنا نزلت هذه الآية...، "وعلق عليها أبو حمزة الثمالى بقوله: "والإمامة فى عقب الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام إلى يوم القيامة"^٣ فقد ورد فى الحديث:

لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطؤ اسمه
اسمي.^٤

وجاء عن أم سلمة رضى الله عنها: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

المهدي من عترتي، من ولد فاطمة.^٥

١. إصحاح ١٧ أعداد ٥-٧.

٢. الزخرف: ٢٨.

٣. تفسير القرآن العظيم، أبو حمزة الثمالى، ص. ٢٩٨.

٤. الجامع الكبير لأبى عيسى الترمذى تحقيق بشار عواد معروف، دارالغرب الإسلامى، بيروت، ط. ١٩٩٦، م. ٤، ص. ٨٥ وانظر "العرف الوردى"، ص. ٥١، ٥٤، الحديثين ١١، ١٨.

٥. العرف الوردى، ص. ٤٩، الحديث ٧.

وقد أورد الشعراني قول ابن العربي:

واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام، لكن لا يخرج حتى تمتلئ
الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسماً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا
إلا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبلي ذلك الخليفة،
وهو من عتره رسول الله صلى الله عليه وآله، من ولد فاطمة رضي الله عنها، جده
الحسين بن علي بن أبي طالب، ووالده حسن العسكري ابن الإمام
علي النقي بالنون.^١

إن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للنهوض بهذا العالم وإعداده بصورة
عامة، وبالمؤمنين بصورة خاصة للانتقال إلى المرحلة التاريخية التي سيقودها
المهدي والتي ستبدأ في الشرق الأوسط لتسود العالم كله بإذن الله.
فلن يظهر الإمام إلا بعد توفر الشروط الموضوعية لظهوره، وهي كثيرة من
أهمها توفر العدد الكافي من الأنصار، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي، وخليفتي عليها من بعدي،
ومن ولده، القائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما
ملأت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إن الثابتين على القول
به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر...^٢

وبعد هذا سيتم التطبيق الكامل للنظام الإسلامي القائم على العدالة
والرفاهية، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

١. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأئمة المنتظرين، دار صادر، بيروت، ط. ١، ١٤٢٤، ٢٠٠٣، ص. ٤٠٥.

٢. المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

يحكم (عيسى) بين أهل التوراة في توراتهم، وأهل الإنجيل في إنجيلهم، وأهل الزبور في زبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم.^١

إذن فإمام زماننا الذي دلت عليه الآيات والأحاديث سيكون شهيدا على أمته ويحيط بها إحاطة علمية ربانية، ويعرض أعمالهم على الميزان الإلهي. فهو الهادي إلى المعروف والناهي عن المنكر، والداعي إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشبثها للذين اهتدوا بأمره على نحو التبعية:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.^٢

الهداية التي تصل إلى صريح الحق عز وجل، امتثالا لأوامره ونواهيه، وإحياء لسنة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام، كما جاء في الروايات:

إن القائم المهدي من نسل علي، أشبه الناس بعيسى بن مريم خلقا وخلقا، وسمتا وهيبة، يعطيه الله عز وجل ما أعطى الأنبياء، ويزيده ويفضله، إن القائم من ولد علي له غيبة كغيبته يوسف، ورجعة كرجعة عيسى بن مريم.^٣

إن محور حكومة المهدي قائمة على احترام الكرامة الإنسانية، بل تصل إلى أوجها وقمتها، وذلك بإحياء تعاليم الإسلام السمحة وسنة رسول الله.

١. الإمام المهدي في الأحاديث المشتركة، ص. ٢٦٠، ج. ٥٦١. وانظر أيضا "دائرة المعارف الإسلامية" (النسخة الفرنسية)، لندن - باريس، ١٩٨٦، ج. ٥، ص. ١٢٢٣. العرف الوردى، ص. ١١٠، الحديث ١٥١.

٢. يونس: ٣٥.

٣. الإمام المهدي، ج. ١٤٤، ص. ٦٢-٦٣.

ففي رواية عن علي عليه السلام: "ألا إنه المهدي، أشبه الناس خلقا وخلقا وحسنا برسول الله"، وروى أبو داود بسنده عن علي، عن أبي إسحاق قال: قال علي رضي الله عنه، ونظر إلى ابنه الحسن، فقال: "إن ابني هذا سيد"، كما سماه رسول الله ﷺ: "سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق، ولا يشبهه في الخلق"، ثم ذكر قصة: "يملأ الأرض عدلا".^٢ يقول ابن العربي في الفتوحات:

إذ لا يكون احد مثل رسول الله ﷺ في أخلاقه.^٣

صاحب الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة، التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، ووصف بعضها بأنه جزء من أجزاء النبوة، وهي حسن الخلق، فقال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾،^٤ وقالت عنه عائشة رضي الله عنها:

كان خلقه القرآن، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه.

فالمهدي سيكون الإنسان الكامل، من خلال إدراكه للحقيقة المحمدية، وبلوغه منتهى المعرفة والحقيقة لقوله ﷺ:

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.^٥

١. الإمام المهدي، ج. ١٤٢، ص. ٦٢.
٢. سنن أبي داود، ج. ٤، ص. ٤٧٧، الحديث ٤٢٩٠.
٣. البيهقي والجواهر، ص. ٤٠٥.
٤. سورة القلم: ٤.
٥. المقاصد الحسنة نسخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. ٣، ١٤١٧ - ١٩٩٦، ص. ١٣١ - ١٣٢.

فبين عليه الصلاة والسلام أن الغاية هي الإصلاح والأخلاق، وإتمام مكارم الأخلاق. فمهما يكن من أمر، فإن المهدي - عند الفريقين: أهل السنة والشيعه -، وظيفته واحدة، وإن اختلفت طرق التعبير عنها. فالاتفاق الحاصل، أنه سيؤدي الوظيفة نفسها. كما قال الشيخ الصدوق:

والإمام ليس برسول ولا نبي ولا داع إلى شريعة ولا ملة غير شريعة محمد ﷺ وملته.^١

ولذا فوظيفة المهدي ﷺ الذب عن سنة رسول الله، والعمل بها، وإحيائها، والسعى في الأرض لتحقيقها. فإتباع رسول الله ﷺ منوط لخدمة الله وطاعته. وحاصل الكلام أن اتباعه يحصل محبة الله، ومحبة الله هي غاية المراد والمقصود، لأنها نهاية المقامات، وأنهى الأحوال والغايات، فأى مقام أعلى مقام المحبوب لله؟!!

ولن تتحقق هذه الحكومة بصورة مفاجئة أو دفعة واحدة، ولكن تبعاً لما تناله البشرية من تربية وأخلاق. فإن قيل: "الكلام على الشيء، فرع عن تعقله"، فحقيقة هذا الظهور مرتبط بالتمهيد والإستعداد كما جاء في الآية الكريمة: **مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**^٢ أى يسوون المضاجع. وقيل أيضاً:

يوطنون لأنفسهم في الآخرة، فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح.^٣

١. كمال الدين وتمام النعمة ج ٢، ص. ٦٥٩.

٢. السورة الروم ٤٤.

٣. "جامع مختصر تفسير نظري بهامش القرآن الكريم، لمروان سوار، دار الفجر الاسلامي دمشق، ط ٢، ١٤١٢ - ١٩٩١. جامع لأحكام القرآن لنقرضبي، ضبطه وعلق عليه محمد ابراهيم

وهذا هو الانتظار الإيجابي: انتظار يعتبر صاحبه ممهدا لحكومة المهدي. فبالعمل الصالح والمجاهدة حيث قال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^١ رحمة منه لنا، وجود وفضل، ووعدنا بذلك بالهداية والنصر، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^٢ كما وردت أخبار تشبه المنتظر للمهدي، بالمجاهد في سبيل الله، كالخبر، الذي رواه ابن بابويه القمي بسنده عن أمير المؤمنين عبد السلام:

قال المنتظر لأمرنا، كمتشحط بدمه، في سبيل الله.^٣

كما جاء في الإنجيل:

صوت مناد في البرية: أعدو طريق الرب! واجعلوا سبله مستقيمة!^٤

ولا حكومة إلا حكومة المهدي التي ستقوم في آخر الزمان لتعيد الحق إلى نصابه والقضاء على الفوضى العارمة التي تجتاح العالم. فإن عصر الظهور، عصر أخلاقي لا فصل فيه بين العلم والأخلاق، فهو عصر الرفاهية الاقتصادية، وهو عصر الكرامة الإنسانية التي عرفت انتهاكات

١. الحفاوى، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣/٢٠٠٢، ج. ١٤، ص. ٣٦٦، والنظر أيضا الكشاف عن حقائق التنزيل وتوحيده، دار الفكر، ط. ١، ١٣٩٧/١٩٧٧، ج. ٣، ص. ٢٢٥.

٢. التوبة: ٤١.

٣. العنكبوت: ٦٩.

٤. كمال الدين وتمام النعمة تصحيح وتعليق على أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٥، ط. ٢، ص. ٦٤٥.

٥. إنجيل متى، الأصحاح ٣، الأعداد ١-٣.

أخلاقية خطيرة. عصر رعاية حقوق البشر، والرجوع به إلى فطرته وطبيعته التي خلق عليها:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ^١.

فأصبح واضحا أن الخروج من هذه المشاكل التي تتخبط فيها الإنسانية سواء أكانت اقتصادية أو أخلاقية، إلا بالمخلص "المهدي المنتظر"، وحده الذي يملك أن يعمر الأرض بعد أن خربت، وحكومته حكومة بالغة العدالة، والتنمية.

روى المفيد عن سعيد بن جبير قال:

إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام، تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة، ترى آثارها وبركاتها.^٢

وبالتالي فالمهدي سيكون رحمة لهذه الأمم، التي عاشت قروناً من الظلم والفساد، وهو امتداد للرسول الأعظم الذي أرسل رحمة للعالمين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). فهو يتمثل هذه المعاني، معاني الرحمة والحجة، حجة الله التي يقيم بها الله العدل في الأرض والسماء، وهذا من ثوابت الحق والعدل.

١. التين: ٤ - ٥.

٢. الإرشاد في معرفة حجج نبياد، مؤسسة التشاربان محبين، قم، ط ١، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، ص. ٥٣٥. وخرج البزاز في مسنده، والضبراني في معجمه الأوسط والنقذ لنظيراني، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكون في أمتي المهدي، إن قصر، فسبع، وإلا فثمان وإلا فتسع، تنعم فيها أمتي نعمة لم ينعموا بمثله، ترسل السماء عليهم مدرارا، ولا تذخر الأرض شيئا من الثبات، والعمال كادوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي! أعطني! فيقول خذ، مقدمة ابن خلدون، ص. ٣٢١، المعروف بالوردى، ج. ٤٣، ص. ٦٧.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي في وسطها.^١
فالمجتمع المسلم السليم تأسس من خلال سلوك النبي ﷺ وأخلاقه،
ولذا فالمهدي منهجه وفكره مستوحى من سيرة النبي وآله، كما قال السيد
المسيح:

ما تعليمي من عندي، بل من عند الله الذي أرسلني.^٢

وعن كعب قال:

المهدي خاشع لله، كخشوع النسر ينشر جناحه.^٣

وكما ورد في الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية ظهور المهدي:
يصنع ما صنع رسول الله. يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر
الجاهلية ويستأنف الإسلام جديدا.

وعن عائشة رضى الله عنها، عن النبي ﷺ قال:

هو رجل من عترتي، يقاتل على سنتي، كما قاتلت أنا على الوحي.^٤
و من هنا، نرى في ختام البحث أن أى مشروع فكرى أو سياسى، لا
يمكن أن يكتب له النجاح إذا لم يكن قائما على أسس تربوية وأخلاقية.

١. العرف الوردي، ص. ٧٤، الحديث ٦٦.

٢. يوحنا: ١٦٧.

٣. العرف الوردي، ص. ١٠٤، الحديث ١٠٤.

٤. العرف الوردي ح. ١٤٧، ص. ١٠٧.

يستوى فى ذلك المشاريع الدينيّة، والغير الدينيّة، وأى مشروع، لا يمكن أن يتحقق على صعيد الواقع، وأن يضمن له إنجاز أهدافه، إلا بقدر ما يملك من عمق فى أخلاقيّاته.

إذا كان هذا شأن هذه المشاريع، فما شأن حكومة المهديّ الذى سيغير ما كان، وتحقق العدالة المطلقة، واحترام الكرامة الإنسانيّة، وتنشر الرحمة والحرية وتتمم الأخلاق... يعنى أن يجمع كل شخصيات الرسل فى شخصه، وكل رسالات الرسل فى رسالته، يتسع مشروعه لكل الحياة وكل الناس، لأنه يحمل الأسس الصحيحة - التربوية والأخلاقيّة - يجعل من قيم الأرض قيما سماوية، والذى ينطلق بالإنسان من آفاق الأرض إلى آفاق السماء بامتدادها وشموليّتها.

كُبريات أهداف الدولة المهدوية

ابتهال سيد محمد مناف

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ^١

مابين الانتظار والأهداف

لقد وردت الأحاديث الشريفة الحاتة حثاً شديداً على انتظار دولة الإمام
محمد المهدي عجته وترقب ظهوره واناطة الفرج الأكبر بقيامه ونهوضه، ومن
بين ذلك قول الإمام محمد الباقر عجته:

اعلموا أن المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم. وجاء في عبارة
الإمام الصادق عجته:^٢ (مُتَظَرِّبِينَ لِدَوْلَةِ الْحَقِّ)^٣. وإذا ما درسنا فلسفة الانتظار

١. سورة الحديد ٢٥.

٢. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٢٣.

٣. همان، ج ١، ص ٣٣٤.

دراسة واعية فسوف نعرف جيداً أنه يعنى الانتظار الايجابى للأهداف الإلهية الكريمة التى تتحقق على يديه عليه السلام، كما يعنى التأكيد على الأهمية البالغة فى المساهمة الفعالة الرشيدة فى أنشطته وأعماله وجهاده الذى لا يُطال، حتى قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: مَنْ أَدْرَكَ قَائِمَنَا فَخَرَجَ مَعَهُ فَقَتَلَ عَدُوَّنَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجْرِ عِشْرِينَ شَهِيداً.^١

إنَّ دولة الإمام محمد المهدى عليه السلام أمل مشرق من أكبر آمال الانسانية المعذبة يُعَلَّلُ فيه الرسول وأئمة أهل البيت عليهم السلام القلوب الولهى والأكباد الحرى لجماهير المحرومين والمضطهدين والمقهورين، ويعدونهم الوعود الصادقة اليقينية الانجاز بما طفحت به روايات مختلف المسلمين ؛ من أجل أن يستمروا فى السير المظمن الواثق الخطى على الطريق الإلهى السليم، ومن أجل أن يصبروا على البلايا والرزايا صبر الكرام المحتسبين حتى يأذن الله تعالى بتفريج الغموم والهموم وكشف الأشجان والأحزان.^٢

ومن هنا نستطيع أن ندرك سراً بارعاً من أسرار عدم التوقيت لظهور الإمام المهدى عليه السلام، بمعنى أن المؤتمنين على أديان السماء عليهم السلام لم يضعوا أجلاً مسمىً وزمناً محدداً تبرز الطلعة المهدوية فى إبانة الى تحرير البشرية من الأغلال، بل جعلوا لذلك علامات ومؤشرات سوف تبدو للعيان وتظهر على

١. همان، ج ٢، ٢٢٣.

٢. وعن الأجر العظيم الذى يتلقونه جراء صبرهم المتميز واحتمالهم الشديد يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: سيأتى قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم. قالوا: يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فىنا القرآن؟ قال: إنكم إن تحملوا ما حملوا لم تصبروا صبرهم. على بن عبد الكريم النخعي وهو من علماء القرن الثامن، منتخب الأنوار المضية، ص ٢٥.

السطح في عصر من العصور غير المحددة مثل تفاقم انتشار الجور والعدوان وشروق الشمس من المغرب وحركة الدجال والخسف بالبيداء... الخ^١.

أهداف دولة الإمام المهدي تغاير أهداف غالبية الدول

ما أكثر الدول التي قامت أسسها وشيّدت على مصالح لا تنزهه عن الذاتيات والانكفاء على النفسيات الضيقة! وما أكثر الدول التي أسست على ادعاء حفظ المصالح الوطنية أو القومية أو رعاية القضايا الانسانية أو نحو ذلك من الشعارات البراقة الزاهية الألوان، أما دولة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام فما تقوم ولن تقوم إلا على أفضل الأسس وأقوم المباني وأجمل الأغراض والأهداف البعيدة عن كل شائبة من شوائب السياسات المنحرفة والمقاصد الدنيوية الرخيصة، إن أهداف دولة الإمام المهدي عليه السلام إنما هي الأهداف السامية لآبائه الميامين عليهم السلام والتي بذلوا في سبيلها كل ما يمتلكون، وضحووا من أجلها تلك التضحيات الجسام التي حفلت بها السجلات التاريخية ودوتتها بكل فخر واعتزاز، حتى تهاووا بين قتيل يضرج بزكيات دماؤه، وبين مسموم ينكب على أفلاذ أحشائه.

١. مما يدل على صحة هذه الرؤية حول عدم التوقيت تلك الروايات المذكورة في هذا المجال مثل ما ذكره ثقة الاسلام الكليني في الكافي باب كراهية التوقيت بما مختصره:
 عن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي تنتظر متى هو؟ فقال: يا مهزم كذب الوقاتون وهلك المستعجلون وتجا المسلمون. (الكافي، ج ١، ص ٣٦٨)
 عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن القائم عليه السلام فقال: كذب الوقاتون، إنا أهل بيت لا نؤقت. (الكافي، ج ١، ص ٣٦٨)
 عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (ع) قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقاتون كذب الوقاتون كذب الوقاتون. (الكافي، ج ١، ص ٣٦٩)

لقد تلقى الإمام المهدي عليه السلام تلك التربية السياسية وتغذى بها على يدي
بناييع المدرسة الإلهية التي رفعت شعار القائل:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْيَأْسَاءُ لِأَجْرِ ذَلِكَ
وَقَضِيلِهِ، وَرُهِدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ رُخْرَفِهِ وَزَبْرِجِهِ.^١

تلك المدرسة الفريدة من نوعها والتي ما زال شعارها الخالد خفاقاً يرفرف
عالياً فوق الذرى:

إني لم أخرج بطراً ولا أشراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب
الصلاح في أمة جدي محمد، أريد أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير
بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب.^٢

الأهداف الرئيسية للدولة المهدوية

إنَّ المباني والقواعد التي ترتكز دولة من الدول على أرضيتها هي التي تحدد
الأهداف وترسم الغايات من وجودها إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وبما أن

١. من خطاب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام انظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ١٦٦.
قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح هذا النص: الرخرف: الذهب ثم شبه به كل ممسود مسزور
قال تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا» والمزخرف المزين، والزبرج: الزينة من وشمى
أو جوهر ونحو ذلك.

٢. من كلام الإمام الحسين عليه السلام وقد روى بصورة أخرى ولكنها قريبة الشبه بهذه الرواية، ابن
شهر آشوب السروي، المناقب، ج ٤، ص ٩٠، وفي مثل هذا السياق من التربية السياسية الرائدة
يروى لنا عبد الله بن العباس قالاً: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب فقلت
فقال لي: ما قيمة هذا النعاس؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال: والله ليهي أحب إلي من إمرتك إلا أن
أقيم حقاً أو أدفع باطلاً، (شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٨٥)

القرآن الكريم كما هو هو في عظمة أهدافه، والسنة المطهرة كما هي هي في جلال أهدافها هما القاعدتان الصلبتان للدولة المهدوية والمحوران اللذان تدور علي مفاهيمهما وتعاليمهما ما دارا، إذن ندرك من هذا أن الدولة المهدوية دولة الخير العميم والسعادة الكبيرة والرحمة المنهمرة والنور المبين... بالامكان ترجمة معانى الخير والسعادة والرحمة والنور الى الخطوط الرئيسية التالية:

أولا

تطهير الدين كأفكارٍ وقوانينٍ من كل ما طرأ عليه عبر التاريخ الطويل من الانحرافات والخرافات والأضاليل، وتقديمه للبشرية كما أنزله الله نبارك وتعالى خالصاً تقياً لا كدر فيه ولا غبار عليه.

لا شك أن القرآن الكريم هو المصدر الأكبر للأفكار والقوانين الاسلامية وقد تكفل الله تعالى بصيانة كلماته وحفظ نصوصه المقدسة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^١

ولكن سنة النبي وآله الطاهرين التي هي المصدر الثانى للأفكار والقوانين قد غير كثير منها، وأضاف الجاهلون والمغرضون والصادررون والواردون اليها الشيء الكثير بل الكثير جداً حتى قال الطبرانى على سبيل المبالغة فى ذلك: الحديث الصحيح فى الحديث الكاذب مثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود.

وعن مثل هذه الأجواء المعتمنة والمشحونة بالافتراءات والأكاذيب يحذر الرسول الأعظم ﷺ الأمة من مغبة الوقوع في مستنقعات الافتراءات والأكاذيب عليه، وذلك بقوله الشهير:

مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.^١

وفى حديث عنه ﷺ:

مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.^٢

وقال الإمام جعفر الصادق ﷺ:

إن الناس أولعوا بالكذب علينا... إني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله؛ وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا وكلّ يحب أن يدعى رأساً.^٣

ولما كان القرآن الكريم مصوناً من التحريف من قبل العزيز الحكيم ولا يمكن بحال تغيير نصوصه الإلهية مطلقاً، لذلك فقد عمد الوضّاعون والمدلسون والظالمون الى تغيير تفسيره وتأويله وتحريف معانيه، وتلقّى ذلك عنهم كثير من الناس بما فيهم جملة كبيرة من علماء التفسير من غير ادراك لما جرى ووقع، ولسنا نستطيع تنزيه كل الناس وكل المفسرين عن عدم

١. بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٤٦.

٢. همان، ج ٢، ص ١١٨.

٣. همان، ص ٢٤٦.

القصدية في الأخذ بما هو كذب متعمد وخيانة مدروسة لكتاب الله العزيز. ومن الأمثلة الواردة على ذلك:

١. أن سائلاً سأل أبا ذر وهو بالربذة ما أنزلك هذا المنزل؟ فقال: كنا بالشام فسألني معاوية عن هذه الآية «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ». 'أهي فينا أم في أهل الكتاب؟ فقال: قلت: فينا وفيهم. فقال معاوية: بل هي في أهل الكتاب. ثم كتب إلى عثمان أن أبا ذر يطعن فينا، فاستقدمني عثمان إلى المدينة فلما أقبلت قال: تنح قليلاً، فتنحيت إلى منزلي هذا.^١

٢. قال معاوية لعبد الله بن عباس: إنا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف لسانك.

فقال: يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟

قال: نعم.

قال: فنقرؤه ولا نسأل عما عنى الله به!

ثم قال: فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله!

١. سورة التوبة / ٣٤.

٢. قطب الدين الراوندي، فقه القرآن، ج ١، ص ٢٤١.

قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك.
 قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي أنسأل عنه آل أبي سفيان! يا معاوية
 أنتهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام، فإن لم تسأل الأمة عن
 ذلك حتى تعلم، تهلك وتختلف.
 قال: اقرءوا القرآن وتأولوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم وارووا ما
 سوى ذلك.

قال: فإن الله يقول في القرآن:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ
 وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^١

قال: يا ابن عباس اربع على نفسك وكف لسانك، وإن كنت لا بد فاعلاً
 فليكن ذلك سراً لا يسمعه أحدٌ علانية.^٢

ويأتى الإمام المهدي المنتظر عليه السلام بمقاصده السامية وهمته العليا وبفكره
 الثاقب المنير وإحاطته الواسعة الكاملة بالكتاب والسنة فيبرز الحقائق القرآنية
 والنبوية كما أرادها الله ورسوله ﷺ، مشرقة ساطعة تضيء العباد والبلاد،
 ويميط عنهما كل زيغ وضلال وزلل وخلل بإرادة محمدية لا تميد، وعزيمة
 علوية لا تحيد... فلنستمع وكلنا آذان صاغية، ولننصت من بين قضبان الزمان
 وأسوار الأعوام الى أغاريد الطروبة وكلماته العذاب وقد أسند ظهره ﷺ إلى
 البيت الحرام مستجيراً به ينادي: فمن حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم،

١. سورة التوبة ٣٢.

٢. النظر بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٢٤-١٢٥.

ومن حاجتني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجتني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم عليه السلام ومن حاجتني في محمد صلى الله عليه وسلم فأنا أولى الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن حاجتني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين...ألا ومَن حاجتني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله، ألا ومَن حاجتني في سنة رسول الله وسيرته، فأنا أولى الناس بسنة رسول الله وسيرته.^١

ثانياً

تطبيق الدين وإجراء أحكامه على صعيد الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي...وفي دعاء الافتتاح ما يشير الى هذين الأمرين: اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك... اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق...اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزُّ بها الإسلام وأهله وتذلُّ بها النفاق وأهله.^٢

وقد ورد في حديث الإسراء ما قاله الله تبارك وتعالى للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم:

هذا القائم الذي يحل حلالاً ويحرم حراماً، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأولياي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين.^٣

١. الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الاختصاص، ص ٢٥٦-٢٥٧.

٢. ابن طاووس، إقبال الأعمال، ص ٦٠.

٣. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٥٩.

وجاء في الدعاء في غيبة القائم الذي سوف يأتي التعريف به: وَجَدَّ بِهِ مَا
امْتَحَى مِنْ دِينِكَ، وَأَصْلِحْ بِهِ مَا بَدَّلَ مِنْ حَكْمِكَ، وَغَيِّرْ مِنْ سُنَّتِكَ، حَتَّى
يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًا جَدِيدًا صَحِيحًا لَا عَوْجَ فِيهِ وَلَا بَدْعَةَ مَعَهُ،
حَتَّى تَطْفِئَ بَعْدْلَهُ نِيرَانَ الْكَافِرِينَ.^١

من البديهيات الدينية أن الله سبحانه قد أتى بالدين الاسلامي للناس من
أجل فهمه واستيعاب تعاليمه وتشريعاته، ثم انزالها الى حيّز الممارسة والتنفيذ
العملي، إذ لم يكن شيء اسمه العلم أو الفكر أو المعرفة في الاسلام مجرد
قوانين توضع فوق الرفوف ولا مفاهيم تسودع في بطون الكتب، بل شأن
الاسلام انقاذ المجتمعات من التخبط في الرأي والتفكير من جهة، ومن
الانزلاق في مهاوى الإجراءات التعسفية والتطبيقات الهوجاء لمبادئ الحرية
والكرامة والإحسان والحق والعدالة، من جهة ثانية.

﴿اتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾.^٢

ثالثاً

الدعوة العامة الى الدين الاسلامي بشتى الوسائل المتاحة وبث التعاليم الإلهية
السليمة في كافة أرجاء الكرة الأرضية حتى تكون معمورة بذكر الله عز وجل
مهتدية بهدى الأنوار السماوية الساطعة، وهو ما يشير اليه الظاهر من قوله
تعالى:

١. الشيخ محمد بن علي الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٤.

٢. سورة البقرة / ٤٤.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^١

أى ليظهر دين الإسلام بالحجج والبراهين على جميع الأديان، وقيل:
بالغلبة والقهر والانتشار فى البلدان.

وقيل: إن تمام ذلك عند خروج المهدي عليه السلام فلا يبقى فى الأرض دين
سوى دين الإسلام.^٢

قال اسماعيل السدى فى تفسير هذه الآية المباركة: ذلك عند خروج
المهدي لا يبقى أحد إلا دخل فى الإسلام أو أدى الخراج.^٣

وفى الدر المنثور لجلال الدين السيوطى: أخرج سعيد بن منصور وابن
المنذر والبيهقى فى سننه عن جابر فى قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾
قال: لا يكون ذاك حتى لا يبقى يهودى ولا نصرانى صاحب ملة إلا ودخل
الإسلام.^٤

مما لا ريب فيه أن الإسلام فى زمن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يظهر على كل
الأديان من حيث القيادة والحكم والرئاسة العامة، فقد بقيت الديانة المسيحية
هى الحاكمة والمسيطرة على كثير من أنحاء العالم آنذاك. وإذا كان المقصود
من الدين كل عقيدة أو شريعة ادعت الانتساب الى السماء بحق أو بباطل،

١. سورة التوبة ٣٣.

٢. بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٠٩.

٣. انظر التفسير الكبير للرازى، ج ١٦، ص ٤٠؛ تفسير القرطبي، ج ٨، ص ١٢١؛ بحار الأنوار، ج ١٧،
ص ١٨٣.

٤. السيوطى، الدر المنثور، ج ٤، ص ١٧٥.

فإن الديانة الابراهيمية والزرادشتية وغيرهما كانتا من الأديان المسيطرة على بقاع كثيرة من العالم ولم يكتسحها الدين الاسلامي في عهد النبوة. ودولة الإمام المهدي هي التي تجتاح كافة الأديان وترسي دعائم الاسلام في كل البلدان، وبذلك يتحقق الهدف الأكبر من ارسال الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ﴿بِالْمُهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

ولقد جاء في حديث المعراج عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل وهو يكلمه عن أوصيائه من الأئمة الطاهرين ﷺ: وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلنن بهم كلمتي، ولأظهرن الأرض بأخرهم من أعدائي، ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرن له الرياح، ولأذلن له السحاب، ولأرقينه في الأسباب، ولأنصرنه بجنودي، ولأمدنه بملائكتي، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدى، ثم لأدمنن ملكه، ولأداوئن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة.^١

وروى عن الإمام الصادق ﷺ وهو يتحدث عن القائم من أهل البيت ﷺ وإنجازاته الدينية الكبرى: يُظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ويُنزل روح الله عيسى ابن مريم ﷺ فيصلى خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون.^٢

١. الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٢٦٥.

٢. الشيخ الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٣٤٦.

رابعاً:

توحيد صفوف المؤمنين في أقطار الأرض وجمع شتاتهم، وتطوير حالاتهم الروحية والمعنوية وتحسين أوضاعهم المعاشية وانقاذهم من مختلف الشرور والمخاطر والعاهات الجسمية: اللهم الممُّ به شعنا واشعب به صدعنا وارفق به فتقنا وكثر به قلتنا وأعزز به ذلتنا وأغن به عائلنا، واقض به عن مغرنا واجبر به فقرنا وسد به خلتننا ويسر به عسرنا وبيض به وجوهنا وفك به أسرنا وأنجح به طلبتنا وأنجز به مواعيدنا واستجب به دعوتنا وأعطنا به سؤلنا وبلغنا به من الدنيا والآخرة آمالنا وأعطنا به فوق رغبتنا يا خير المسؤولين وأوسع المعطين اشف به صدورنا وأذهب به غيظ قلوبنا.^١

قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: إذا قام قائمنا أذهب الله عن شيعتنا العاهة وجعل قلوبهم كزهر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً ويكونون حكام الأرض وسينامها.^٢

وقد وردت هذه الفقرات العالية المضامين أثناء الدعاء في غيبة القائم عليه السلام ذلك الدعاء الرفيع الشأن والذي رواه علي بن همام عن الشيخ العمري، الوكيل الخاص للإمام المهدي عليه السلام وأظهر به الحق، وأمت به الباطل، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل، وأنعش به البلاد، واقتل به جبابرة الكفر، واقصم به رؤوس الضلالة، وذلل به الجبارين والكافرين، وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين والملحددين في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها

١. من دعاء الافتتاح، إقبال الأعمال، ص ٦١.

٢. انظر الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ٨٠.

وسهلها وجبلها، حتى لا تدع منهم دياراً، ولا تبقى لهم آساراً، وتظهر منهم بلادك، واشف منهم صدور عبادك.^١

خامساً

نشر أريج العدالة الحقيقية ما بين مختلف الناس وإنقاذ البشرية من كافة مظاهر الجور والطغيان والاستبداد والتدهور الأمني والضعف الاقتصادي وتفاقم الشرور، كما قال رسول الله ﷺ:

إِذَا عَجَّلَ اللَّهُ خُرُوجَ قَائِمِنَا يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ
ظُلْمًا وَجُورًا.^٢

وقال رسول الله ﷺ:

لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل
من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ظلماً وعدواناً.^٣

وعن علي عليه السلام:

لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها
وذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم
حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات،
وعلى رأسها زنبيلها لا يبيجها سبغ ولا تخافه.^٤

١. الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٤.

٢. المنجسي، بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٣٠٧.

٣. مسند أحمد، ج ١، ص ٣٦، منتخب الأثر، نلطف الله الصافي، ١٤٨ ص ١٩.

٤. ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ١١٦.

فعند ذلك تفرّخ الطيور في أوكارها، والحيتان في بحارها، وتُمدّ الأنهار، وتفيض العيون، وتنبت الأرض ضعفاً أكْلِها.^١

لو كان مجيء الدولة المهدوية بعد إنصافٍ منتشرٍ وعدلٍ منبسطٍ وخيرٍ متنوعٍ ونورٍ مزدهرٍ وغنىٍ ظاهرٍ وأمانٍ باهرٍ لكان أمر انطلاقتها وتمكّن حكمها ونفوذها في الشرق والغرب أمراً عجباً مؤنساً للقلوب الطيبة ومدهشاً للعقول النيرة، لأن ذلك الانصاف والعدل والخير والنور والغنى ونحوها من الأمور المفترضة لم تكن غير شيءٍ محدودٍ ونسبيٍ لا أكثر، أما إذا ما كانت الدولة المباركة بعد سيول هادرة من الشر والظلم والانحراف والخيانة والدجل... فإن وجودها أعجب للناس وأنس للقلوب وأدهش لأولى الألباب.

إن مجيء الدولة الكبرى بعد آفات وفتن وأهوال لا تعد ولا تحصى، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معالم رئيسية منها في كلامه الشريف: إن علامة ذلك إذا أمت الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وقطعوا الأرحام، وآتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادة الزور، واستعلن الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان، وأكرمت الأشرار، واختلقت القلوب، ونقضت العهود، وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أردلهم، واتقى الفاجر مخافة شره، وصدّق الكاذب، واؤتمن الخائن،

١. حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الشيخ المفيد في الاختصاص، ص ٢٠٩.

وَأُتْخِذَتِ الْقِيَانُ وَالْمَعَارِزُ، وَلَعَنَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ
وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخِرُ قَضَاءً
لذِمَامِ بَغَيْرِ حَقِّ عَرَفِهِ، وَتَفَقَّهَ لَغَيْرِ الدِّينِ، وَأَثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ،
وَلَبَسُوا جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ، وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجَيْفِ وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ.^١

فَمَرَحاً مَرَحاً بِكَ مِنْ دَوْلَةِ كَرِيمَةِ زَاكِيَةِ تُسَعِدُ الصَّالِحِينَ بَعْدَ الشَّقَاءِ وَالْعَنَاءِ،
وَتُبِيرُ الطَّالِحِينَ بَعْدَ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، وَتُنْعِشُ الْمُسْتَضْعِفِينَ بَعْدَ الْبُؤْسِ وَالْهَوَانِ،
وَتُرْشِدُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَتَهْدِي إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَمَرَحاً مَرَحاً بِكَ يَا صَاحِبَ (الطَّلَعَةِ الرَّشِيدَةِ وَالغُرَّةِ الْحَمِيدَةِ)، مَرَحاً مَرَحاً
بِكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى ﷺ، مَرَحاً مَرَحاً بِكَ يَا ابْنَ عَلِيِّ الْمُرْتَضَى ﷺ،
مَرَحاً مَرَحاً بِكَ يَا (ذَخِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ) وَحَامِلَ لُؤَاءِ الصَّدِيقِينَ وَالْأَصْفِيَاءِ.

يَا سَيِّدَنَا الْمَفْدَى إِنَّ الدِّينَ وَالدُّنْيَا يَنْتَظِرَانِ قَدُومَكَ الْمَيْمُونَ وَالْمَنْجِدِ،
وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ وَالسُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ يَتَشَوَّقَانِ إِلَى ظَهْوَرِكَ الْعَزِيزِ وَالْمُبْهَجِ، فَالْعَجَلِ
العجل، ثُمَّ الْعَجَلِ الْعَجَلِ، فَإِنَّ طَوْلَ الْإِنْتِظَارِ قَاتِلٌ وَإِنْ كُنَّا عَلَى الْقَتْلِ صَابِرُونَ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ.

اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ
حُجَّتَكَ.

١. نظر: إكمال الدين وإتمام النعمة، ج ٢، ص ٥٢٦.

اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا تُعَرِّفُنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ
دِينِي.^١

وأخيراً أتقدم الى مؤتمر الكرم حول الإمام المهدي عليه السلام بأسمى آيات
الشكر الجزيل والثناء الجميل، وأسأل الله تبارك وتعالى له الإدامة والقبول،
وللقائمين عليه السداد والتوفيق ومضاعفة الأجر، حيث جعلتموني أنطلق في
الرحاب الواسعة والسامية، العابقة بعطر النبوة والامامة لابن الرسول، المؤمل
المنتظر، جعلنا الله جميعاً من صفوة أوليائه الذابين عنه، أنه رحيم لطيف مجيب
الدعاء. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا وحبیب قلوبنا محمد
وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

سفيد

مباني وأهداف المجتمع الاسلامي والحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام

محمود رجب احمد بخيت

المقدمة نداء واستغاثة بصاحب العصر والزمان عليه السلام

الحمد لله والصلاة على محمد وآله واللعن على اعدائهم اجمعين.

يا رب الحسين بحق الحسين اشف صدر الحسين بظهور الحجة عليه السلام

الوارد في الروايات الشريفة، في سفينة النجاة - للعلامة السيد عبد الحسين

إبراهيم العاملي - قال في ص ٣٤٠: إن صاحب العصر عليه السلام عندما يدخل

كربلاء - بعد ظهوره الاقدس - ويصل الى الضريح المقدس، يأتيه النداء من

داخل القبر الشريف: "الي الآن يا ولدي".

اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في

هذه الساعة، وفي كل ساعة، وليا وحافظا، وقائدا وناصرا، ودليلا

وعينا حتى تسكنه ارضك طوعا، وتمتعه طويلا.

اقول سيدى يابن أمير المؤمنين، بنفسى انت من مغيب لم يخل منا، بنفسى
أنت من نازح ما نرح عنا.

سيدى ماذا وجد من فقدك وماذا فقد من وجدك يابن رسول الله؛

اللهم إن حال بينى وبين سيدى صاحب الامر والزمان صلوات الله
عليه الموت الذى جعلته على عبادك، حتما مقضيا، فأخرجنى من
قبرى، مؤتزرا كفى، شاهرا سيفى، مجردا قنائى و ملبيا دعوة
الداعى، فى الحاضر والبادى. اللهم أرنى الطلعة الرشيدة والغرة
الحميدة، وأكحل ناظرى بنظرة من اليه.

أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم
ان الهدف الاساسى للظهور الشريف هو إتقاذ البشرية من امراضها النفسانية
والاجتماعية والتي سببت العديد من المشاكل وجرت الحروب والويلات.
فعند مجيئه صلوات الله وسلامه ع سيؤسس لحياة راقية تتلائم مع النفس
الانسانية الصالحة والمجتمع الانسانى السعيد وذلك بعد ان يصلح النفوس
والمجتمعات ويعرفهم حقيقة وكنه النفس الانسانية، تلك النفس التى تحوى
فى اعماقها معرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة الرسول ﷺ ومعرفة الائمة
الهداة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومعرفة طريق السعادة الأبدية فى
ذاتها والتي كان من المفروض الا تغيب هذه المعارف وهذه الحقائق عنها أبدا
لولا الحجب الظلمانية والنورانية.

فتعالى أخى القارئ معى لنستعرض أهم المبانى و السبل التى سيسلكها
صلوات الله وسلامه ع لاصلاح النفوس وبالتالي المجتمعات.

والكلام يقع فى مطلبين:

المطلب الاول: اجمال لأهم مباني وأهداف المجتمع الاسلامى الحكومة العالمية للإمام المهدي ﷺ.

المطلب الثانى: تفصيل لبعض اهم مباني وأهداف الحكومة العالمية للإمام المهدي ﷺ.

المبنى الاول الفهم العميق لحقيقة التوحيد

والمقصود من الفهم الحقيقى والعميق لحقيقة التوحيد هو تعليم وتلقين البشرية حقائق التوحيد والنبوة والولاية وتجلى المعانى والانوار للمفاهيم الكامنة فى قولنا " لا اله الا الله، محمد رسول الله، على ولى الله "، والمقامات المعنوية والغيبية لهم وكيفية السير والسلوك الى الله تعالى والى اهل البيت صلوات الله وسلامه علم اجمعين.

وهذا المبنى كما ترى يحتوى على امهات واصول المسائل الاعتقادية...
فصاحب الزمان ﷺ سوف يظهر للبشرية جميعا ويعلمهم ويلقنهم المنهج القويم فى فهم هذه الاصول والتى من اهمها:

واجب وموجد الوجود؛

وحدانيته؛

كيفية بدء الخلق؛

المشيئة (العقل الاول او سيدنا محمد وامير المؤمنين صلوات الله وسلامه
عليهما وآلهما وسلم او الحقيقة المحمدية العلوية)؛

الممازجة التامة بين القرآن وبين آل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين؛
قانون الاصطفاء الالهي.

المبنى الثاني تعليم الحلال والحرام بما يناسب زمان العدالة

اي تعليم الاحكام الفقهية والحلال والحرام بما يتوافق مع زمان بسط العدالة
ورفع الظلم والتقية وما يستتبع ذلك من معرفة الخطوط السليمة والافكار
الصحيحة ومعرفة الخطوط المعوجة و الافكار الخاطئة و معرفة الاشخاص
الصالحين (كالخراساني واليماني) والطالحين (كالدجال) ممن يتصدون للحياة
الاجتماعية، وسيعقد المؤتمرات العلمية (الخاصة بعلوم الدنيا كالطب والفيزياء
والكيمياء) والمؤتمرات الدينية (الخاصة بالديانات والمذاهب) ليقر الاسس
العلمية الصحيحة في شتى العلوم وينفي الخاطي منها، ويقر الدين الحق دين
محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

وهذا المبنى كما ترى يحتوى على تبيان احكام الحلال والحرام فى
المسائل الفقهية والعلمية والعملية فى زمان الظهور الشريف ...
ومن ضمن هذه الاحكام:

تلاشى ملكية القطائع (الاراضى وما لا ينقل) ورجوعها الى المالك
الحقيقى (صاحب الامر عليه السلام)؛

اعادة توزيع الثروات وفق منطق محمدى مهدوى جديد؛

المهدى عليه السلام يقضى بقضاء داود وسليمان (اي بلا بينة)؛

المهدي ﷺ لا يستتیب احدا؛

المهدي ﷺ يضرب أعناق النواصب؛

المهدي ﷺ يقتل الكفار والمنافقين (حيث انهم سيعرفون بسيماهم)؛

المهدي ﷺ سيقتل ٤٠ الفا من العلماء وقارئى القرآن ثم سبعين الفا من

شيعة العراق لانهم يتأولون عليهم دين جده صلوات الله وسلامه عليه؛

المهدي ﷺ سيقتل من الشيعة اكثر من غيرهم، ومن المسلمين اكثر من اليهود و

النصارى والبوذيين؛

المهدي ﷺ يقتل من لا يتفقه فى الدين (المقصود جوهر الدين والمعصوم

وليس الاحكام فقط).

المهدي ﷺ يقتل من يدور فى قلبه نوايا وهو اجس لا توافق ما يريد ولو كان

من اخص خواصه ﷺ؛

المهدي ﷺ سيأمر بتوسعة الطرقات وإزالة الميازيب والكنف عن جانبي

الطريق ويأمر بسير الفرسان فى وسط الطريق والرجال على جانبي الطريق؛

المهدي ﷺ سيوجب الزهد وبذل اقصى غاية الجهد وسيحرم الإنغماس فى

اللذائذ الدنيوية على خواصه وعماله ومن ينوبون عنه فى شؤون دولته

المباركة ﷺ؛

المهدي ﷺ سيحرم الرهن على المؤمن وكذلك سيحرم أخذ الربح عليه

حين البيع؛

المهدي ﷺ سيوجب وراثة المؤمن لأخيه المؤمن وليس للأخ النسبى غير

المؤمن حقيقة؛

المهدي عليه السلام: سيقتل الزاني المحصن ومانع الزكاة بلا بينة؛
المهدي عليه السلام: سيقتل الدجال (لعل الدجال هو المفاهيم الغربية والامريكية
والتي يجسدها بوش وامثاله)؛
الى غير ذلك من الاحكام الكثيرة العادلة التي يستشف منها روح العدالة
الالهية.

المبنى الثالث التسليم لصاحب الامر عليه السلام

اي تطهير القلب ليسلم الله تعالى وللرسول ولصاحب العصر صلوات الله
وسلامه عليه وبعبارة اخرى تجسيد قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وذلك بتحقيق الخطوات الآتية:

الدعاء والابانة؛

محاسبة النفس؛

عد الذنوب والاعتذار الى الله تعالى؛

التقرب للامام صلوات الله وسلامه عليه؛

التوسل باهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم للقضاء على امراض

القلوب، والتي من اهمها: الحسد - الجهل المركب - الكبر؛

احياء ذكر آل محمد خصوصا مصاب سيد الشهداء صلوات الله وسلامه

عليهم اجمعين.

والبحث في هذه الموضوعات لا تحتلها هذه الرسالة القصيرة، لذا ساسلط بعض الضوء في المطلب الثاني على احد النقاط من كل مبنى من المباني الثلاثة على النحو الآتي: فسأتناول من المبنى الاول (الفهم العميق لحقيقة التوحيد) قانون الاصطفاء الالهي، وאתناول من المبنى الثاني (تعلم الحلال والحرام بما يناسب زمان العدالة) قتل الدجال (امريكا). وאתناول من المبنى الثالث (التسليم لصاحب الامر) التقرب للامام صلوات الله وسلامه عليه. آملا من الله تعالى ان يوفقني في يوم من الايام ويسددني بحق صاحب العصر والزمان ﷺ ان اتم هذا الجهد ان شاء الله تعالى..

المطلب الثاني : تفصيل لبعض اهم مباني وأهداف الحكومة العالمية للإمام

المهدي ﷺ.

المبنى الاول: قانون الاصطفاء الالهي

يحتوي المبنى على الركائز الآتية:

الركيزة الاول: مقدمة

الركيزة الثانية: الثوابت والاصول في كل عقيدة

الركيزة الثالثة: شرح اجمالي لقوله تعالى:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِي اللَّهَ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ^١

الركيزة الرابعة: تفاصيل الآية الشريفة

وتتكون هذا الركيزة من عدة ابحاث:

المبحث الاول: ماالمراد من الوراثة ؟

المبحث الثاني: ماالمراد من الكتاب ؟

المبحث الثالث: ماالمراد من المصطفين ؟

المبحث الرابع: معنى حرف من فى الآية الكريمة؟

المبحث الخامس: معنى " السابق بالخيرات "

المبحث السادس: معنى " المقتصد "

المبحث السابع: معنى " الظالم لنفسه "

المبحث الثامن : رواية جامعة مانعة فى الاقسام الثلاثة

الركيزة الخامسة: روايات شارحة للآية الشريفة.

وتتكون هذه الركيزة من عدة ابحاث:

المبحث الاول: رواية " من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتكذب الفتن "

المبحث الثاني: رواية: " حسبك كل شيء فى الكتاب .. "

المبحث الثالث: رواية " كرائم القرآن فى علي عليه السلام "

المبحث الرابع: روايتا: " سموهم بأحسن أمثال القرآن .. " - " فاين يتاه بكم "

المبحث الخامس: مناظرة الإمام الباقر لقتادة بن دعامة

المبحث السادس: رواية: " إن القرآن نزل على أربعة أشياء "

المبحث السابع : رواية: " لقد تجلى الله لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون "

المبحث الثامن : رواية: " داوود بن كثير "

الركيزة الاولى: مقدمة

الوجود المعنوى والوجود الكتبى للعقيدة:

كل عقيدة من العقائد، وكل فكرة من الأفكار لها وجودان: وجود معنوى حقيقى ووجود كتبى.

أما الوجود المعنوى الحقيقى لكل عقيدة من العقائد ولكل فكرة من الأفكار هو:

وجودها العقلى والقلبى.

بغض النظر عن سلامة هذه الفكرة أو عدم سلامتها، إذ الذى يعتنق فكرة من الأفكار أو يحمل عقيدة من العقائد إنما يجعل مستقرها فى قلبه وفى عقله.

والمقصود بالوجود الكتبى:

هو النصوص التى تحمل أفكار تلكم العقيدة.

فكل عقيدة حتى ولو كانت ضالة لها نصوص، وهو ما يصطلح عليه فى زماننا هذا بالأدبيات، فلكل عقيدة أدبيات ومنطق وأفكار ونظريات تتحدث عنها فى عالم الكتابة، وهذا هو ما نعبر عنه بالوجود الكتبى لأية عقيدة من العقائد.

اختلاف الناس فى مراتب إدعانهم العقائدى:

ويختلف الناس باختلاف مراتب إدعانهم النفسى وتصديقهم لما يحملونه فيقولهم وما يحملونه فى قلوبهم. فلربما من الناس من يحمل عقيدة يقطع بها فيعالم العقل لكنها لا تلامس قلبه، وليس لها وجود قطعى فى قلبه.

أفضل مراتب الاعتقاد:

وهناك من الناس من يكون للعقيدة التي يحملها في عقله، وجود في قلبه، لكن ليس بنفس النسبة الموجودة في عقله، وأفضل المراتب في الاعتقاد أن تتساوى نسبة الإذعان العقلي والقلبي، وبعبارة أخرى أن تكون هناك مساواة ومساوغة بين المفاهيم العقلية وبين المفاهيم القلبية.

ولا داعي للتفصيل في هذا الموضوع وإنما هذا فاتحة للحديث عن الوجود المعنوي الحقيقي للعقيدة والفكرة في قلب الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى فاتحة للحديث عن الوجود الكتبي للعقائد على اختلافها.

الوجود المعنوي والكتبي لعقيدتنا:

وعقيدتنا التي ورثناها من رسول الله وآله صلوات الله عليهم أجمعين - والتي سيوضحها تماما صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه لدى البشرية جمعاء - وجودها المعنوي هو في عقول الذين يحملونها وفي قلوب الذين يعتقدون بها، ووجودها الكتبي هو في النصوص الإسلامية المقدسة أي في قرآنا الكريم وفي أحاديث الرسول وأهل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الحقيقة المعنوية للكتاب العزيز:

ولاحظ أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن الحقيقة المعنوية للكتاب العزيز كما في الآية التاسعة والأربعين من سورة العنكبوت:

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛

فالحديث هنا عن معنوية القرآن، وعن الوجود المعنوي لعقيدة القرآن. فالقرآن هنا يحدثنا عن المرتبة العالية لوجود هذا الكتاب، فالقرآن إنما هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، فلم تقل الآية الشريفة: بل هو آيات بينات كتبت على الورق، أى هذا القرآن الموجود بين السدفتين أو ما يعرف بالوجود التدويني للقرآن الكريم. والآية على وجهها الحقيقي مفسرة في أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين.

فعن إمامنا الباقر عليه السلام في صدد هذه الآية الشريفة:

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾؛

قال: (إيانا عنى).

فالآيات البينات إنما هي في صدورهم الشريفة. ولذلك أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حينما يقال لهم: إن فلانا يقول كذا، وإن فلانا يقول كذا، يقولون: (فليشرقوا وليغربوا، فإن العلم لا يؤتى إلا من هاهنا)، ويشيرون إلى صدورهم الشريفة. إذن اتضح أن الوجود الحقيقي للعقيدة إنما هو في القلوب، وبغض النظر عن العقائد الصالحة وعن العقيدة المنحرفة

اللون الأبيض للقلب والنكته السوداء:

ولذلك الذين يحملون العقائد الضالة، تحدثنا عنهم رواياتنا الشريفة فتشير إلى أن قلب الإنسان حينما يخلقه البارئ يخلقه باللون الأبيض، وذلك

إشارة إلى البياض المعنوى لا إلى البياض المادى المحسوس بحاسة البصر، فإذا ما ابتعد الإنسان عن جادة الحق تولدت فى القلب نكتة سوداء، ثم تتسع هذه النكتة السوداء شيئاً فشيئاً حتى يتلون القلب بتمامه بلون السواد، وحينئذ يعزل الإنسان إلى الحالة التى لا يوفق فيها إلى التوبة، وإلى الحالة التى لا يرجى له فيها الصلاح، ولا يرجى له فيها العاقبة المحمودة.

مقصودى من إيراد هذا المثال من اسوداد القلب ومن النكتة السوداء، أن العقائد المنحرفة أيضاً محلها القلب.

الملازمة بين السعة المعنوية للعقيدة والسعة الكتبية:

ويلاحظ أن سعة العقيدة معنويًا يلزمه سعة نصوصها، فإذا كانت العقيدة ضيقة نصًا، فكذلك تكون المعانى التى وردت فى هذه النصوص ضيقة بضيق تلكم العقيدة، بعكس إذا كانت تلكم العقيدة واسعة حينئذ تكون النصوص كثيرة، وتكون المضامين والمعانى التى تتحدث عنها هذه النصوص أيضاً فى غاية السعة.

عقيدتنا لا نهاية لسعتها:

فعقيدتنا لا نهاية لسعتها، عقيدتنا بسعة رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فسعة أهل البيت لا نهاية لها وسعة قلب صاحب العصر عجلت لا نهاية له كذلك بالقياس إلى هذا العالم، نعم سعتهم محدودة بالقياس إلى الله سبحانه وتعالى، أما بالقياس إلى هذا العالم الذى نعيش فيه،

وبالقياس إلى القابليات والإمكانات التي يحملها بنو البشر في العالم الدنيوي، في عوالم الشهادة، فسعتهم لا نهاية لها. وهذا ما سيتضح جليا في عصر الظهور الشريف.

العجز عن الإحاطة بجزئيات عقيدتنا:

ولذلك فالإنسان لا يتمكن مهما أوتي من العلم، ومهما أوتي من المقدرة الفكرية ومن القابلية العلمية والقدرات النظرية أن يكون محيطا بتمام جزئيات هذه العقيدة، في كل أبعادها.

١. في جانبها العملي، والذي يصطلح عليه الجانب الفقهي، في كل جزئياته وتفرعاته؛

٢. أو في جانبها السلوكي، في الجانب الأخلاقي، في التعامل مع سائر بني البشر؛

٣. أو في جانبها الروحاني في السير إلى الله، في جانب العبادة النورانية، في جانب السلوك إلى الباري؛

٤. أو في جانبها الفكري والعقائدي، سواء في نظرها إلى عوالم الغيب، أو في نظرها إلى عوالم الشهادة.

فعقيدتنا في غاية من السعة، لا تتمكن من الإحاطة بكل جزئياتها، وإنما كل إنسان يعترف منها بقدر سعته، ويقدر ما يتحمل، ويقدر ما عنده من القابلية على إدراك المعلومات، وعلى حفظ المعارف والنظريات.

عقيدتنا واسعة ونصوصها واسعة في عددها، وكذلك في مضامينها وفي معانيها.

السر في سعة عقيدتنا:

والسر أنها صدرت من عقول واسعة، صدرت من عقول أهل بيت الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فعقيدتنا واسعة بسعة أهل البيت عليهم السلام ولا داعي للدخول في تفاصيل هذه المسألة، وإنما أوردت هذا الكلام كمقدمة. إذن في كل عقيدة وفي عقيدتنا بالذات - باعتبار أن الحديث عن عقيدتنا وعن فكرتنا - هناك ثوابت واضحة وبيئة، في كل عقيدة وفي كل فكرة.

الركيزة الثانية: الثوابت والاصول في كل عقيدة

لكل عقيدة ثوابت وأصول:

يمكن أن نسميها بالثوابت، ويمكن أن نسميها بالأصول، ويمكن أن نسميها بالمعالم ولا مشاحة في الاصطلاح، فهناك معالم وهناك ثوابت واضحة في كل عقيدة من العقائد الضالة ومن العقائد المهدية.

لكن الحديث الآن عن عقيدتنا، وسيكون الحديث عن بعض من هذه الثوابت وعن بعض من هذه المعالم الواضحة الشاخصة البيئية في نصوصنا الكريمة، سواء في نصوص الكتاب الكريم أم في النصوص المعصومية الشريفة.

الممازجة التامة بين القرآن وبين آل الرسول عليهم السلام:

من هذه الثوابت ومن هذه المعالم الواضحة والتي ستتجلى تماما في عصر الظهور الشريف الممازجة الصريحة الواضحة بين القرآن وبين رسول الله وآل رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا المعنى نجده جليا صريحا في أحاديث أهل البيت، وفي آيات الكتاب لو نظرنا إليها بنظر الإنصاف، لو نظرنا إليها بنظر الاستقامة، ابتعادا عن كل تعصب وابتعادا عن كل القواعد التي تنحرف عن فهم الكتاب الكريم بالنحو المستقيم.

فهم القرآن من خلال قواعد لسان العرب:

الكتاب الكريم جاء بلسان العرب فإذا أردنا أن نفهمه، لا بد أن نفهمه وفقا لقواعد لسان العرب، وفقا للكلام الذي تكلم به العرب، وهذه المسألة لا أعتقد أن يختلف فيها اثنان.

وإن كنا في أصل عقيدتنا نعتقد بأن المعاني الحقيقية إذا أردنا أن نجنيها من القرآن، لا بد أن نعود إلى كلام المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لكن حينما يكون الحديث عن المعالم، وحينما يكون الحديث عن الثوابت لعقيدة من العقائد لا بد أن يكون مفتتح الكلام على أساس وعلى قاعدة تكون مقبولة عند الجميع.

ومن الواضح أن الكتاب الكريم نزل بلسان العرب، ومن الواضح أن كل كلام له قواعد، له أسس لفهمه، وإلا فكيف يتفاهم الناس؟! وكيف يفهم الناس بعضهم البعض?!.

كل لغة من لغات العالم لها قواعد، لها موازين، لها مقاييس، على أساسها تكون هذه اللغة مفهومة، وتكون هذه اللغة وسيلة للتفاهم بين الناس.

وكتابتنا نزل بلغة من اللغات، فلا بد أن يكون هذا الكتاب مفهوما وفقا لقواعد تلكم اللغة، وهذه قضية لا أعتقد أن هناك من يثير الاختلاف أو من يثير الشك فيها.

الركيزة الثالثة: شرح قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾^١

اذكر هنا وعلى سبيل المثال هذه الآية الشريفة وهي الآية الثانية والثلاثون من سورة فاطر المباركة:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾

الموضوع الاجمالي للآية الشريفة

الموضوع الإجمالي لهذه الآية يمكن أن نعنونه بهذا العنوان، شرح قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ أو اختصارا بـ (ورثة الكتاب).

ـ الآية تتحدث عن وراثة الكتاب..

نحن سنتناول هذه الآية الشريفة من عدة وجوه وبحسب ما يسمح به المقام.

وقبل أن أشير إلى المعاني الجزئية لألفاظ الآية الشريفة، وقبل أن أتابع كلمات الآية كلمة كلمة، أشير إلى أن:

الاصطفاء إجمالاً هو الاختيار:

هذه الآية لو أردنا أن نقف عندها، وكل قارئ للقرآن إذا أراد أن يقف عند هذه الآية الشريفة:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾

إذا وقفنا عند هذه الآية الشريفة ووقفنا عند كلمة (اصطفينا)، نجد أن الاصطفاء هو الاختيار، وسأتى على تبيان معنى الاصطفاء بنحو أدق حينما أتناول كلمات الآية الشريفة.

لكن بشكل إجمالي الآن، الاصطفاء هو الاختيار.

والمصطفون هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، هناك مجموعة من العباد اصطفيت لورثة هذا الكتاب.

إذا أراد المنصف أن ينظر في الأحداث التاريخية من زمان نبينا ﷺ وإلى زمان الغيبة، إلى زمان غيبة إمامنا الحجة عجلت، وإذا أراد المنصف أن ينظر إلى الذين عرفوا معاني الكتاب أو الذين حملوا هذا الكتاب

حقيقة، أو الذين لجأت إليهم الأمة في حالات جهلها بالكتاب، أو إذا أردنا أن نرجع إلى زمان النبي فقط ﷺ لنرى إلى من يشير النبي، على اختلاف النصوص، سواء النصوص التي رواها الشيعة أو النصوص التي رواها غيرهم.

ما المراد من وراثه الكتاب ؟

المراد من وراثه الكتاب وراثه علومه، وهذه القضية واضحة لا تحتاج إلى بحث، وإلا فالآية ليست ناظرة إلى وراثه التملك لكتاب بين الدفتين، المراد من الوراثة واضحة بحيث هذه القضية لا خلاف فيها، فالمراد من وراثه الكتاب وراثه العلوم والمعارف الموجودة فيه.

الفارق بين علم المعصوم عليه السلام وبين علم علماء العامة:

فكثير من علماء العامة ممن يشار إليهم بالبنان ويقال عنهم أنهم من علماء القرآن، حين يلتقون بالأئمة، الإمام عندما يسأل العالم العامي أول سؤال عن آية من الآيات يحار فيها ولا يتمكن من إعطاء الجواب الصحيح، وحتى لو أعطى جوابا، الإمام يستشكل عليه استشكالا على أصل المسألة ولا يتمكن من الإجابة عليها، والشواهد كثيرة في هذا الخصوص.

ولذلك المنصف إذا أراد أن يبحث بإنصاف يجد أن هذه المجموعة التي ورثت الكتاب هم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فما سبق بيان إجمالي لمعنى الآية الشريفة.

الركيزة الرابعة: تفاصيل الآية الشريفة

ويتكون هذا المطلب من عدة ابحاث:

المبحث الاول: ماالمراد من الوراثة ؟

المبحث الثانى: ماالمراد من الكتاب ؟

المبحث الثالث: ماالمراد من المصطفين ؟

المبحث الرابع: معنى حرف من فى الآية الكريمة ؟

المبحث الخامس: معنى " السابق بالخيرات "

المبحث السادس: معنى " المقتصد "

المبحث السابع: معنى " الظالم لنفسه "

المبحث الثامن : رواية جامعة مانعة فى الاقسام الثلاثة

المبحث الاول: ماالمراد من الوراثة ؟

أما الآن ندخل فى تفاصيل الآية.. الآية ماذا قالت ؟

قالت: "ثم أورتنا الكتاب".

ماالمراد من الوراثة ؟

المراد من الوراثة التملك مع التصرف مع القيمومة.

الوراثة هو هذا معناها، تملك مع تصرف كامل مع قيمومة.

القِصَار لا يملكون الأموال:

ولذلك القصار لا يملكون الأموال، لأن القيمومة ليست لهم، وإنما الذى يرث

المال، وهذا ليس فى ديننا فقط، بل حتى فى الشرائع السابقة، حتى فى

الشرائع الوضعية، القاصر الذي لم يبلغ السن القانوني فليست له القيمومة على أمواله.

الوراثة معناها التملك، معناها التصرف، ومعناها القيمومة.

آل محمد ﷺ هم الذين لهم القيمومة.

وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم السذين لهم القيمومة المطلقة الكاملة على كتاب الله وعلى دين الله.

فهم القائمون بالأمر وهم القائمون على الأمر والمحافظون لهذا الأمر، والأمر محفوظ به.

البحث الثاني: ما المراد من الكتاب ؟

الآية تقول:

" ثم أورتنا الكتاب " .. ما المراد من الكتاب ؟

تفسير اهل العامة:

هناك من قال أن المراد من الكتاب سائر الكتب السماوية.

وهذا النحو من التفسير وهذه الطريقة من التفسير نحن نجدها واضحة فيما كتبه اهل العامة.

والعجب !!! والعجب أن هناك بعض العلماء من نفس الشيعة الذين يكتبون عن القرآن يعتمدون هذا النحو من التفسير، وهذا النحو من البيان لشرح معاني آيات الكتاب الكريم.

حينما ترد كلمة الكتاب، إذا كانت الآية فيها دلالة مرتبطة بأهل البيت عليهم السلام، يفسر الكتاب حينئذ بأي شيء؟ يفسر الكتاب حينئذ بالكتب السماوية مطلقا، أو بالتوراة أو بالإنجيل.

أما إذا وردت الآية تذكر الكتاب من دون إشارة لغوية ظاهرة إلى أهل البيت يفسر حينئذ الكتاب بالقرآن.

وهذا شيء نجده واضحا في تفاسير أهل العامة، والغريب الآن أن كثيرا من الشيعة من الذين يكتبون في المجالات الفصليّة، وفي المجالات المتخصصة في علوم القرآن ينحون هذا المنحى من التفسير.

حينما تأتي الآية تذكر الكتاب، وفي نفس الآية إشارة إلى أشخاص يرتبطون بهذا الكتاب، - وقطعا الأشخاص الذين تشير إليهم الآية هم أهل بيت النبي ﷺ - في مثل هذه الآية يقولون عن الأشخاص هم الأنبياء.

وإذا وردت الآية خالية من الإشارة إلى أشخاص يرتبطون بهذا الكتاب، يقال حينئذ عن هذا الكتاب هو القرآن.

في تفاسير العامة، قالوا عن هذا الكتاب، المراد منه سائر الكتب السماوية.

دلالة السياق علي أن الكتاب هو القرآن الكريم:

والحال نحن إذا أردنا أن نعود إلى سياق الآيات القرآنية الكريمة، نجد أن هذا الكتاب هو القرآن الكريم.

هذه الآية الثانية والثلاثون، والآية التي قبلها، الآية الحادية والثلاثون من سورة فاطر، ماذا تقول الآية ؟

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ

"والذي أوحينا إليك" أى إلى رسول الله، واضح الخطاب فى الآية إلى
رسول الله.

ثم تأتى الآية : " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا "

كلمة " ثم " تشير إلى ارتباط هذه الآية بالآية التى قبلها، لماذا ؟.. لأن "

ثم " لا تكون واقعة فى صدر الكلام.

إذ ربما قد يعترض معترض فيقول قد تأتى آيتان، لكن وحدة السياق لا

تكون دائما دليلا على وحدة المعنى.

فالجواب عليه بأن وجود كلمة " ثم " فى الآية دليل على ارتباط

الآية السابقة بالآية التى بعدها؛ لأن كلمة " ثم " لا يبتدأ بها، فهى لا تقع فى

صدر الكلام.

أنت عربى.. وتعلم أنه لا يقول قائل ابتداء: ثم فعلت كذا... فلا بد أن

يكون هناك كلام قبل هذا الحرف، قبل هذه الكلمة، قبل كلمة " ثم ".

الآية السابقة ماذا تقول ؟ تقول:

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ
اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ

هذه الآية الحادية والثلاثون، وتبدأ بعدها الآية الثانية والثلاثون: " ثم

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا... "

فالكتاب هنا.. بالجمع بين هاتين الآيتين.. وبوحدة السياق.. هو قرآنا، هو القرآن الكريم الذى أنزل على نبينا ﷺ.
هذه الحقيقة سبب نورها ويتجلى ناصعا على كل الاصعدة النظرية والعملية فى زمان الظهور الشريف وعلى يدي صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه.

معني الألف واللام فى كلمة " الكتاب ":

وهم حينما نحتج عليهم بمثل هذا الاحتجاج ماذا يقولون ؟
هم لا يتمكنون من إنكار ربط الآية الثانية بالأولى بكلمة " ثم "، ولا يتمكنون من إنكار وحدة السياق هنا.

فماذا قالوا ؟ قالوا: إن الألف واللام فى كلمة الكتاب جنسية.

الألف واللام فى العربية على عدة أنحاء:

١. هناك الألف واللام الاستغرافية.

٢. وهناك الألف واللام الجنسية.

٣. وهناك الألف واللام الحقيقية.

٤. وهناك الألف واللام العهدية.

والعهدية تقسم إلى قسمين:

١. هناك عهد ذهنى أى ذهنية.

٢. وهناك عهد ذكرى أى ذكرية.

فبحسب القواعد، هذه الألف واللام عهدية ومن القسم الذكرى.

استشهاد علماء العامة بالقرآن فيما يخص الألف واللام العهدية الذكرية: ولذلك الآن، نفس علماء العامة، إذا أردت أن تراجع كتب التفسير التي كتبوها، أو كتب النحو التي كتبوها ويُدرسونها ويُدرسونها. حينما يضربون مثالا للألف واللام العهدية الذكرية، يأتون بهاتين الآيتين:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾^١

(فعصى فرعون الرسول)

هذه الألف واللام يقولون عنها، عهدية ذكرية، لأى شيء؟.. لأن فى الآية السابقة ذكرت كلمة الرسول، فهذه الألف واللام تعود على الرسول المذكور فى الآية الأولى، وإلا فالآية لا يصح معناها، فأى رسول فى قوله تعالى؟ (فعصى فرعون الرسول) الجواب، هو للرسول الذى سبق ذكره فى الآية المتقدمة: (.. كما أرسلنا إلى فرعون رسولا).. هذه الآية الخامسة بعد العاشرة من سورة المزمل، والآية السادسة بعد العاشرة هى هذه:

(فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً).

فهذه الألف واللام الموجودة فى كلمة الرسول يقال لها: ألف ولام عهدية ومن النوع الذكرى، أى عهدية ذكرية. ذكرية يعنى تعود على كلمة أو على اسم مر ذكره فى الكلام، أما ذهنية فكأنما تعود على الموجود فى ذهن الإنسان.

لماذا إذن خالفوا اللغة ؟

فعلى أساس هذه القواعد فسر علماء العامة آيات الكتاب الأخرى، لكن حينما وصل الكلام إلى هذه الآية، ولأن الآية ترتبط بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قالوا: بأن الألف واللام هنا جنسية، وكلمة الكتاب هنا شاملة لجنس الكتاب، يعنى لكل الكتب السماوية.

فإذا كانت كلمة الكتاب شاملة لكل الكتب السماوية يكون الذين اصطفتنا من عبادنا هم الأنبياء، فيُخرجون الآية عن معناها، ويُخرجون أهل البيت عليهم السلام من الآية الشريفة.

هذا النحو من التفسير، بشكل واضح تجدونه في كل تفاسير العامة من دون استثناء، فكلهم من دون استثناء يعتمدون هذا الأسلوب من التفسير.

أى آية من آيات الكتاب الكريم فيها دلالة، فيها إشارة لأهل البيت عليهم السلام، يستعملون هذه الأساليب المنحرفة المعوجة والتي هي خلاف القواعد التي يعملون بها، وخلاف القواعد التي ثبتوها في كتبهم.

لكن حينما تأتي الآية فيها إشارة، فيها دلالة إلى مذهب الحق، إلى أهل البيت عليهم السلام، يحتالون عليها بألف حيلة.

البحث الثالث: ما المراد من المصطفين ؟

نعود إلي تفاصيل كلمات الآية الشريفة:

" ثم أورتنا الكتاب "، قلت: المراد من الكتاب هنا القرآن بدليل:

وحدة السياق.

وجود كلمة ثم فى أول الآية الثانية.

ووجود الألف واللام العهدية الذكرية.

بهذه الأدلة يتضح أن كلمة الكتاب هنا المراد منها القرآن الكريم.

من المصطفون ؟

ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا

قول اهل العامة:

اهل العامة الذين قالوا أن الألف واللام فى كلمة الكتاب جنسية قالوا فى "

الذين اصطفينا من عبادنا " هم الأنبياء.

القول الصحيح:

أما إذا فسرنا الآية بالتفسير الصحيح، وأن المراد من الكتاب هو القرآن،

فهنا نقف فى بيان معنى " الذين اصطفينا من عبادنا ".

معنى الاصطفاء فى علم اللغة وفى علم الفروق اللغوية:

اصطفينا، من الاصطفاء، والاصطفاء بنحو عام إجمالى هو الاختيار.

أما إذا أردنا أن ندقق فى المعنى على قواعد فقه اللغة سنجد فروقا فى

المعنى بينهما.

فالمعانى اللغوية فى لغة العرب تؤخذ بثلاث لحاظات على نحو الدقة:

فمرة نأخذ معنى الكلمة على أساس علم اللغة.

والمراد من علم اللغة ما هو ؟.. المراد هذه القواميس اللغوية وما

يصطلح أو يقال عنها بكتب علم اللغة، كلسان العرب، القاموس المحيط،

مجمع البحرين، وغيرها من المعاجم اللغوية المعروفة.

فالمعنى الذى يذكر فى كتب اللغة فى الغالب يذكر بوجهه العام وبوجهه الإجمالى، ولذلك إذا أردت أن ترجع إلى كتب اللغة فتجد فى الغالب الاصطفاء بمعنى الاختيار.

أما اللغة فعلموها متعددة، فهناك علم الفروق اللغوية، وهناك علم فقه اللغة.

علم الفروق اللغوية يبحث فى الفروق الدقيقة بين الكلمات المترادفة. فمثلا الاصطفاء - الارتضاء - الاجتباء - الاختيار، فهذه المعانى، اصطفاء، اختاره، ارتضاه، اجتباها، انتخبه، هذه المعانى تكاد تكون مترادفة.

والترادف هو الاختلاف فى البنية اللفظية والاشتراك فى المعنى الإجمالى. فى علم الفروق اللغوية أو فى علم فقه اللغة يبحث العالم بهذين العلمين عن الفوارق الدقيقة بين الاصطفاء والارتضاء والاختيار وهكذا. وهذه المعانى تستكشف من خلال القراءات الدقيقة للنصوص العربية، للشعر العربى القديم، للنصوص العربية القديمة فى الزمن الجاهلى أو فى صدر الإسلام، وليس بعد صدر الإسلام لدخول الأقوام الأجنبية من روم وفرنس وترك وأكراد ومختلف الأقوام غير العربية.

فالاصطفاء والاختيار وفقا للنظر اللغوى الأول بمعنى واحد. أما وفقا لقواعد الفروق اللغوية وفقه اللغة تجد فارقا واضحا وهو أن: الاختيار انتخاب من مجموعة من الأشياء بغض النظر عن أجودية الشيء المنتخب وأفضليته وهل به عيب ونقص أم لا.

أما الاصطفاء فهو اصطفاء الشيء الذى لا عيب ولا نقص فيه.

فالأصطفاء هو اختيار بنحو أخص، اختيار بمعنى أخص.
 فإذا أردنا أن نفهم معاني كلام العرب، مرة نريد أن نفهمها بالشكل
 الإجمالي فنرجع إلى المعاجم اللغوية، ومرة نريد أن نفهمها بالشكل الدقيق
 فلا بد حينئذ من مراعاة القواعد المعروفة في علم الفروق اللغوية والقواعد
 المعروفة في علم فقه اللغة كي نميز بدقة بين هذا المعنى وبين ذاك المعنى.
 فمثلاً حينما يقال: أسد وسبع، وحينما يقال عرمرم، وحينما يقال ضرغام
 أو ضرغامة، وحينما يقال ليث، وحينما يقال أسامة، وحينما يقال عفرنى،
 وحينما يقال فدوكس، وحينما يقال رهيص، وحينما يقال هصور...
 هذه أسامي وأسماء أخرى كثيرة للأسد، هذه من النظرة اللغوية الأولى،
 كلها تدل على هذا الحيوان المفترس الذي يصفه الناس بأنه ملك الغابة.
 أما إذا أردنا أن ندقق النظر بين هذه الكلمات على أساس علم الفروق
 اللغوية، على أساس علم فقه اللغة نجد فارقاً كبيراً بين الأسد وبين السبع
 وبين الخميس. الأسد تطلق على كل ما يسمى أسداً بغض النظر عن كبر
 حجمه، عن صغر حجمه، عن شدة زثيره، عن قوته، أما العفرنى تطلق على الأسد
 العالى، كذلك الأسد الوردى تطلق على أكبر أنواع الأسود، وهكذا. فالأصطفاء
 هو اختيار، لكن اختيار للشئ الذى لا نقص فيه، للشئ الذى لا عيب فيه.

المبحث الرابع: معنى حرف من في الآية الكريمة ؟

معنى حرف "من" فى الآية الشريفة:

" ثم أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا "، تلاحظون من خلال كلمة
 " من " أن هذه الوراثة ليست لكل العباد بدليل " من عبادنا "، وهؤلاء " من

عبادنا"، " فمنهم ظالم لنفسه"، هذا الاصطفاء ليس للذين ظلموا أنفسهم، فهناك "عبادنا" وهناك اصطفاء منهم.

أفضل الأقسام الثلاثة:

أى إن هؤلاء العباد، منهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، والسابقون بالخيرات هم أفضل الأقسام الثلاثة.

والآية أشارت إلى هذا القسم، أى الذين اصطفاهم البارئ هم الذين سبقوا بالخيرات، ولذلك بعدهم تأتي هذه العبارة " ذلك هو الفضل الكبير".

ما هو الفضل الكبير؟

والقرآن الكريم أشار إلى هذا الفضل الكبير، فلقد أشار فى الآية الرابعة والخمسين من سورة النساء

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

فالآية صريحة فهى تتكلم عن آل إبراهيم، وآل إبراهيم هم آل النبى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذا فضلا عن الروايات الكثيرة المروية عن المعصومين:

كالرواية فى الكافى الشريف فى الجزء الأول فى كتاب الحجّة، حيث تجد بابا كاملا تحت عنوان " إن الأئمة هم المحسودون".

كذلك روايات كثيرة فى بصائر الدرجات لشيخنا الصغار حيث تجد

بابا مفصلا كذلك تحت نفس العنوان " إن الأئمة هم المحسودون".

وروايات كثيرة عن باقر العترة وعن صادق العترة وعن كاظم العترة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقول: "نحن المحسودون". وإليك مثال "رواية بريد بن معاوية العجلي":
بريد بن معاوية العجلي يسأل الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه كما ورد في الكافي الشريف عن الملك العظيم الوارد في قوله تعالى: "... وَأَتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا"، قال الإمام الباقر "جعل منهم أئمة، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، ذلك هو الملك العظيم".
فهذا الملك العظيم، وهذا الفضل الكبير، هو الذي حسدهم الناس عليه وهو الذي إليه الإشارة في هذه الآية الشريفة، والذي يُعنسون بهذا العنسان: "وراثه الكتاب". لأن الآية تحدثت عن وراثه الكتاب "وسابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير".

أما هذه الأقسام الثلاثة:

ظالم لنفسه - مقتصد - سابق بالخيرات

فكما في الروايات: ظالم لنفسه؛ الذي لم يعرف الإمام المعصوم.

مقتصد؛ الذي عرف إمامه.

سابق بالخيرات؛ هو نفس الإمام المعصوم.

قول أهل العامة في معني الوراثة:

وللأسف لقد قال أبناء العامة أن الوراثة هنا للأمة، حتى الذين قالوا بأن

الكتاب هو القرآن، لأنهم لم يتمكنوا من إنكار كل هذه الأدلة:

١. وحدة السياق.

٢. ووجود كلمة ثم في أول الآية الثانية.

٣. ووجود الألف واللام العهدية الذكرية.

لكنهم ذهبوا إلى أن "الذين اصطفينا من عبادنا" هم الأمة، والأمة منها ظالم لنفسه ومنها مقتصد ومنها سابق بالخيرات.

قول آخر لأهل العامة:

وهناك من قال: "المقصود من الذين اصطفاهم الباري هم علماء الأمة الإسلامية كأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل".

وهذا النقاش وهذا البحث لم ينشأ في أيامنا هذه بل نشأ من الايام الأولى، هذا نشأ من أيام الأمويين ومن أيام العباسيين.

مناظرة بين الإمام الرضا وعلماء العامة من خراسان والعراق:

شيخنا الصدوق رحمته في كتابه "عيون أخبار الرضا صلوات الله وسلامه عليه"، في ضمن المحاضرات وضمن المجادلات التي كان يفتعلها المأمون (الخوون) لعنة الله عليه، لأجل إحراج الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه، قد كان يجمع له العلماء من مختلف المذاهب ثم يطرح المسائل التي يراها معقدة لعل الإمام يخرج ولا يتمكن من الإجابة.

رواية ينقلها الريان بن الصلت، إنه في يوم من الأيام جمع الخوون العلماء من مختلف المذاهب من العراق وخراسان، ثم سأل الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه وسأل العلماء عن نفس هذه الآية:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ﴾

قال العلماء المخالفون لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فى
جوابهم عن الآية: المقصود من الذين اصطفاهم الله أمة النبى.
فقال المأمون للإمام: يا أبا الحسن، وأنت ما تقول؟ فقال صلوات الله
وسلامه عليه:

إني لا أقول ما يقولون، بل الذين اصطفاهم الله هم العترة الطاهرة.

حينها طلب علماء العامة من الإمام أن يبين لهم كيف ذلك؟ فقال:

إذا قُتِمَ أن الأمة هي التي ورثت الكتاب فمعنى هذا أن كل الأمة
في الجنة، والحال أنه ما يوجد أحد يقول بذلك

وعندها سأله المأمون: ومن هم العترة الطاهرة؟ عندها أشار الإمام إلى
آية التطهير وأشار إلى حديث الثقلين. عندها افتري علماء العامة كذبا وبهتاناً
قائلين: لقد جاء فى الحديث المستفيض أن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال: " أمتى آلى "

فقال لهم الإمام مفحماً وسائلاً إياهم فى نفس الوقت:

الصدقة تحرم على الآل أو لا؟

قالوا: نعم

قال: الصدقة تحرم على الأمة؟

قالوا: لا

قال: هو هذا الفارق بين الأمة والآل

ثم قال لهم: أين يذهب بكم؟

أما قرأتهم في الكتاب الكريم:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ
فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾؛

فأفحهم الإمام صلوات الله وسلامه عليه وبين لهم أن المقصود من العترة الطاهرة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وليس تمام الذرية، وأن الذين ورثوا الكتاب هم العترة الطاهرة وهم المهتدون.

خلاصة

الشيء الذي نخلص إليه من خلال هذا البحث اللغوي أن الأئمة هم الوارثون للكتاب.

وبشكل إجمالي، كما ورد في الروايات الشريفة:

١. الظالم لنفسه هو من لا يعرف إمام زمانه.

٢. والمقتصد هو الذي يعرف إمام زمانه.

٣. والسابق بالخيرات هو المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

وهذا ما سيتجلى تماما في زمان العدالة الالهية، زمان صاحب العصر صلوات الله وسلامه عليه، زمان الذي سيملا الارض قسطا وعدلا بعدما ملأت ظلما وجورا.

واكتفى بهذا المثال والذي يشكل كفاية وضمانة لكل منصف يريد ان يتخذ مع مهدي آل محمد صلوات الله وسلامه عليه سبيلا...

المبحث الخامس: معنى " السابق بالخيرات

بعض تفصيلات الأصناف الثلاثة:

١. معنى السابق بالخيرات فى الروايات الشريفة:

أما إذا أردنا أن ندخل فى بعض التفصيلات التى ذكرتها الروايات الشريفة بخصوص هذه الأصناف الثلاثة نجد أن السابق بالخيرات فى الروايات الشريفة طرا ومن دون استثناء قط هو الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث السادس: معنى " المقتصد "

معنى المقتصد فى الروايات الشريفة:

أما المقتصد فقد وردت روايات كثيرة فى هذا المعنى عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وإليك البيان:

١. طائفة من الروايات الشريفة قالت: إن المقتصد هو الذى يعرف إمام زمانه.

٢. فى بعض الروايات الشريفة أن المراد من المقتصد هو الصائم بالنهار القائم بالليل، وهذه كناية عن الطاعة والاتباع، فصيام النهار وقيام الليل فروع تكشف عن معرفة الإمام، وإلا الذى لا يعرف إمام زمانه وإن صام فى النهار،

حقيقة عند الله لا يعد صائما، وإن قام ليله، حقيقة عند الله لا يعد قائما، بل سيات عند الله صلى أم زنا، فالروايات المنقولة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تفيد أن الذى لا يعرف إمام زمانه، والذى ينكر إمام زمانه، والذى يعادى أهل البيت إنه فى النار، إنه فى النار، كما يقول صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه.

فالروايات حينما تتحدث أن المقتصد هو الصائم بالنهار والقائم بالليل إنما تتحدث بأسلوب الكناية أى إنها تقصد أنه عند الله قد كتب أنه صائم، أما هذا الذى لا يعرف إمام زمانه فليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وليس له من صلاته إلا هذه الحركات من ركوع وسجود وغيرها.

مناطق قبول الأعمال، مناطق تقوم الأعمال معرفة الرسول وآل الرسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذا المعنى من أبجديات التشيع، ومن بديهيات التشيع الواضحة فى النصوص المعصومية الشريفة.

فالمقتصد الصائم بالنهار القائم بالليل كناية عن معرفة الرسول وآل الرسول وكناية عن قبول العمل وكناية عن مجيئه بالأعمال الصالحة. وتسميته بهذه التسمية دليل على معرفته بالمعصوم.

- وفى بعض الروايات أن المقتصد هو الذى يعبد الله فى الحالين:

أى فى حال الرخاء.. وفى حال الشدة..

فى حال السراء.. وفى حال الضراء..

فى حال الأمن.. وفى حال الخوف..

يعنى فى الحال الذى يتناسب والمزاج الإنسانى.. وفى الحال الذى لا يتناسب ويتوافق والمزاج الإنسانى. أى هذا الذى يعبد الله فى الحالين حتى يأتىه اليقين، والمراد من اليقين هنا الموت لا كما يذهب بعض الصوفية، فقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ يعنى حتى يأتىك الموت، ولذلك فى زيارات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقرأ (وجاهدت فى سبيل الله حق جهاده حتى أتاك اليقين) يعنى حتى أتاك الموت، يعنى حتى أتتك الوفاة، حتى أتتك الشهادة، لا كما يذهب بعض الصوفية أن ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إنه يصل الإنسان إلى مرتبة اليقين فى مرحلة من مراحل حياته وحيث أنه هو ليس بحاجة إلى العبادة لأن العبادة قد تحققت غايتها. فالمقتصد هو الذى يعبد الله فى الحالين، فى حال الشدة والرخاء، فى السراء والضراء، وفى الأحوال المختلفة، وفى هذا إشارة كاشفة عن معرفة المقتصد بإمام زمانه صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث السابع: معنى "الظالم لنفسه"

معنى ظالم لنفسه فى الروايات الشريفة:

- هذا بالنسبة للمقتصد وبالنسبة للسابق بالخيرات، أما بالنسبة للظالم نفسه " فمنهم ظالم لنفسه "، الروايات ذكرت مصاديق متعددة:
١. ذكرت الجاحد للإمام، أى الذى ينكر وجود الإمام.
 ٢. ذكرت الذى لا يقر بالإمام، أى الذى يعلم أن هناك إماما موجودا لكن لا يدعى لإمامته.

روايات أخرى قالت الذى لا يعرف الإمام، وعدم معرفة الإمام هنا على مرتبتين:

ـ المرتبة الأولى:

تارة هذه المعرفة الشخصية، أى ألا يشخص إمام زمانه باسمه ونسبه.

ـ المرتبة الثانية:

وتارة عدم معرفة مقامات أهل البيت، عدم المعرفة بالنورانية التى أشارت إليها الروايات المعصومية الشريفة.

روايات أخرى قالت: فيه ما فى الناس.

روايات أخرى قالت: هم الذين خلطوا عملا صالحا مع عمل سيئ.

روايات أخرى قالت: الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم.

روايات أخرى قالت: الذين لا يدعون الناس لا إلى هدى ولا إلى ضلال.

إذن الظالم لنفسه فى بعض الروايات هو الجاحد للإمام.

وفى بعض الروايات هو الذى لا يقر بالإمام.

وفى بعض الروايات هو الذى لا يعرف الإمام.

وفى روايات أخرى هو الذى " فيه ما فى الناس ".

والمراد من فيه ما فى الناس أى الهاشميون الذين يخلطون العمل الصالح مع العمل السيئ.

وواقعا هذه التقسيمات وهذه الأوصاف وهذه الأصناف بحاجة إلى دراسة وتنقيح معانى الروايات بشكل أدق، فهؤلاء كلهم يظلمون أنفسهم، وهؤلاء كلهم تعنيهم الآية الشريفة بقولها: " فمنهم ظالم لنفسه ".

ولكن هنا أكتفى بذكر رواية واحدة من خلالها يمكن أن نستطلع معنى هذه الأصناف الثلاثة بشكل أدق.

المبحث الثامن: رواية جامعة مانعة فى الأقسام الثلاثة

رواية الشيخ الصدوق عن صادق العترة سلام الله عليه:

الرواية يرويها شيخنا الصدوق، عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال :

" الظالم لنفسه هو الذى يحوم حوم نفسه..

والمقتصد هو الذى يحوم حوم قلبه..

والسابق بالخيرات هو الذى يحوم حوم ربه عز وجل "

هذه الرواية على قصرها، وهذه التعبيرات على وجازتها لكنها تجمل وتبين

لنا جميع المعانى التى مر الحديث عنها.

- وهنا بشكل إجمالى أمرٌ على تفصيل هذه الرواية:

قالت الرواية: "الظالم لنفسه الذى يحوم حوم نفسه"، يحوم فى اللغة

معناها يدور، وحام حوم الشيء أى دار حوله، ومن هنا يقال للطيور الجوارح

كطير الصقر، يعبرون عنه بالحوم، لأنه يحوم حول الفريسة، فى أول الأمر وبعد

ذلك ينقض عليها.

- والمقصود أن الظالم لنفسه يحوم حوم نفسه يعنى يدور حيثما دارت

نفسه، يعنى همته هى نفسه، حياته وهدفه وشعاره فى الحياة هو نفسه وكل ما

يتعلق بها، فى جنبتها المادية أو فى جنبتها المعنوية، ما يتعلق بفرحه، ما

يتعلق بحزنه، ما يتعلق بمعاشه، ما يتعلق بطعامه وشرابه، وبعبارة أخرى هو هذا الذي يعمل ليل نهار من أجل إكمال نواقصه، ولا هم له فيما يتعلق بدينه، ولا هم له فيما يتعلق بأهل دينه.

هذا هو الظالم لنفسه، ولا يعنى هذا أنه من أهل النار، لأن الروايات قالت: "وهو يُغفر له"، لكن الرواية هنا تشير إلى التفاضل في المراتب.

وهناك الكثير من المؤمنين ومن المتشيعين، من يأتي بالفرائض الشرعية على نحو حد التكليف وانتهى بعد ذلك كل شيء، يعنى لا تجد هناك ترابطاً عقائدياً في حياته وفي عباداته وفي جميع ما يتعلق بشيء من حياته الدنيوية والدينية، وإنما هناك انفكاك بين حالته الدنيوية وبين حالته الدينية. فهذا هو الظالم لنفسه والحائم حوم نفسه.

— أما المقتصد، فقد قال الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: هو الذي "يحوم حوم قلبه"، وهو الذي خرج من دائرة نفسه ودخل إلى دائرة القلب، فاهتمامه بكمال قلبه، اهتمامه بالذي ينفع قلبه، حينئذ يكون اهتمامه بدينه، وبسلامة دينه، واهتمامه بأهل دينه، ومع ذلك فهو مقيد بهذا القيد.

فحتى الذي يدخل إلى هذه الدائرة يبقى مقيداً.

— أما الذي تخلص من هذه القيود فهو الثالث، قالت الرواية:

السابق بالخيرات الذي يحوم حوم ربه؛

أى الذى لا نفس له ولا قلب وإنما يحوم ويدور فى مدار الرب، فى المدار الذى يريد الله، قال تعالى:

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

وهذا المعنى لم يتحقق جليا إلا في المعصومين.

المقصود بالنعلين:

والمقصود بالنعلين هنا هما الجنبه المادية والجنبه المعنوية للإنسان.
فالإنسان إذا ارتبط بالجنبه المادية فهو يحوم حوم نفسه، وإذا ارتبط
بالجنبه المعنوية فهو يحوم حوم قلبه، ولذا يبقى في دائرة النقص ويبقى في
دائرة الحاجة للسابق بالخيرات في جميع أحواله.

.. ففي الحياة الدنيوية يحتاج إلى:

التكميل الديني.. والتكميل العلمي..

والتكميل المعرفي.. والتكميل الفقهي..

والتكميل العقائدي.. والتكميل الأخلاقي..

والتكميل الاجتماعي.. والتكميل السياسي..

أى أنه في جميع أبعاده يحتاج إلى المعصوم.

قال تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم "

فإكمال الدين بأى شيء؟!!

إكمال الدين بعلى وبالمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالمقصد أو الظالم لنفسه يحتاج إلى التكميل في جميع هذه الأبعاد، لأنه
مقيد، الظالم لنفسه مقيد بنفسه، مقيد بعالم المادة، والمقصد مقيد بعالم
المعنويات، أما المتجرد عن هذه القيود هو الإمام المعصوم.

الدنيا والآخرة حرام على أهل الله:

ولذلك هذا المعنى إليه الإشارة في الحديث المعروف بسين العرفاء والذي يقول:

إن الدنيا حرام على أهل الآخرة، وإن الآخرة حرام على أهل الدنيا،
وكلاهما حرام على أهل الله.

ومعنى " إن الدنيا حرام على أهل الآخرة "، أى إن الذين يطلبون الحياة المعنوية العالية الشريفة، الحياة الأخروية، الحياة القدسية، هؤلاء لا بد أن تحرم عليهم الحياة الدنيوية، لا بد أن يجانبوا الحياة الدنيوية؛ لأن الدنيا والآخرة كما فى الروايات "ضرتان"، فكما أن الضرتين تتنافران، فكذلك الدنيا والآخرة تتنافران، والذي يريد الدنيا لا بد أن يترك الآخرة، والذي يريد الآخرة لا بد أن يترك الدنيا، وهذا هو معنى أن الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الله، والذي يريد الله فحتى هذه القيود لا تقبده، فلا يكون نظره إلى الآخرة بقيودها الحسية، بقيودها التي يتلذذ بها، ولذلك كلاهما حرام على أهل الله، وهذا هو معنى قول الصادق عليه السلام:

السابق بالخيرات الذي يحوم حوم ربه.

فالذى يحوم حوم قلبه أفضل من الذى يحوم حوم نفسه بكثير، بل لا مقايسة بين هذين الصنفين، بين الظالم لنفسه وبين المقتصد من جهة الخيرية والأفضلية، لكن يبقى المقتصد أيضا مقيدا.

فلقد قال تعالى:

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ.

والمقصد إشارة إلى هذا المعنى، أى الذى يسير فى وسط الطريق، أى الذى يسير على الصراط المستقيم، لكن مع ذلك أى حتى لو صار على الصراط المستقيم فهو لا يستغنى فى أثناء سيره عن السابق بالخيرات أبداً. أى يحتاج إلى الوارث الحقيقى الذى له القيمة على القرآن الكريم.

المطلب الخامس: روايات شارحة للآية الشريفة.

ـ ولذلك أحاديث المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جلية فى هذا المعنى:

المبحث الاول: رواية " من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن ".
ـ رواية العياشى:

انظر إلى الرواية التى ينقلها شيخنا العياشى رحمة الله عليه فى تفسيره، عن ابن مسكان عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه والتى تقول:

من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن.

والتنكب هو العدول، والبحث الذى نحن بصدده مصداق لهذا الحديث،
فحينما تناولنا الآية الشريفة:

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)، هذه الآية إنما شرعنا فى البحث فيها وتناولناها بالدراسة لأجل أن نعرف أمرهم عليهم السلام من نفس الكتاب الكريم.

(من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن).

معني التنكب في لغة العرب:

يا ترى ما معنى التنكب في لغة العرب ؟، يقال: فلان تنكب الطريق، أى عدل عن الطريق، فأنت مثلاً تسير في طريق، فتصادفك حفرة فتتحرف، أى تنكب الطريق وتبتعد عن الحفرة، أو إذا صادفك حيوان مفترس فتعدل عن الطريق أى تنكب عنه، أو إذا وصلت إلى حاجز أو نهر لا تتمكن من عبوره فكذلك تنكب عنه إلى مكان آخر، فالتنكب هو العدول عن الطريق في حالات الضرر والخوف والخطر، وهذا هو معنى الرواية الشريفة: " من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن "، أى الذى يأمن الفتن وينجو منها هو الذى يعرف أمر أهل البيت من القرآن الكريم، ومن لم يعرف أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يسقط في الفتن. وتتمكن من معرفة أهل البيت من القرآن الكريم إذا نظرنا إلى الآيات المحكمة، بل حتى لو أردنا أن نراعى القواعد العربية فقط من دون النظر إلى أحاديث المعصومين.

وآية من هذه الآيات هي هذه الآية الشريفة: " ثم أورثنا الكتاب "

المبحث الثانى: رواية: "حسبك كل شيء في الكتاب.."

رواية: "حسبك كل شيء في الكتاب..":

وانظر إلى هذه الرواية الشريفة والمذكورة في البحار الشريفة، وتفسير البرهان، وتفسير نور الثقلين، وذكرها الحر العاملي في كتابه " إثبات الهداة "

ومذكورة كذلك في تفسير شيخنا العياشي، عن عمر بن حفظة عن إمامنا الصادق عليه السلام، بخصوص الآية الأخيرة من سورة الرعد الشريفة:

«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِإِلَهِهِ شَهِيدًا بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»

يقول عمر بن حفظة: "إن أبا عبد الله عليه السلام لما رآني أتبع هذه الآية الشريفة وأشباهاها في الكتاب، قال لي: (حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عليهم السلام).

أي إن كل آية تحدثت عن أرقى صفات الكمال في المخلوق الإلهي وبنحو خاص في المخلوق البشري حتى وإن لم تذكر الاسم فهي فيهم عليهم السلام.
- وهذه قاعدة كبرى من قواعد فهم وتفسير القرآن الكريم.

فكما أن هذه الآية واضحة في أمير المؤمنين وفي كماله كما ورد في كتب العامة: "أقضاكم علي"، "أعلمكم علي"، "أفقهكم علي"
فكذلك الآيات التي تتكلم عن الكمال في المخلوق الإلهي والمخلوق البشري فهي في آل الرسول صلوات الله وسلامه علي.

المبحث الثالث: رواية 'كرائم القرآن في علي عليه السلام'.

وهذه قاعدة عامة، وإلى هذا المعنى أيضا أشارت الروايات الشريفة: "وفينا كرائم القرآن" و "لنا كرائم القرآن" و "كرائم القرآن في علي عليه السلام".
وإن القرآن الكريم كله كريم كما تقول الآيات الشريفة من سورة الواقعة:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ
لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

فالقرآن كله كريم، آياته كلها كريمة.

– لكن ما المراد من كرائم القرآن ؟

المراد من كرائم القرآن، الآيات التي ذكرت أكرم الصفات، أفضل الصفات،
أشرف المناقب، أعظم المقامات، حيث إن كلها لهم صلوات الله وسلامه
عليهم، فكرائم القرآن فيهم.. كرائم القرآن في علي صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين.

والروايات في هذا المضمون كثيرة جدا، وهذه التي ذكرتها إنما هي أمثلة
ونماذج تعاضد المعنى الذي فهمناه من آية وراثته الكتاب، وإن الذين يرثون
الكتاب حقيقة هم الذين نزلت فيهم كرائم القرآن، وهم الذين تحدث عنهم
القرآن في أفضل المقامات وفي أكمل المراتب والمنازل، أي أئمتنا آل الرسول
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ولذلك الأحاديث الشريفة من هذا اللحاظ أمرتنا بالرجوع إليهم:

في فهم القرآن..

وفي فهم الدين..

وفي فهم الحياة..

وفي فهم كل سر من أسرار هذا الوجود.

المبحث الرابع: روايتنا: سموهم بأحسن أمثال القرآن.. و "فاين يتاد بكم.."

رواية "سموهم بأحسن أمثال القرآن..":

انظر إلى هذه الرواية التي يرويها شيخنا العياشي في تفسيره عن إمامنا الباقر عليه السلام عن آباءه الأطيبين الأطهرين صلوات الله عليهم عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام:

(سموهم بأحسن أمثال القرآن، هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا)

سموهم - يعني عترة النبي - يعني أن العذب فرات هو اسم أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام وهو من أسمائهم القرآنية.

فإذا أردت أن ترجع إلى كتاب "اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية" للسيد هاشم البحراني تجد أكثر من ألف اسم من أسماء أهل البيت في القرآن الكريم بحسب ما ورد عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

من جملة أسمائهم هو هذا الاسم من أسمائهم القرآنية والذي جاء في الرواية الشريفة:

"هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا".

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يبين أن الأئمة هم العذب فرات، أما الذين هم غيرهم فهم الملح الأجاج.

والأجاج هو المر، والملح حينما يكون مرا يكون فى غاية ما يجلب الأذى للإنسان، فى غاية ما يعكر صفو الإنسان، والملح إذا كان مرا ووضع فى الطعام فإنه يفسد الطعام، وإذا وضع فى الشراب فإنه يفسد الشراب. ولاحظ أن طعام الملوحة طعام ممدوح، وهو طعام يحتاجه الإنسان، لكن الأملاح منها ما هو حلو ومنها ما هو مر، " وهذا ملح أجاج " يعنى وهذا ملح مر.

والخلاصة تعنى:

أن الذى يغترف من غير أهل البيت إنما يغترف من الملح الأجاج، والذى يغترف من عين أهل البيت إنما يغترف من العذب الفرات، ولذا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يقول:

" سموهم بأحسن أمثال القرآن، هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا "

فالذى يريد أن يصل إلى الحقيقة، والذى يريد أن يصل إلى النور، والذى يريد أن يطفأ حر الظم لا بد أن يطفأ هذا الظم من هذا العذب الفرات، من على وآل على صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كيف نشرب من هذا العذب الفرات؟:

١. ولكن كيف نشرب من هذا العذب الفرات؟ بأى صورة؟ وبأى هيئة؟.
٢. هل نأتى بكامل وقارنا لنشرب من هذا العذب الفرات؟.
٣. هل نأتى بكل أثقالنا الدنيوية لنشرب من هذا العذب الفرات؟.

أبدأ، ليس بهذا المعنى..

انظر إلى نهج البلاغة الشريف، الخطبة السابعة والثمانين، حيث يقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وآله مخاطبا الناس:

" فأين يتناه بكم ؟ "

" وكيف تعمهون ؟ "

- والعمه هو الضلالة، والأعمى الذى يسير فى الظلام.

" وبينكم عترة نبيكم "

- يعنى إذا ابتعدتم عن عترة نبيكم فإنه يتناه بكم.

" وهم أزمّة الحق "

- أزمّة أى جمع لزمام، والزمام هو الذى تقاد به الناقة، يعنى الذى يربط نفسه بهذه الأزمّة يقوده أهل البيت إلى الحق، وأما الذى يخرج من هذه الأزمّة هو الذى يذهب فى ضلالات شتى.

ولذلك هذا التشبيه واضح حتى فى عبارات فقهاءنا حينما يقولون فى

تعريف المرتد:

هو الذى يخرج عن ربة الإسلام.

الربة فى اللغة:

والربة هى المرابط التى تربط بها الأغنام وغيرها من الحيوانات كالخيول مثلا، وفى إسطبل الخيول توضع الربة، وهى عبارة عن سلاسل وحلقات توضع فى أنحاء الجدران بحسب التسلسل والترتيب، وفى كل حلقة يوجد حبل، وهذا الحبل يربط به الحيوان، هذه هى الربة، أى ربة الحيوانات.

فالحيوان إذا خرج من الرَبْقَة سيثور حيثئذ، ولذلك يقال فى المرتد هو الذى يخرج عن رِبْقَة الإسلام، وهذا تعبير مجازى، وإلا فالرَبْقَة كما أوضحت أى الحلقات التى توضع فيها حبال، وهذه الحبال تربط بها الخيول أو الأغنام فتسمى رِبْقَة الأغنام أو الخيول، وإن كان فى الغالب فى اللغة العربية تستعمل للأغنام ويقال لها رِبْقَة الأغنام.

إذن " وهم أزمّة الحق " أى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

"وأعلام الدين".

"والسنة الصدق".

"فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن".

"ورِدُوهم وروود الهيم العطاش"؛ أى اشربوا منهم، ورد الماء يعنى شرب من الماء، وِرِدُوهم، هذا أمر من أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، والهيم أى الإبل، أى اشربوا من هذا العذب الفرات، وِرِدُوا هذا العذب الفرات كورود الهيم العطاش، والعطاش أى التى تكون فى غاية العطش، والهيم هى الإبل، والإبل تتحمل العطش، وربما تصبر على العطش أكثر من الحيوانات لكن حينما ترى الماء فإنها تسرع إليها أكثر من كل الحيوانات، وتسبق كل الحيوانات العطشى للوصول إلى الماء، وإذا ما وصلت إلى الماء فإنها تشرب الماء بشراهة، وتأخذ الماء بقوة وبرغبة.

"ورِدُوهم وروود الهيم العطاش"، يعنى إذا أردتم أن تردوا هذا العذب الفرات فهذه الطريقة، أى انكبوا عليهم، أى لا تنفصلوا عنهم، فإن رِواءكم وإن

انطفاء حَرَّةِ غُلَّتِكُمْ من هذا العذب الفرات، من أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه يشير هنا إلى أنكم إذا شربتم من هذا العذب الفرات فلا تلتفتوا إلى غيره، فإن الهيم العطاش إذا جاءت إلى الماء، وشربت من الماء وهى فى حالة العطش، لا تلتفت إلى ما حولها مطلقاً. أى إذا أردتم أن تردوا هذا العذب الفرات.. إذا أردتم أن تردوا إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلا تلتفتوا إلى غيرهم.

وعدم الالتفات يرجع هنا إلى عدة أمور:

ـ الأمر الأول: ميسر الحاجة لأهل البيت:

أى حاجة الإنسان وميسر حاجته لإكمال نقصه ولا يكمله إلا أهل البيت وإلا علوم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإن نقص الإنسان وحاجة الإنسان تدفعه إلى عدم الالتفات، فصاحب الحاجة أعمى، وصاحب الحاجة لا يريد إلا قضاء حاجته.

ـ الأمر الثانى: حلاوة العذب الفرات:

أى حلاوة العذب الفرات الذى يشربه الإنسان، فالإنسان إذا شرب العذب الفرات، والإنسان إذا نظر إلى الجهة التى يظهر فيها الجمال فى أكمل مراتبه سينشغل بهذا الجمال ولا ينظر إلى غيره، حتى لو كان غيره فى غاية الجمال، لكن ما زالت هذه المرتبة أكمل فى الجمال، فالنظر حينئذ يكون مشدوداً إلى الأكمل.

وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الجمال محصور فيهم،
والقبح في غيرهم فإذا كان الجمال محصورا فيهم صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين، قطعاً سيكون النظر مشدوداً إليهم، حينئذ ستكون العقول والقلوب
مدهوشة ومتحيرة فيهم، ومنقطعة إليهم صلوات الله وسلامه عليهم.

- الأمر الثالث: النقص والعيب الموجود في غيرهم:

فهذه الأمور هي التي تدفع الإنسان وتدفع العقل البشرى وتدفع قلب
الإنسان إلى أن يرد هذا العذب الفرات بهذه الطريقة، أى بطريقة الهيم العطاش،
فحينما ترد الإبل فلا تلتفت إلى غيرها ولا تستشعر إلا بالماء، ولا هم لها إلا
أن تبرد حر غلتها وعطشها.

- فالذى يريد الورود إلى أهل بيت العصمة لا بد أن يرد بهذا المعنى، ولا
بد أن يرد بهذا الوصف.

- وهذا جزء من معنى وراثة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
للكتاب.

هذا الكتاب الذى تجلى فيه كل معانى الجمال الإلهى، وكل معانى الجلال
الإلهى، ووراثة هذا الكتاب عندهم ولهم، ولهم القيمومة على كتاب الله وعلى
دين الله وعلى أمر الله صلوات الله عليهم.

الذين لهم هذه المنزلة والذين لهم هذه المرتبة والخصوصيات التى
أشارت إليها الروايات الشريفة، سواء التى ذكرت أمثلة منها، أو الروايات
الكثيرة الأخرى التى لم أذكرها، كلها تتحدث عن جنبات جمالهم، وعن
جهات كمالهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذه المعاني إذا أردنا ان نتفحصها في آيات الكتاب الكريم، بملاحظة المعاني اللغوية والأدبية والبلاغية فقط، يمكننا أن نتحسسها وأن نتلمسها في مواضع عدة من كتاب الله.

وإذا أردنا أن نرجع إلى كلام المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو الدواء الناجع والبلسم الشافي فالأحاديث في هذا الباب تخرج عن حد الإحصاء المستيسر، فليس باليسر وبالسهولة أن تتمكن أن نحصى أو أن نعد الروايات التي وردت عن المعصومين صلوات الله عليهم التي تتحدث عن هذا المعنى.

وإذا أردنا أن نعرض عن هذا الأمر وأردنا أن نراجع كتب التاريخ التي كتبها أبناء العامة، والحوادث التاريخية التي حدثت في زمان النبي، أو في زمان الأول والثاني والثالث (لع)، أو في زمان الأمويين أو العباسيين، تجد حوادث كثيرة جدا تكشف عن هذه الحقيقة، أي تكشف عن أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم المرجع الأول والأخير في الكشف عن أسرار الكتاب وعن دقائق الكتاب.

– وهذا الكلام كله في هذا الأفق:

الأفق العلمي أفق أن أهل البيت هم ورثة الكتاب، أفق علوم ومعارف القرآن وأسرار القرآن.

– أما أفق حقيقة القرآن فهم حقيقة القرآن، والكتاب إنما هو الصورة الصامتة لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذا كان الحديث في المقامات النورانية لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأن المهدي صلوات الله وسلامه عليه سيعود بالكتاب " غصاً جديداً طرياً " - كما تصفه الروايات، وكما تصفه الأدعية والزيارات الشريفة. وإنما يعود بهذه الأوصاف وتنجلي حقائقه لأن هذه الفترة الطويلة - أي فترة الغيبة - ليست من وارث حقيقى ظاهر بين الناس، وإنما الوارث الحقيقى غائب عن الأبصار، وغائب عن كرسى حكومته وعن سلطان خلافته صلوات الله وسلامه عليه. أما وراثته العلماء والفقهاء كما فى الروايات الشريفة، فهى وراثته للتبيين بحسب ما يتمكنون ويدركون.

والعلماء والفقهاء تختلف مراتبهم العلمية وتختلف مراتبهم الإيمانية، وكل بحسبه.

فهذه الوراثة وراثته مجازية بالقياس إلى هذه الوراثة التى نتحدث عنها والتى تحدثت عنها الآية الشريفة:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾

فالوراثة الحقيقة لإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك حينما يخرج يعود القرآن غصاً.

الغض فى اللغة:

والغض هو الذى فى سن الشباب، حيث يقال للذى فى سن الشباب وفى ريعان الربيع غض، ويقال للنباتات فى أول الربيع، حينما تكون خضرتها فى تمام الخضرة، وحينما تظهر أزهارها فى تمام الحسن والجمال أنها غضة، ويقال للحشائش الطرية المخضرة فى فصل الربيع أنها نباتات غضة.

فانقرآن يعود غصاً جديداً طرياً على يديه صلوات الله وسلامه عليه لأنه هو الذى يرث هذا الكتاب، ولأنه هو الذى يكشف حقائق هذا الكتاب، حيث إن حقائق الكتاب لا تكشف إلا على يديه وعلى يدي آباءه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما غيرهم يتخبطون فى ظلام، حتى لو كانوا من الشيعة ومن علماء الشيعة، وذلك أيضاً فى حالة إذا شذوا عن طريق أهل البيت فإنما يتخبطون فى ظلام فى ظلام على ظلام.

المبحث الخامس: مناظرة الإمام الباقر لقتادة بن دعامة

مناظرة الإمام الباقر لقتادة بن دعامة:

ففى الكافى الشريف عن زيد الشحام - وهو من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام - قال: " إن قتادة بن دعامة دخل على الإمام أبى جعفر الباقر - قتادة بن دعامة من كبار فقهاء السنة، من كبار فقهاء العامة، من مفسريهم، من محدثيهم، من روايتهم، قتادة معروف فى كتب الحديث، حتى فى كتب علمائنا ينقلون عنه - فقتادة بن دعامة دخل على الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الإمام يسأله يا قتادة: أنت فقيه أهل البصرة؟؛ لأنه كان معروفاً بفضله أهل البصرة، قال: نعم، يزعمون كذلك، قال بلغنى أنك تفسر القرآن؟ قال قتادة: نعم. فقال الإمام عليه السلام: يعلم أم بجهل؟، فقال قتادة: لا.. يعلم، فقال له الإمام أبو جعفر صلوات الله عليه؛ إن كنت كذلك، أى تفسر القرآن يعلم فأنت أنت؛ يعنى فأنت أنت العالم المفسر، المصيب للحقائق، وأنا أسألك فقال

قتادة: سل، فقال إمامنا أبو جعفر صلوات الله وسلامه عليه: "أخبرني" أي أخبرني ما معنى هذه الآية؟ ما دلالة هذه الآية؟ أخبرني عن قوله عز وجل في سورة سبأ:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾

هذا النصف الأخير من الآية..

(وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) والتي فسرت في روايات أهل البيت؛ (الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) هم الأئمة المعصومون، والقرى الظاهرة، العلماء الذين ينوبون عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فسرت في روايات أهل البيت، حتى في بعض التواقيع الصادرة عن الناحية المقدسة، على أي حال، فالإمام يسأل عن هذا المقطع من الآية، والمقصود تمام الآية. بدأ قتادة يفسر فقال: "إنما عنى بذلك، من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة حلال وكرى حلال" - كرى يعنى الأجرة وهى الكراية، والراحلة واضح الناقة التى يركبها الحاج - يريد هذا البيت - يعنى يريد مكة يريد المسجد الحرام للحج - "كان آمنة حتى يرجع إلى أهله فـ (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) فى طريقكم إلى الحج، ومن خرج من بيته بزاد حلال وراحلة حلال وكرى حلال فكان على الله أن يؤمنه، هذا الذى نقله قتادة.

فقال له إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، قال له: "يا قتادة، ناشدتك الله، أفلا تعلم أن الرجل قد يخرج من بيته بزاد حلال وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق، فنذهب نفقته، ليس فقط تذهب نفقته".

ثم يقول الإمام: " وقد يضرب ضربة يكون اجتياحه فيها " اجتياحه يعنى نهايته " فأين هنا الأمان؟! "

قال: " اللهم نعم إني أعلم هكذا " لأنه يقطع الطريق على الحجاج وعلى المعتمرين وعلى الزوار ويفعل فيهم ما يفعل، فكيف إذن تفسر الآية بهذا النحو، وبهذا المضمون، حينئذ الإمام يقول له: " ويحك يا قتادة، إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك، هلكت وأهلكت " هلكت نفسك يعنى، وهلكت معنى أبلغ من هلكت، يعنى أوقعت نفسك فى المهلكة العظيمة. " وإن كنت أخذته من الرجال هلكت وأهلكت أيضا " لا بد أن تنظر إلى أى الرجال تأخذ منهم.

" وإنما أراد الله بهذه الآية " من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال وهو يروم هذا البيت - يعنى يريد هذا البيت - وهو عارف بحقنا، وقلبه يهوانا، كما قال عز وجل:

﴿فَجَعَلَ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

هذه الآية مفسرة فى الذى خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يروم هذا البيت، عارف بحقنا، وقلبه يهوانا، كما قال عز وجل: ﴿فَجَعَلَ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ فإنه قال (إليه) ولم يعن البيت، ولو كان يعنى البيت لقال: " إليه "، بل قال:

﴿فَجَعَلَ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من ذريتي، إبراهيم حينما جاء بهاجر على المشهور ما كانت قد ولدت إسماعيل !!! ثم ذريتي تشير إلى الكثرة، ذريتي

وأشرف ذريتي من هم؟؟.. هم الأئمة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين

فالإمام يقول: تهوى إليهم، وما عنى البيت، ولو عنى البيت لقال تهوى إليه ثم يقول إمامنا الباقر: (نحن والله دعوة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه التي من هوأنا قلبه - باعتبار الآية:

فَأَجْعَلُ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ - قبلت حجته وإلا فلا "

"يا قتادة، فمن كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة".

فحينئذ يقول قتادة: " لا جرم والله لا فسررتها إلا هكذا " - بعد ذلك يقول

له الإمام الباقر ؑ:

"ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به" .. والذين خوطبوا به هم صلوات الله عليهم أجمعين.

ولا يشتبه الأمر عليك أن المراد من كلمة " خوطب به " النبي صلى الله عليه وآله فقط، بل النبي وأهل البيت، فعلى عليه السلام كان يستمع إلى الوحي حين يوحى إلى النبي ﷺ بصريح كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة الشريف وفي غيره من الأحاديث والخطب الكريمة المنقولة عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه، ولو كان الأئمة في ذلك الوقت حاضرين لسمعوا ما كان يسمعه على صلوات الله وسلامه عليه، لأن نورهم واحد.. ولأن طبيعتهم واحدة.. وحقيقتهم واحدة.. ولأن مقامهم النوراني مقام واحد.

"ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به" - والذين خوطب به

نبينا، وأئمتنا، وإمام زماننا صلوات الله عليهم أجمعين.

ولذلك حقائق القرآن لا تتمكن من استكشافها على وجهها الأتم الأكمل إلا منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المبحث السادس: رواية: إن القرآن نزل على أربعة أشياء

نزول القرآن علي أربع:

— في الرواية عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه:

إن القرآن نزل على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق.. أما العبارة فللعوام، وأما الإشارة فللخواص، وأما اللطائف فللأولياء، وأما الحقائق فللأنبياء.

ونقلت أيضا هذه الرواية عن سيد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين. هذه اللطائف وهذه الحقائق إنما هي عندهم فكما ورد في الزيارة الجامعة الشريفة: وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه وحجته عندكم، والحق معكم وفيكم وبكم ومنكم وإليكم.

هذه المعاني كلها تدور في هذه الدائرة، أي دائرة " اللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء".

المبحث السابع: رواية: «لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون»

* بل هناك معنى أدق من هذا المعنى.. وهو المعنى الذي تذكره الرواية التي يرويها الشهيد الثاني، وكذلك يرويها الشيخ المجلسي في البحار الشريف عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه:

لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون.

فكلام الله هو الصورة التي تجلت فيها أسماء الله، لكني أنا وأنست لا نبصر حقيقة هذا التجلي، أما الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليهما هو الذي يحيط بهذا التجلي، وهو الذي يبصر هذا التجلي، وهو الذي يرث هذا التجلي. بل حقيقة التجلي التي ظهرت، حقيقته صلوات الله وسلامه عليه.

فالقرآن لا يقف عند هذا الحد، لا يقف عند حد العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فهو يرقى إلى مرتبة التجلي وهذا هو معنى الرواية الشريفة:

لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون.

فتحن الذين لا نبصر هذا التجلي، أما إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه فهو الذي يبصر هذا التجلي، وهو الذي يظهر في قلبه هذا التجلي، وحقيقة القرآن قلبه صلوات الله وسلامه عليه، وحقيقة قلبه حقيقة القرآن عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولذلك هذه المعاني نجدتها جلية في كثير من الروايات المعصومية الشريفة التي تتحدث عن حق أهل البيت الظاهر الساطع في كلام الله.

الامام المهدي عليه السلام و ثقافة الانتظار فى عصر العولمة و الارهاب

ماجدة آل مرتضى المؤمن

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَةَ
الْأُخْرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾^١

مقدمة

أول جريمة نُفِذَتْ على الأرض قتل قابيل أخاه هابيل، واستمر القتل والارهاب والفساد على الأرض الى يومنا هذا وكان عبر التاريخ بين المد والجزر. وقد طَهَّرَ اللهُ تعالى الأرض عدة مرات ببعث الانبياء والرسل والأولياء الصالحين، وأكبر التطهيرات كان زمن النبي نوح عليه السلام، التطهير الكلى من كل فاسد على وجه الأرض.

١. النجم. الآيات ٤٣ الى ٤٨.

وهكذا حال الدنيا حينما تبتعد عن مركزية النبوة والحجة حين تبتعد عن أخلاقها وقيمها كما قال الله تعالى:

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۗ

لكن الله تعالى لا يترك الأرض دون حجة، أما ظاهر مشهور أو غائب مغمور، ليتمكن الأولياء الصالحين من الاتصال بالغائب المغمور ليوصل التعاليم الصحيحة إلى خلق الله دون أن يعلموا بذلك. وليكون حجة عليهم يوم القيامة. أما كيف يمد الله تعالى بعض خلقه في أعمارهم، وينقص في آخرين فهذا شأنه وإرادته، لأن الموت والحياة من خصوصيات الخالق العظيم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون كما قال في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ فالموت بيده والحياة وطولها وعرضها بيده تعالى، فهو القادر الحكيم، فكما وضع الموت لحكمة لا نعلمها، فقد وهب الحياة وأمكنها لبعض عبادة وطولها لحكمة لا نعلمها أيضاً.

فقد تجلت حكمة الله تعالى أن تصلح الأرض ومن عليها في آخر الزمان، وليس في أوله ولا وسطه، وأن يرجع كل حق إلى أهله، وأن يقتصر من الظالم، وتضيق العدالة قبل يوم القيامة، قبل الحساب الأخرى. جلت حكمته في ذلك. لا علم لنا إلا ما علمنا وأخبرنا. وإذا سكت الله عن شيء، نسكت عما سكت الله عنه ولم يخبرنا فيه، فالله الحاكم الرحيم، العادل الذي لا يظلم. الحق الودود الذي بيده كل شيء وهو بكل شيء عليهم...

وهذا البحث بين يدي القارئ الكريم يتحدث حول ثقافة الانتظار في عصرنا هذا، عصر العولمة والارهاب، وبيان ارادة الله تعالى في خلقه في جعل تطبيق العدل على يد حجته في آخر الزمان. راجية من الله القبول. والله ولي التوفيق.

تمهيد

ارادة الله تعالى في خلقه تتضح من خلال آياته الكريمة، نذكر منها ما جاء في سورة النجم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى... الخ﴾

والسياق في جميع هذه الآيات سياق الحصر، وتفيد انحصار الربوبية فيه تعالى وانقضاء الشريك، و ينافي ما في هذه الموارد من الحصر توسط أسباب أخر طبيعية أو غير طبيعية فيها كتوسط السرور والحزن وأعضاء الضحك والبكاء من الانسان في تحقق الضحك والبكاء، وكذا توسط الأسباب المناسبة الطبيعية وغير الطبيعية في الإحياء والإماتة وخلق الزوجين والغنى والفقن وإهلاك الأمم الهالكة وذلك أنها لما كانت مسخرة لأمر الله غير مستقلة في نفسها ولا منقطعة عما فوقها كانت موجوداتها وآثار وجوداتها وما يترتب عليها لله وحده لا يشاركه في ذلك أحد.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أنه تعالى هو أوجد الضحك في الضاحك وأوجد البكاء في الباكي لاغيره تعالى.

ولا منافاة بين انتهاء الضحك والبكاء في وجودهما الى الله سبحانه وبين انتسابهما الى الانسان وتلبسه بهما لأن نسبة الفعل الى الانسان بقيامه به ونسبة الفعل اليه تعالى بالإيجاد وكم بينهما من فرق.

ولا أن تعلق الإرادة الإلهية بضحك الإنسان مثلاً يوجب بطلان إرادة الإنسان للضحك وسقوطها عن التأثير لأن الإرادة الإلهية لم تتعلق بمطلق الضحك كيفما كان وإنما تعلق بالضحك الإرادي الإختياري من حيث إنه صادر عن إرادة الإنسان واختياره فإرادة الانسان سبب لضحكه في طول ارادة الله سبحانه لا في عرضها حتى تتزاحما ولا تجتمعا معاً فنضطر الى القول بأن أفعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله ولا صنع للإنسان فيها كما يقوله الجبري أو انها مخلوقة للإنسان ولا منع لله سبحانه فيها كما يقوله المعتزلي.^١

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ الكلام في انتساب الموت والحياة الى أسباب أخر طبيعية وغير طبيعية كالملائكة كالكلام في انتساب الضحك والبكاء الى غيره تعالى مع انحصار الإيجاد فيه تعالى، وكذا الكلام في الأمور المذكورة في الآيات التالية.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ النطفة ماء الرجل والمرأة الذي يخلق منه الولد، وأمنى الرجل أى صبّ المنى، وقيل: معناه التقدير، وقوله: ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ بيان للزوجين.

قيل: لم يذكر الضمير في الآية على طرز ما تقدم - أنه هو - لأنه لا يتصور نسبة خلق الزوجين الى غيره تعالى.

١. الميزان في تفسير القرآن / العلامة الطباطبائي / ج ١٩ / ص ٤٩ - ٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ النشأة الأخرى الخلقة الأخرى الثانية وهي الدار الآخرة التي فيها جزاء، وكون ذلك عليه تعالى قضاؤه قضاء حتم وقد وعد به ووصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي أعطى الغنى وأعطى القنية، والقنية: ما يدوم من الأموال ويبقى ببقاء نفسه كالدار والبستان والحيوان، وعلى هذا فذكر ﴿أَقْنَىٰ﴾ بعد ﴿أَغْنَىٰ﴾ من التعرض للخاص بعد العام لنفاسته وشرفه. وقيل: الإغناء التمويل والإقناء الإرضاء بذلك، وقال بعضهم: معنى الآية أنه هو أغنى وأفقر.^١

اذن الله تعالى خالق كل شيء ورازق كل شيء وهو سبب الأشياء كلها، يودعها في الانسان ويترك الاختيار للانسان دون الخروج عن ارادته تعالى. بعد هذا التمهييد القصير في معرفة الارادة الإلهية في الخلق واختيار الانسان، ندخل في موضوع الارادة الإلهية في خلق الامام المهدي وغيابه وظهوره ونشر العدل على الارض في آخر الزمان من خلاله عليه أفضل الصلاة والسلام، وكم لنا وله عليه السلام من الاختيار في ظهوره، في التعجيل والتأخير، وأنه منتظرٌ ومنتظرٌ، ماذا ينتظر، وماذا نتظر؟

ينتظر منا ان نصلح انفسنا ونهيب الارضية لظهوره ليجد فينا أصحاباً أوفياءً مخلصين نا صرين له ولدين الله تعالى.

ونتتظر منه الظهور ليخلصنا مما نحن فيه من عدم الامان، في عصر العولمة والارهاب.

١. الميزان في تفسير القرآن العلامة الطباطبائي : ج ١٩ - ص ٥٠.

ولكن ارادة الله تعالى فوق ارادتنا، و ارادة الامام، اذن الامام يحتاج الى ارادة الله تعالى، و الى الإذن في خروجه.

لماذا المهدي في آخر الزمان؟

لماذا يريد الله تعالى - الارادة الالهية - بعد آلاف السنين من سفك الدماء على الارض و انعدام العدالة، والظلم والارهاب، يريد ان يُنشر القسط والعدل في آخر الزمان؟ لماذا لم ينشره منذ أول الزمان؟ أو في وسط الزمان؟ ولماذا هذا الانتظار كله؟ ولماذا يريد الله تعالى ان يمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم الوارثين لهذه الأرض؟ ولماذا هذا، وهناك يوم حساب وكتاب وقيامه كبرى تتحقق فيها العدالة وكلّ يأخذ جزاءه خيراً كان أو شراً، حسب أعماله وأفعاله في الدنيا؟ ما هي الفائدة وما هي الحكمة في اظهار الحق والعدل لسنين معدودات في الدنيا في آخر زمانها ثم تنتهي وينتهي كل شيء؟ بل لماذا وراثة الأرض في آخر الزمان للذين استضعفوا، ثم يجعلهم الله تعالى أئمة، كما قال في كتابه العزيز

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^١

وقوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^١.

هذا المن، وهذا الوعد لماذا يتحقق في آخر الزمان؟!، و آخر الزمان في الظاهر يعنى قبل يوم القيامة بقليل، أى بعد أن ينتشر القسط والعدل على الأرض ويظهر الحق ويُدحض الباطل تنتهى الدنيا وينتهى كل شىء على الأرض.

لعل الجواب على هذه الأسئلة فى رأى والعلم عند الله سبحانه، الجواب يكمن فى ثلاث نقاط وقد يكون غيرها لكنى لم انتبه اليها:

أولاً: ارادة الله تعالى وحكمته فى خلقه لا تصل اليها عقول البشر فهو الذى كما ذكرنا فى أول البحث، هو الذى أضحك وأبكى وهو الذى أمات وأحيا وخلق الزوجين الذكر والأنثى و... بيده كل الامور وكل الاسباب، فإرادته تقتضى ان تتحقق العدالة فى آخر الزمان.

ثانياً: ان الله تعالى ألهم الناس الخير والشر ﴿أَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وجعل الانسان مختار فى أفعاله وسلوكه، واعطاه الفرصة الطويلة ان يختار، فما اختار الانسان إلا سفك الدماء والدمار على الأرض والفساد، وكلما ظهرت فئة للإصلاح تصدت لها فئة الشر وقضت عليها حتى تصور الانسان ان العدالة لا يمكن ان تتحقق على الأرض، وبعد الصبر الطويل للبشر فى اظهار الحق يحققه الله تعالى لهم فى آخر المطاف من الدنيا.

ثالثاً: نشر العدالة في آخر الزمان قد يكون امتداداً نموذجاً للعدالة التي ستتحقق في يوم القيامة، فهي تمهيد للعدالة الكبرى، فستكون من ظهور الامام المهدي عليه السلام في الدنيا وتستمر الى ما لا نهاية من الآخرة. وقد تكون هناك أمور أخرى لم نلنفت اليها، ولم تصل اليها عقولنا... علمها عند الله جلّ وعلا والراسخون في العلم.

عولمة المهدي المنتظر

السدعوة الى العولمة وجعل الارض قرية صغيرة يحكمها فكر واحد وتكنولوجيا واحدة وثقافة واحدة وما الى ذلك، فكرة طرحها الغربيون في نهاية القرن العشرين، وطبّل لها من طبّل من الشرق والغرب الكثيرون، وخاف من خاف عواقبها، وحذر من حذر. وهكذا ديدن البشر في كل الامور.. وتصور الغرب انه سيسيطر على الشرق بهذه الطريقة الاستعمارية بثوبها الجديد إلا أنّ الواعين من المسلمين حذروا من هذا الغزو الجديد الثقافي والسياسي و... الخ.

ولكن هل يمكن لحكومة ما أو دولة ما أن تحكم العالم كله مع اختلاف الأديان، واختلاف الأفكار، واختلاف الأذواق وما الى ذلك؟ وهل ممكن للدنيا ان يقودها قائد واحد يُسمع ويُطاع؟ قبل ان نرجع الى القرآن والسنة في اثبات ذلك، فلنستمع الى علماء الاجتماع وما هو رأيهم:

يقول علماء الاجتماع: نعم ممكن ذلك في ظل عوامل مساعدة أهمها:

العامل الثقافي، العامل الاقتصادي، العامل السياسي، وحدة الهدف.
هذه أهم العوامل التي تساعد على التوجه الى قائد واحد وحكومة واحدة،
وهناك عوامل أخرى يطول البحث لذكرها نكتفي بهذه العوامل الأربعة.

١. العامل الثقافي

يقول خبراء اليونسكو: (إذا استطعنا تربية البشر على أساس ثقافة انسانية
واحدة وأخلاق حميدة ثابتة فان الشعوب ترتبط بعضها مع بعض ارتباطاً وثيقاً
ويكوّنوا ثقافة واحدة وبذلك تتكوّن أمة واحدة تسهل ادارتها).

والعامل الثقافي مهم جداً في صنع عولمة حقيقية، بحيث كل الشعوب
تحمل فكراً واحداً، ولذلك فكر الغرب منذ عدة سنين بغزو الشعوب ثقافياً
لتسهل سيطرته عليهم.

ولكن هيهات لأن المسلمين واعون للغزو الثقافي الغربي وما تكن صدور
الغربيين من احتلال الشرق وسرق خيراتهم.

٢. العامل الاقتصادي

أما رأى علماء الاقتصاد في توزيع الثروات بالتساوي بين الناس فهو:
أن الاقتصاد عنصر عام لتكميل سعادة الإنسان، ولا ريب أن سوء الحالة
الاقتصادية لدى أي شعب يكون سبباً لإشاعة الظلم والفساد والسرقة والبعد
عن الحق، وكذلك يسبب النقمة على الشعوب المنعمة خصوصاً اذا كانت
حكومات تلك الشعوب سارقة لخيرات ذلك البلد، أو محتلة له، فيكون
العامل الاقتصادي في هذه الحالة مفرقاً للشعوب، مفرقاً بين البشر، ويعكس

ذلك اذا قُضى على الفقر وتساوت الناس فى استغلال خيرات الأرض وكنوزها، فيكون سبب استقرار النفوس واطمئنانها ووحدتها والقرب الانسانى فيما بينها.

٣. العامل السياسى

أما العامل السياسى فيأتى من النقمة على السياسيين من حكام ظلام ومساعدين لهم أظلم، أو منظمات عالمية سياسية وغير سياسية تحكم باسم العدالة وحقوق البشر تظلم شعوب العالم، وتحكم بالباطل ولا ترى الحق والعدل. وهذه الحالة تكون سبباً لنقمة المجتمعات المظلومة، والشعوب المضطهدة، فعلماء الاجتماع: يرون ان حصل العكس، وحكمت الحكومات بالقسط والعدل، وكلُّ ذى حق حصل على حقه، فينتج من ذلك تقارب بين الشعوب والحكومات وتتحقق العولمة الحقيقية التى يتحدث عنها العالم فى النظرية وليس فى التطبيق. أما ما يريده الغرب من العولمة اليوم، فهو العولمة الباطلة الاستعمارية، وليست عولمة القسط والعدل ولكل ذى حق حقه.

٤. وحدة الهدف

اذا كان للبشرية هدف واحد وفكرة واحدة يسعى الجميع فى سبيل تحقيقها، وتتوحد الشعوب حول الهدف الواحد، ففكرة المصلح العالمى الذى سيظهر فى آخر الزمان وتحقيق العدالة على الأرض فكرة تحملها كل الشعوب، وكل الأديان السماوية وغير السماوية ولم نر شعباً من الشعوب لم يحمل هذه الفكرة إلا اذا كان لا يعترف بالخالق أصلاً، أو لا يعترف بالحق والعدل أبداً.

فاذا كان الهدف هو عولمة العدل أو عالمية العدل، وكسل الشعوب تحووم حول هذا الهدف، فمتى تحقق تحققت العولمة المهدوية، وحكومته العالمية. ومن السهل عليه ان يحكم العالم...

رأى الاسلام في امكان العولمة

بعد أن عرفنا رأى غير الاسلاميين فى امكان العولمة إن كانت هناك عوامل تساعد عليها، فما هو رأى الاسلام فى امكان العولمة: قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ قُل لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ١

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٢

القرآن الكريم يبشرنا بغلبة الدين رغم أنف المشركين، ويدعو الناس الى الوحدة الثقافية، والوحدة الدينية، والوحدة الفكرية، والوحدة السياسية فى هذه الآيات وغيرهما من الآيات قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، دعاهم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان وعبادة الانسان وأى أنواع الشرك،

١. سبأ: ٢٨ - ٣٠.

٢. التوبة: ٣٣؛ انصف: ٩.

ودعاهم الى التخلق بالأخلاق الحسنة كالأمانة والصدق والوفاء والبر وحسن الجوار وحب الخير للغير والعدل والرحمة والإحسان وعدم أكل المال بالحرام، وعدم غصب حقوق الآخرين و... الخ من التعاليم التي تدعو الى وحدة العالم الانساني والتقارب بين بنى الانسان، وقال تعالى أيضاً:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^١.

الدعوة الى الحق التي تتحدث عنها الآية الكريمة هي الدعوة العالمية لدحض الباطل والارهاب والخوف والرعب الذي تعيشه البشرية، واستبدال الأمن والأمان وحفظ حقوق الآخرين، والسراج المنير: هو النور الذين يُخرج الناس من الظلمات التي يعيشونها، الى دنيا مضيئة مبهجة ليس فيها ظالم ولا مظلوم، ولا قاتل ولا مقتول، ولا سارق ولا مسروق و.. الخ مما يكون مصدر سعادة البشرية على الأرض، ومصدر اطمئنان الانسان برضا الله تعالى والفوز بالآخرة.

وقد جاء في بحار الأنوار قول الامام الباقر عليه السلام في بيان العولمة العقلية والفكرية وامكانها، قال عليه السلام:

إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم
وأكملت بها أحلامهم.^٢

١. الأحزاب / ٤٥ و ٤٦.

٢. بحار الأنوار، ج ١٣ / ص ١٨٧.

ويتضح من هذه الرواية: أن بعد أن يقضى القائم المهدي عليه السلام على الظلم والارهاب وينشر الحق ويقضى بالعدل، تتضح العقول وتتوعى وتتجه الى الطريق الصحيح، أي أن عقول البشر تكتمل في آخر الزمان، بعد قيام المهدي عليه السلام، وبذلك يمكنهم قبول حكومة واحدة بسهولة، لأن العقل مع الصحيح، لا مع الخطأ.

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع الجور في أيامه، وآمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها وردَّ كل حق إلى أهله... فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقاته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين.^١

فإذا عمَّ الخير وأُمن للناس ما يأكلون وما يشربون وما يعتقدون وما يحتاجون إليه من دنياهم من أمان واستقرار وراحة، فلا حاجة لهم للقيام بالثورات والحروب والقتل والسرقات وما إلى ذلك من الفساد في الأرض. فمن السهولة ان تقام حكومة عالمية واحدة لقائد واحد يأمر فيطاع.

اذن العولمة ممكنة، ولنسمها في ظل حكومة الامام المهدي (العدالة العالمية) والقائد الواحد ممكن، اذا توفر للناس العامل الثقافي الموحد، والعامل الاقتصادي العادل، والعامل السياسي في ظل الأمان والاستقرار والرحمة في تحقيق الهدف الواحد.

الإرهاب في آخر الزمان

يصل الإرهاب في آخر الزمان إلى ذروته، بحيث يصفه الامام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

.... فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطاغية، وقلت الداعية، وصال الدهر صيال السبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم^١، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابوا على الكذب، وتباغضوا على الصدق... فاذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً وتفيض اللثام فيضاً وتغيض الكرام غيظاً... وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً وأوساطه أكالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصدق، وفاض الكذب، واستعملت المودة باللسان، وتشاجر الناس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً.^٢

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

... حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد أن يقول: الله، ثم يبعث الله عز وجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً...^٣

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً:

١. فنيق: الفحل من الإبل. وكظوم: امسك وسكون.
٢. نهج النبلاغة تحقيق صحاح الصالح الخطبة رقم ١٨٠ ص ١٥٧.
٣. منتخب الأثر ص ١٦٨.

ينزل بأمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء
أشد منه حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة وحتى تملأ الأرض جوراً
وظلماً لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً
من عترتي.^١

ويكثر القتل والإرهاب وعدم الامان، وعدم الاستقرار، ولا يعلم المرئ في
أى بقعة من بقاع العالم يلجئ لىستقر.. ولا يرى الاستقرار...!!
أما عن كثرة القتل في آخر الزمان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة
دعوتها واحدة... وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل.^٢

وعن الامام على عليه السلام:

لا يخرج المهدي حتى يُقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث.^٣

وعن الامام الحسين عليه السلام:

لا يكون الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويشهد
بعضكم على بعض بالكفر، ويلعن بعضكم بعضاً... الخير كله في
ذلك الزمان يخرج المهدي فيرفع ذلك كله.^٤

وعن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله صلى الله عليه وآله:

١. المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٤٦٥.

٢. صحیح البخاری ج ٩ ص ٧٤.

٣. الملاحم والفتن . ٢٣١.

٤. عقدة الدرر ص ٩٦.

كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين، فيأزر العلم كما تآزر
الحية في حجرها، واختلفت الشيعة وسمى بعضهم بعضاً كذابين،
وتفل بعضهم في وجوه بعض؟ قلتُ جعلتُ فداك ما عند ذلك من
خير، فقال لي: الخير كله عند ذلك.^١

أما ما يحدث من خوف وإرهاب في العراق في آخر الزمان فقد ورد عن
الامام الصادق عليه السلام أنه قال:

يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام عن معاصيهم بنار تظهر لهم في
السماء، وحمرة تجلج السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة،
ودماء تسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول
أهل العراق خوف لا يكون معه قرار.^٢

وهناك روايات وأحاديث أخرى نعرض عن ذكرها خشية الإطالة،
ونكتفي بهذا القدر المعبر عن الارهاب في آخر الزمان.

المهدي: محمد بن الحسن العسكري عليه السلام

المصلح العالمي والقائم بالحق والمهدي المنتظر هو: محمد بن الحسن بن علي
بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله.
ولد عليه السلام بسامراء من مدن العراق، ليلة النصف من شعبان عام (٢٥٥هـ)،
وكان الولد الوحيد لأبيه الحسن العسكري عليهما السلام.

١. كافي الكليني ج ١ ص ٣٤٠.

٢. بحر الأنوار ج ٥٢ ص ٢٢٢.

ولى الامامة بعد وفاة ابيه الامام الحسن العسكري عام (٢٦٠هـ) وهو ابن خمس سنين، ولا استغراب فى جعله اماماً وهو فى هذه السن المبكرة، لأن الامامة هبة يمنحها الله تعالى من يشاء من عباده، ممن تتوافر فيه عناصر الإمامة وشروطها، شأنها فى ذلك شأن النبوة. وهو ما برهن عليه فى مجاله من مدونات وكتب الإمامة عند الشيعة بما يربو على التوفية.

إن المهدي المنتظر قام بالإمامة، وحاز هذا المنصب الجليل، وهو ابن خمس سنين، طفل لم يبلغ الحلم.. فهل يجوز ذلك؟!.. أم لا بد فى النبى والرسول والخليفة أن يكون بالغاً مبلغ الرجال؟!!

هذه مسألة كلامية، ليس هنا محل تفصيلها، ولكن على وجه الإجمال، نقول: بناءً على ما هو الحق من أن أمر الرسالة والإمامة والنبوة والخلافة بيد الله سبحانه وتعالى، وليس أحد من الناس فيها اختيار - يجوز ذلك عقلاً، ولا مانع منه مع دلالة الدليل عليه، لأن الله سبحانه وتعالى قادر أن يجمع فى الصبى جميع شرائط الرسالة والإمامة "١.

وقد ولى الامام الجواد الامامة وهو ابن سبع سنوات، والامام الهادى وليها وهو ابن ثمانى سنوات، والحسن العسكري قبل العشرين.

وقد تحدث القرآن الكريم عن النبى يحيى عليه السلام قال تعالى:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.٢

والنبى عيسى عليه السلام صار نبياً وهو طفل رضيع، قال تعالى:

١. المهدي / السيد صدر الدين الصدر / ص ١٠٧.

٢. مريم / ١٢.

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي
عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.^١

العلم يؤيد طول العمر

- طول العمر من الجانب الديني ممكن، لأن كسل مؤمن بالله تعالى عالم وعارف ان الله تعالى قادر وعلى كل شيءٍ قدير، بقدرته اللامتناهية يستطيع ان يطول عمر أى شيء من مخلوقاته مئات السنين بل آلاف السنين، أليس هو الخالق؟ أليس هو العالم كيف خلقهم وكيف جعل لهم أجلاً مسمى، فهل هو الخالق وهو الواضع لقانون البداية والنهاية لكل شيء، هل هو قادر على أن يطيل أمد شيء أو ينقص منه؟ فهو الذى أطال عمر آدم ألف سنة، ونوح ٩٥٠ سنة يدعو قومه الى وحدانية الله،^٢ وأصحاب الكهف لبثوا فى كهفهم ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا،^٣ ويونس عَلَيْهِ السَّلَامُ يتحدث عنه القرآن الكريم لولا ان كان من المسيحيين لخلد فى بطن الحوت الى يوم القيامة وليس سنين معدودة، قال تعالى:

قُلْ لَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،^٤

وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى بصريح القرآن ورفع الى السماء وانه حتى وسينزل مع الامام المهدي ويصلى خلقه كما فسر المفسرون الشيعة الآية الكريمة من قول

١. مريم: الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

٢. عنكبوت: ١٤.

٣. كهف: ٢٥.

٤. نجات: ١٤٣ و ١٤٤.

الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ... الخ﴾^١ والخضر عليه السلام جاء ذكره في الأحاديث الشريفة للرسول وأهل بيته الكرام، وأن غيبته صار لها ٦٠٠٠ سنة وسيخرج مع الامام المهدي^٢، وهناك في القرآن الكريم آيات تحدثت عن أعمار طويلة في الأمم السابقة، كقوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾^٣ وعن الذي أماته الله تعالى مائة عام ثم أرجع له الحياة: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^٤ ويتبين هنا ان الزمن قد توقف عنده ولم يحس به. وأمثلة كثيرة من هذا القبيل في القرآن الكريم.

وجاء في تاريخ الطبري ان الياس والخضر وإدريس وعيسى لا زالوا أحياء، وهناك اعتقادات لبعض المسلمين وغيرهم بآخرين أحياء لحد الآن. أما من الجانب العلمي فطول العمر ممكن أيضاً؛ على ما أكد عليه العلماء: "... أن كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لا نهاية له، وأنه في الامكان ان يبقى الانسان حياً ألوفاً من السنين اذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالإختبار.

ان الانسان لا يموت لأنه عمّر كذا من السنين سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر بل لأن العوارض تتناوب بعض أعضائه فتتلفها ولإرتباط أعضائه بعضها

١. النساء : ١٥٧.

٢. عمر المهدي بين العلم والأديان على أكبر بور ص ٧٢.

٣. الأنبياء : ٤٤.

٤. البقرة : ٢٥٩.

ببعض تموت كلها، فاذا استطاع العلم ان يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين".^١

وفيما يعتقد بعض علماء البيئه بعد دراسات طويلة أجروها أن جسم الإنسان صنع ليعيش أكثر من ألف سنة.^٢

وهناك آراء وتصريحات كثيرة لعلماء الطب وعلماء البيئه في كيفية اطالة عمر الانسان وامكان ان يعمر سنين أطول مما عليه البشر في الحالة الطبيعية الآن تدل على أن عمر الانسان أو بقية الكائنات الحية لم يُحدد له من الناحية العلمية حدًا قاطع، طبعاً إلا ما كان من أجل الله تعالى المحتوم، أو يعرض له حادث يقتله من انسان وغيره من الحوادث، وأن العمر الطويل غير محال فحسب بل هو في حدود التعقل.

والجدير بالذكر ان الله تعالى اذا أراد شيئاً هياً أسبابه، فاذا أراد لإنسان ان يطول عمره لمصلحة ما، يجعله يعيش بالحالة الطبيعية وليست بالخوارق أو المعاجز، فمن الطبيعي ان يكون أكل الامام المهدي عليه السلام بالشكل الذي يكون خالي من السموم التي تقضى على خلايا الانسان وتسبب له الشيخوخة، ثم من الجانب الروحي يكون في حالة مطمئنة راضياً بقدر الله وقضائه وليس قلقاً، فقد أكد علماء الطب ان حالة القلق التي تصيب الانسان تقصر في عمره. ثم الحالات الأخرى من التعرض للحوادث القاتلة للبشرية كالتعرض للقتل وغيرها من الحوادث الطبيعية، فهو بعيد كل البعد عنها.

١. انظر: المهدي بين العلم والأديان : على أكبر بور.

٢. انظر: نفسه.

" إن مسألة بقاء الانسان حياً مدة طويلة من السنين ليست مستحيلة، لا فلسفياً ولا علمياً، وإنما هي من المسائل الممكنة!"^١

الحاجة الى المنجد والمصلح

الأرض ومن عليها بحاجة الى الحجة، ولا يُخلى الله تعالى الأرض من حجة:
لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله، أما ظاهر مشهور، وأما غائب
مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبياناته

المظلوم يحتاج الى من ينقذه، والمحروم يحتاج الى من يعينه، والضال
يحتاج الى من يهديه، وهكذا حال البشر في كل زمان، وفي كل مكان، بحاجة
الى المصلح والمهدي.

وقد يسأل سائل: ان الحاجة الى الحجة والمصلح والمهدي الظاهر المشهور
معقولة، أما الحاجة الى الحجة الغائب المغمور كيف نفسرها؟!!!

ان ضرورة وجود الامام والحاجة اليه في الوجود والكون كضرورة وجود
بعض الكواكب والنجوم والمجرات غير المرئية والغائبة عن عيوننا وعن
تقنياتنا لكنها موجودة، فان وجودها وان لم يكن مرئياً، ضروري لوقوف
وتماسك النجوم والكواكب والمجرات الأخرى، فالنجوم والكواكب
والمجرات تماسك أحدهما الآخر مرئية كانت أم غير مرئية.. وبدون هذا
التماسك ينفطر الكون.

١. في انتظار الامام عبد الهادي الفضلي / ص ٤٥.

وهكذا الامام المهدي عليه السلام فوجوده مجرد وجود في هذا الكون، وان لم يكن مرئياً وغائباً عن العيون، فهو الأمان لهذا الكون وكواكبه ومجراته وبشريته سواء كان مرئياً أو غير مرئى، وعدم وجود الحجة على الأرض يعنى انقراط الكون وبالتالي انقراط البشرية التى تسكن هذا الكون، ووجوده حاضراً أو غائباً يعطى نفس المعنى فى تماسك المجتمع وعدم انقراطه، فهو الحجة على أهل الأرض فى كل الحالات.

المهدي عليه السلام ووسائل التكنولوجيا

العالم بأجمعه تقريباً متفق على ظهور مصلح ومنجد ومهدى ومنقذ فى آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ولكن تتبادر الى الأذهان عدة من الأسئلة، وهى:

كيف يظهر وبأى شكل يحارب؟ وكيف تسمعه كل أذن وتراه كل عين ساعة ظهوره، ويُلبي له من يُلبى وهو فى بلاده ولو كان فى أقصى الأرض؟ كيف يكون ذلك كله؟ وهل يواجه الامام المهدي عليه السلام العالم بالتقية التى يجدهم عليها أم يبطل كل شىء، ويتبدأ معهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحارب بالسيف ويلبس الدرع ويضع الطاس على رأسه وينزل الى ميدان الحرب ويحارب دولة دولة حتى يُخضع جميع من على الأرض له ويكونوا تحت طوعه؟

أهكذا يكون زمن الامام المهدي عليه السلام؟ أم بالخوارق الكونية؟ أوبالمعجزات الإلهية؟

طبعاً الجواب الأول والأخير ان الله تعالى هو العالم بالكيفية التي يُظهر به
حجته على الأرض بآخر الزمان.

ولكن هناك روايات تدلنا بعض الشيء على الحقيقة ولعلها تقربنا من
الحقيقة، وهي:

عن الامام علي عليه السلام: أنه قال: " تفرج الفتن برجل منا يسومهم خسفاً لا
يعطيهم إلا السيف، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر، حتى يقولوا: والله ما
هذا من ولد فاطمة، ولو كان من ولدها لرحمنا".^١

وعن الامام الباقر عليه السلام أنه قال:

لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج... فلا يأخذ منها إلا
بالسيف ولا يعطيها إلا بالسيف،... الخ.^٢

هل القصد من السيف هنا هي القوة التي يظهر بها الامام عليه السلام، أو ان من كان
في ذلك الزمان لا يفهم آلة أخرى في لغة الحرب إلا السيف، أو القصد منه
هو السيف الحقيقي أي آلة الحرب التي كان يحارب بها رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أن
معنى السيف في هذه الروايات هو معنى مجازي وليس معنى حقيقياً؟

وهناك روايات أخرى كثيرة جداً تبين انه يقوم بالسيف لكننا نكتفي بهذا
القدر... وروايات أخرى تبين ان الناس تراه وتسمعه في كل بلد وفي نفس
اللحظة التي يدعو الناس الى نصره دين الله الحق، وهي تدل على التقنيات
العالية في زمن الامام المهدي عليه السلام، وعلمها عند الله سبحانه فهي إما ان تكون

١. الحاوي للفتاوى ج ٢ . ص ١٤٦.

٢. بحار الأنوار : المجلسي ج ٥٢ / ص ٣٥٤.

مما علم الله تعالى الانسان ما لم يعلم، أو هي خوارق كونية كالمعاجز والكرامات:

عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال:

أنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون اليه، وهو في مكانه.^١

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق.^٢

وعن الامام الباقر عليه السلام أنه قال:

... وتصير اليه شيعته من أطراف الأرض، تطوي لهم طياً حتى يبابعوه.^٣

نكتفي بهذا القدر من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، ونتوقف قليلاً عند هذه الروايات لتسائل: ألم تكن هذه الروايات قبيلت قبل أكثر من ألف سنة، في الوقت الذي لم يكن فيه الانترنت ولا الفضائيات التي تنقل الخبر مباشرة؟ الحقيقة نحن لا نعلم كيف سيتطور العالم في مستقبل الزمان، ففي كل لحظة العالم في تطور سريع جداً. لماذا لا نتصور ان هذا التطور قد يكون تمهيداً

١. نفسه / ص ٣٣٦.

٢. نفسه: ص ٣٩١.

٣. نفسه: ص ٣٦٨.

لعولمة الامام المهدي عليه السلام أو (العدالة العالمية)، فالله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ و ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾، فكل تطوّر هو راجع في النهاية الى الله تعالى الذي إذا أراد شيئاً هياً أسبابه.

وقد يهبأ الله تعالى للإمام المهدي عليه السلام كل وسائل النصر السريعة، وبأحدث التقنيات، بل كل ما يحتاجه الامام في نشر العدل والقسط وبأقصر مدّة، وقد يقتل الامام عليه السلام الظالمين بالوسائل التي صنعوها هم بأيديهم لقتل المظلومين ويتحقق المثل القائل " من حفر بئراً لأخيه وقع فيه، والعلم في النهاية عند الله، لا علم لنا إلا ما علمنا.

مسك الختام

وأخيراً وليس آخراً... كل شيء ممكن عند الله تعالى، بإرادته فوق ارادة مخلوقاته من الجن والانس والملائكة وكل ما خلق في السماء والأرض، فهو الذي قرر وكتب ان يكون الاصلاح على الارض في آخر زمان هذه الدنيا، بعد أن يخربها حزب الشيطان وأعوانهم، وينشروا الرعب والارهاب، وكل أنواع الفساد على الأرض.

واقترضت إرادته أن يكون الاصلاح في آخر الزمان على يد رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء والمرسلين، يصلحها من كسل فساد، وينشر العدل بدل الظلم الذي ينتشر فيها بشكل مفرط.

واقترضت إرادة الله تعالى أن يمد في عمر ابن الامام الحسن العسكري الولد الوحيد للإمام الى آخر الزمان، العمر الذي اختلفوا في امكانه وعدم امكانه، والذي ثبت امكانه من جانب علمي وتاريخي وعقيدى.

واقترضت إرادته تعالى ان تكون للحجة القائم غيبتان صغرى وكبرى ثم ظهور عن عمر يناهز الاربعين عاماً كما جاء في الروايات...
كما اقتضت الارادة الإلهية ان تكون للمهدى المنتظر القوة والغلبة والعالمية التي لم يمكنها لأى معصوم من الأولين والآخرين من أنبياء ورسول وأئمة، ولأى ولى صالح وقائد مخلص، أوغير مخلص...

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة
- تفسير الميزان / العلامة الطباطبائي
- التفسير الكاشف / محمد جواد مغنية
- بحار الانوار / المجلسي
- المهدي / السيد صدر الدين الصدر.
- المستدرک على الصحيحين.
- المهدي بين العلم والاديان / على أكبر بور.
- صحيح البخارى / البخارى.
- سيرة الرسول وأهل بيته / ج ٢ / دار البلاغ
- سيرة الائمة الاثنى عشر / هاشم معروف الحسنى
- الامام المهدي فى القرآن والسنة / سعيد ابو معاش
- معالم الحكومة فى عهد الامام المهدي عليه السلام / شهاب الدين حسيني.

الامام المهدي عليه السلام و ثقافة الانتظار في عصر العولمة و الارهاب □ ٢٣٣

- في انتظار الامام / عبد الهادي الفضلي.
- أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين العاملي.
- وسائل الشيعة / الحر العاملي.
- عقائد الامامية / الشيخ المظفر.
- الحاوي للفتاوى / ج ٢.
- مجلة المقتطف / العدد الثالث.
- مجلة اطلاعات النسوية / العدد ٣١١.

سفيد

أيدولوجيا النظريات الغربية السياسية والعقيدة المهدوية (دراسة مقارنة)

محسن وهيب عبد^١

المقدمة

تنطلق الخيارات السياسية في أى زمان ومكان من عقيدة الإنسان السائس، ولذا فهي منحرفة بانحراف العقيدة ومستقيمة باستقامتها، ولذا فقبل أن ندخل في تفاصيل النظريات السياسية صوابها وخطأها، حسنها وقبحها، علينا أن نشخص الإيديولوجيات التي تنطلق منها تلك النظريات السياسية ثم الحكم عليها من خلال الآليات والمناهج التي بها تسوس الناس وتوجههم، مستندين الى النتائج التي أفرزتها تلك السياسات في الواقع.

إن تشخيص الإيديولوجيات السياسية الدافعة لواقع التعامل السياسي الدولي، سوف يبرز كثيرا من الزيف الذي ينعكس في المعايير المزدوجة التي يتعامل بها مدعو الإنسانية والمتابكون على حقوقها.

١. بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث للعقيدة المهدوية المنعقد في طهران من ١٢ - ١٥ شعبان ١٤٢٨هـ

ولذا فإن رحلتنا سوف تبدأ من تاريخ النظريات السياسية الغربية، وكيف تطورت؟ وما هي إيديولوجيتها؟ وكيف كانت تلك النظريات السياسية توظف لصالح الإيديولوجيات ذاتها على مر التاريخ؟. وبعدها نتقل الى مرحلة أخرى وهي مناقشة النظريات الغربية الحديثة في السياسة، مقارنة بالنظرية الإسلامية استنادا الى الإيديولوجية الإسلامية بالنظر الى الإنسان، ماهية ورسالة، وهو يسعى ليكون ممهدا لدولة الإنسان الكامل المنتظر عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه.

تاريخ النظريات السياسية الغربية وتطورها

طرح أفلاطون (٣٧٤ ق.م) نظريته في المدينة الفاضلة؛ «حيث كان يرى (الابدية) هذه الفكرة، ولكي تقوم الدولة المثلى، ستبدأ الدولة باستلام كل طفل ذكر، لتضعه في ملاجئ لتربية الأطفال، فالذين يصلحون للجيش يخضعون لتربية عسكرية والذين يصلحون لإدارة الدولة والسياسة يتلقون تربية فلسفية.. أما الموسيقى، فيجب أن تكون إيقاعا يفيض بالقوة، وان تخلو من الميوعة التي نشهدها عند بعض أهل الألحان في بقية الفنون، حيث يجب أن تظهر نهائيا من كل فكرة أو نزعة مخالفة للفضيلة، ويحمل أفلاطون على كثير من الشعراء ويطردهم من مدينته الفاضلة وعلى رأسهم هوميروس»^١. وكما نلاحظ فإنها نظرية مشدودة إلى الفكر الاسبرطي؛ تماما كما عند لوكوجوس؛ فهو يقول: كما يقول الاسبرطيون في تشريعاتهم؛ (الفرد

١. بدوي: عبد الرحمن (موسوعة الفلسفة) ج ١، ص ١٨٤.

للدولة)..ويقول بتربية الأفراد تربية عسكرية، ويطالب بالقضاء على الملكية، ويرفع عقود الزواج... بالضبط كما هي الحال عند الاسبرطيين، لكن أفلاطون يهدف إلى تحقيق الفضيلة!! وسيادة العلم^١.

وبعد النهضة العلمية في الغرب(القرن الخامس عشر فما فوق)، طرأت على الفكر الغربي تغيرات جوهرية، رسمت مساراً جديداً لذلك الفكر، كما نجد مثلاً عند أوغسطين؛ (مدينة الله)، وألف كمبانيلا؛ (مدينة الشمس)، وألف توماس مور؛ (يوتوبيا الرجل المتفوق)^٢...

وهذا بحد ذاته لا يعد بدعاً من الفكر يحتسب حسنة للغربيين، إذ سبقهم فيه كثير من الأقاليم الأخرى من أبناء الجنس البشري إلا أنه يعتبر تطوراً في الفكر الغربي الذي يعاني من الشد للفوقية التي تلازمه ولا زالت إلى الآن، ولا يستطيع أن يتحرر منها لأنها جزء من اللاوعي الذي يصعب على الإنسان معرفة تأثيره القوي في السلوك وفي خيارات الفعل العقلي.

وهذا أيضاً واضح في مرحلة الحدائة؛ اقصد؛ مرحلة الانتقال من التفكير في فترة التنوير إلى عقلانية الحدائة، عندما كان عقل الفردى هو الحاكم، وهو المرجع الوحيد لتمييز الخطأ من الصواب والحسن من القبيح، فقد جاءت مرحلة الحدائة لتحرر أوربا من فكر الفرد إلى فكر الجماعة.

فالحدائة عند الأوربيين؛ هي أعلى غاية وصل إليها العقل البشري وبنساء على هذا سمي هذا العصر بعصر التقدم، وقد أدى هذا إلى: الاعتقاد بسيادة

١. نفس المصدر:

٢. بيجو فيتش؛ على عزت (الإسلام بين الشرق والغرب)، ص ٢٤٤.

أوروبا ومركزيتها في العالم، باعتبارها الحقل الذي تنكس فيه حركة التاريخ، وأنها المساحة المنتجة لتطور العالم ونموه.

٣. الجذور الأيديولوجية للنظريات السياسية الغربية:

وكان خلف هذا الاعتقاد؛ واقع ايديولوجي يدفع الغربيين منذ القدم إلى نظرة تجعلهم يشعرون بالتفوق، والتجاهر به على سائر بني البشر، فهناك (احتميات) تاريخية هي محل الله - كما عندهم - كي تصبح أوروبا وشعبها شعب الله المختار.

تلك الايديولوجيا؛ هي تيار فكري ضارب في التاريخ الأوربي؛ منذ ابيفور، مروراً بنتشلة، ثم توكدت في هيجل، إلى ما نظر له فوكوياما، إلى ما تتبأ به هنتغتون في صدام حضاراته... وهي أيديولوجيا تشير إلى أن الإنسان (النوردي) أي الرجل الأشهب أو الأصهب أو الأشقر (NORDYMAN)، هو الإنسان الفاضل، لأنه الارقي والأنقى.

لقد سعت المركزية الغربية، إلى محاولة تصدير نموذجها الحضاري القاصر والذي يشهد الآن تدنيا لم يشهد له التاريخ مثيلاً، تمثل في نهضة الفقراء الذي ابتداءً في فرنسا، من الأعراق المهاجرة حيث سياسة التبذ والإقصاء والإهمال، التي أشرنا إليها، فكيف يمكن لها أن تصدره بعد اليوم إلى مختلف بقاع العالم؟! وقد يكون من المفيد أن اذكر لكم مرة؛ انه لفت انتباهي وأنا أشاهد التلفزة؛ تعليقا من مذيع المحطة التلفزيونية العربية الفضائية على صور لباريس وهي تحترق - ليلة الأول من نوفمبر ٢٠٠٥م - بقوله:

أنها ليست بغداد، بل هي باريس التي تشاهدونها تحترق بفعل أعمال الإرهاب التي يقوم بها شبان مسلمون ومسيحيون يشعرون بالاضطهاد والنبذ في دولة عظمى مثل فرنسا، فقد تفتت في أحيائهم البطالة وسوء الأحوال المعيشية في الأحياء الفقيرة المهملة في ضواحي باريس، والتي تسكنها غالبية مسلمة وهي مدن الصفيح و أحزمة البؤس التي تضرب طوقا رمزيا وماديا على كبرى المدن الأوروبية.

إن سياسة النبذ والإهمال المتعمد والإقصاء والمعاملة القاسية المتميزة بالاستعلاء، وبالنظرة الدونية لمواطنين فرنسيين، تمثل لطفة عار في جبين الحضارة الغربية التي تمثل فرنسا مثلاً رائدا لها.

ورب قائل: إن هذا اللون من النظر إلى الموضوع: موضوع التنظير السياسي؛ يجنح نحو الأخذ بقراءة اقتصادية، بدليل أن التظاهرات الغاضبة ليست عامة في مجموع بلدان العالم، على الرغم من أنها تعيش جميعها - ومن دون استثناء - الوضع ذاته: حيث عم الخراب عمرانها الاقتصادي، و أودى بتوازنها المالي. وعلى هذا الاعتراض نكتفي بالرد التالي:

إن هذه الأسباب المنظورة للوضع السياسي قائمة في معظم البلدان: الغضب من السياسات، موجود في معظم بلدان العالم، وإن كانت درجاته متفاوتة، ولكن هذا التفاوت يخضع لمقدار تجسيد السياسي لبلد ما لشعار: (أنا خير منه)، في الواقع الاجتماعي هناك، والذي به تبرز أيدولوجيا التفوق الذي لا نشهده إلا في أوربا ضد باقي الأعراق، خصوصا في فرنسا، وسنوضح ذلك في لاحق البحث إن شاء الله تعالى.

ونعنى بهذا - على وجه التحديد - الأيدولوجيا السياسية التي تسوّغ لجماعة من الناس أهدافاً لحراكهم الاجتماعي - دون الأخذ بنظر الاعتبار إلى أنهم يعاكسون النسق الكوني - وتنتج لهم أطراً لتعبئة الطاقة الاجتماعية، والتعبير عنها، وهو ما ينطبق أمره على أي مشروع سياسي آخر يحتاج كي ينتقل من القوة إلى الفعل بلغة أرسطو.. أو من الفكرة إلى الواقع، بلغة ماركس^١.

التوظيف الأستغلالي للنظريات السياسية الغربية:

إن في جوف كل مجتمع قد تكمن فوقية أو شكل منها، يتناسب طردافى مقداره وحجمه مع انحراف أفراده عن الفطرة وفقدانهم للحرية والسيادة.. وهناك من الواقع الاجتماعي والفعلى ما يهيب لظهوره. فلكل فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويعاكسه فى الاتجاه.. وما الحركات التكفيرية عندنا إلا رد فعل لايدولوجية (أنا خير منه)؛ التى تعامل بها الغربيون والاستعمارىون مع الشعوب؛ فالتكفيرىون يرون أنهم خير من الناس وان كل الناس كفار وهم وحدهم أصحاب الجنة والرضا.

١. فقد امتدت موجة العنف المرعبة من مدن فرنسا فى اليوم الثامن من نوفمبر ٢٠٠٥م. لتعم مدن بلجيكا وألمانيا وتندّر بالخطر جميع الدول الأوربية. وفى بداية آذار من عام ٢٠٠٧م فى اندنيمارك. وقد أكد تقرير للأمم المتحدة صدر يوم الخميس الموافق للخامس عشر من مارس ٢٠٠٧ وتناقشته وكالات الأنباء والصحف العالمية؛ مفاده: أن هناك تمييزاً عنصرياً بين أعمال الفرنسيين والفرنسيين من اصل أفريقسى. ولا زال الحبل على الجرار. إلى أن يأتى المخلص المنقذ الإمام المهدي عليه السلام السدى يسوس العالم بسياسة عقيدة الإسلام الكاملة.

فالتفوق الاقتصادي المبنى على العرقية يقود إلى تصدعات اجتماعية خطيرة، تعتمد أساسا في اتخاذ الإنسان مستغلا أو مستغلا: مما يوفر مستلزمات بروز ظاهرة العنف والعنف المضاد في المجتمع، فليس مستغربا أن تتحول حالات الاستغلال أو التهميش الاقتصادي إلى قنبلة قابلة للانفجار، فماذا تنتظر من ذلك الإنسان الذي يهمل إلى ما دون الحد الأدنى لمقومات الحياة، في وسط مرفه، بالإضافة لافتقاده إلى نظام الرعاية والحماية الاجتماعية، ومتطلبات الحياة المتزايدة تزيد من ضنكه وحرمانه.

فالفئات المهمشة سياسيا، والتي تعيش الضنك على كل أصعدة الحياة، وعلى جميع مراحل الحياة: هي فئات قابلة للانفجار، فهي بؤر يحتمل أن تنطلق منها الفوضى والاضطراب في أي وقت لأنها ببساطة لا تحيي حياة طبيعية، والمجتمع الذي تعيش فيه، سلوكه مضطرب، لأنها تفقد الحرية، ولا خيار لها في هذا الوضع، أو في الخروج منه، فتغشاها الأزمات الفجائية في كل مجال، فتتفجر أحداثها العامة بشكل هبات وانحرافات جماعية، لأنها في الغالب ردت فعل انفعالية فالواقع السياسي الأوربي خصوصا والغرب عموما لا يتيح لها وسيلة للتعبير عن معاناتها إلا باستعارة أساليب القمع والإرهاب الممارسة ضدها، لذا فهي فئات مرشحة دوما للعنف بكافة أشكاله وأدواته.

والفرد فيها يتقبل كل الأفكار والأيدولوجيات التي تخاطب جمهور المحرومين والمقموعين.

فالإفقار المتعمد لا يقود إلى الاستقرار.. والبطالة أو العطالة، بسبب التمييز العرقي، لا تؤدي إلى الأمن، بل أنهما الأرضية الاقتصادية - الاجتماعية لبروز حالات التمرد والعنف.

أما عدم الاستقرار في المجتمعات الإسلامية؛ التي تستعير دولها نظريات سياسية غريبة في الحكم، فهي ظاهرة مركبة، نشأت عن اجتماع جملة من العناصر والأسباب وتضافرها على النحو الذي لا يمكن معها إرجاع هذه الظاهرة إلى سبب أو عنصر واحد دون سواه.

ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا ضمن شبكة العوامل والأسباب التي أفضت إلى بروزها وأدت إلى ظهورها.. وكلها تقوم على افتقاد الإنسان لحرية ومقومات سيادته من قبل أخيه الإنسان، بالاعتقاد الخاطيء؛ سواء بعامل الدين وقراءته الخاطئة، أو بالعمل السياسي المستعار غير المستند إلى العقيدة الصحيحة، وفقدان السيادة بالقمع والإقصاء، أو بالعامل الاجتماعي - الاقتصادي، الذي نغنى به فقدان الإنسان مقومات عيشه وكرامته.

وقد تجسد أسلوب الأوربي لتصدير فوقيتهم المؤدلجة تاريخيا، بشكل واضح لا لبس فيه؛ فيما عرف بغزو أمريكا، عندما أسس المهاجرون الهاربون من نير الكنيسة البروتستانتية مدينتهم الفاضلة على جثث الهنود الحمر والازتيك، وبسواعد المستعبدين من الأفارقة السود..

إن ممارسات السيد الأبيض في الإبادة الجماعية للهنود الحمر والازتيك، والاستغلال البشع للأفارقة السود في مناجم الفحم والذهب، والنظر إلى الإسلام كعقيدة دموية وللمسلمين كبدو متوحشين... والمعاملة المباشرة التي تجسد تلك النظرة؛ ولد حقا دفيئا تغلغل في نفوس هذه الشعوب.

وبهذا الصدد يقول الغدامي في كتابه (رحلة إلى جمهورية النظرية: مقاربات لقراءة وجه أمريكا)؛ عن حال السيد الأبيض مع الأرقاء السود هناك:

إن كل مواطن حرّ كان يستمتع بعمل أربعة أرقاء في المتوسط، ولم يكن هؤلاء الأرقاء يستخدمون في الخدمة المنزلية وحدها، بل كان منهم الزراع والرعاة، ولكن استخدامهم الأكثر شيوعاً، كان في مجال الحرف والصناعات اليدوية واستخراج المعادن.^١

أما (فرنسيس فوكوياما) - الأمريكي من أصل ياباني لذي ينظر ويمهد لسيادة الرجل الأبيض - فقد جعل من إبادة الهنود الحمر والازاتيك الجماعية واستغلالهم، هدية كبرى قدمها السيد الأبيض لهم، فنراه يقول:

إن أمريكا هي آخر بلد يمكن إن يكون فيه للاعتبارات العائلية والعرفية أية أهمية، وهي لم تقم - كما يدعي البعض - على أشلاء أهلها الأصليين من الهنود الحمر والازاتيك الذين كانوا يذبحون أطفالهم قرابين للآلهة.^٢

الإنسان الأبيض الذي فضلته الطبيعة واختارته ليكون حامل مشعل الحضارة والتقدم: هو المنطق الذي يبرئ الغربيين والمستغلين الاستعماريين من تهمة الإرهاب ولو أبادوا البشرية كلها.^٣

ويقول المستشرق (كارا دو فو) - الذي يبرر للفرنسيين قتل الجزائريين أبان الثورة الجزائرية:

١. الغدامي: عبد الله محمد "رحلة إلى جمهورية النظرية: مقاربات لقراءة وجه أمريكا النقاسي" مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط ١ (١٩٩٨م)، ص ٧٤.
٢. فوكوياما: فرنسيس: "نهاية التاريخ و الإنسان الأخير" ترجمة: فؤاد شاهين، وآخرين، مركز الإنماء القومي، بيروت (١٩٩٣م)، ص ٨.
٣. محفوظ: محمد "نقد المشروع الحضاري الغربي وتحديات العولمة" مجلة الكلمة، عدد: ١٩٤، السنة ٥، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، بيروت (١٩٩٨م)، ص ٥٦ (بتصرف).

إن البدوي في أفريقيا هو الهندي الأحمر، و يجب تهيئة المصير نفسه
الذي آل إليه الهندي الأحمر على أيد الرواد البيض لأمريكا، و يجب
إن يختفي البدوي من على وجه الأرض.^١

وعن (برنا رد لويس)، (ودانيال بايس)، ينقل، حسن الأمراني أيضا قولهم:
إن الشعب العربي لا يبدو إن يكون إذن كالهنود الحمر، وان حضارة
الغرب وحدها جذيرة بان تسود.^٢

هذه النصوص تؤكد ما ذهبنا إليه من إن هناك تيارا قويا فى السياسات
الغربية، هو الأصل الباطن لما نرى من معايير مزدوجة وسلوك عدوانى من
قبل الرجل الأبيض، هو الذى أسهم إن لم يكن هو الذى هيا الأرضية لردود
الفعل القوية الانفعالية التى يشهدها العالم اليوم، والذى يميزها إرهاب دموى
فظيع. منذ مائتى سنة تقريبا والأمريكان يبيدون الشعوب الأصلية (حوالى
الملايين من الأشخاص)، ويحتلون نصف المكسيك - منطقة جزر الكاريبي
ومنطقة أمريكا الوسطى - ويحتلون هايتى والفلبين مسببين مقتل مائة ألف
فلبينى!^٣

وتحاول أن تهيمن على العلاقات الدولية من خلال التهويل بوجود عدو
شرير يهدد الأمن ولا استقرار الدولى.

١. الأمراني؛ حسن "المتنبى فى دراسات المستشرقين"، ص ٣٤١، وجاء نص مقارب فى مجلة
الكلمة؛ العدد: ٤، السنة ١١، ص ٨٢
٢. نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
٣. حب الله؛ غادة، وعاضة؛ رباب، "الإرهاب سلاح ذو حدين" مقالات تهم الإنسان والمجتمع،
معهد السيدة الزهراء العالى للشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٥هـ ص ٢٦٠.

(استراتيجيا: تتغير هوية هذا العدو حسب المصالح الأمريكية، كما هي الحال مع صدام حسين، حيث انقلب بين عشية وضحاها من صديق يحارب نيابة عنها، إلى عدو خطير، سرعان ما تخلصت منه).

فتلوح على الرأي العام العالمي بشبح الإرهاب لتنفيذ مخططاتها. علما إنها تدعم علنا دول دكتاتورية أو حتى أنظمة إرهابية فتقدم لها الأسلحة لقمع شعوبهم.^١

وعندما أعلنت الأوساط الغربية الحكومية عن حربها ضد الإرهاب على أساس انه غدة سرطانية يجب استئصالها من جذورها، كانت الحكومة الأمريكية بإدارة الرئيس الأمريكى آنذاك ومستشاره (الاكسندر هيغ): قد أنشأت منذ عشرين سنة شبكة إرهابية دولية ذات نطاق واسع، لا مثيل له يهدف لمحاربة أعداء الولايات المتحدة المتخلفين حضاريا!^٢

وقد نفذت هذه الشبكة عددا لا يحصى من الجرائم فى مختلف أنحاء العالم منها ما جرى فى أمريكا الوسطى وبالخصوص ما جرى فى نيكاراغوا. وقضية نيكاراغوا سابقة دولية فى إرهاب الدولة لا جدال فيها فى القانون الدولى: لأنه لأول مرة يصدر عن المحكمة الدولية حكما لا رجوع عنه تدان فيه دولة بعملية إرهابية والقضية أفضع بكثير من اعتداءات ١١ أيلول: ذلك إن الحرب التى خاضها الرئيس (رونالد ريغان) ضد نيكاراغوا أسفرت عن

١. من أين حصل صدام حسين المجرم على الأسلحة الكيماوية التى أباد بها شعبه فى مدينة حلبجة.

2.E -Bradford: (At war in Nicaragua: The Rangan doctrine and politics of nostalgia of nostalgia), New Yourk.1987.

وقوع عما يقل عن (٥٧٠٠٠) ضحية منهم (٢١٠٠٠) قتيلا وسببت دمارا وخرابا يعادل قنبلة هيروشيما.^١

فالأوروبيون: نسبوا أنفسهم إلى السيادة، لأنهم بيض البشرة، أو لأنهم ولدوا في أوربا! .. وهذا الخط - خصوصا - له أصوله الأيدولوجية الضاربة في التاريخ،^٢ ابتداءً من (البيفور) مرورا بـ (نيتشة) والى (هيجل) الذي ادعى إن صيرورة الفلسفة: غربية، هو ذاته غايتها، وصيرورة الدين في المسيحية، حيث الأوربيين يمثلوه.

وصار لهذا الخط اليوم مدرسة، وقادة، وثقافة انثروبولوجية، تكتسح العالم بما أوتيت من إمكانيات إعلامية هائلة.

وحين نقول ذلك لا نتجنى على الغربيين فها هم اليوم قد وظفوا نظرياتهم في السياسة والاقتصاد بل وفي العلوم الحديثة لخدمة أغراضهم الاستعمارية . ففي عام ١٩٧٠م بلغ عدد الهيئات المتخصصة الأساسية بالدراسات السياسية او التي هي في خدمة السياسة الغربية ما يقارب الـ (٣٨٦) هيئة متخصصة في التنظير السياسي بما يوافق لاستراتيجية المستقبلية الأمريكية خصوصا وبما يخدم الإيديولوجية الغربية عموما.^٣

١..Toefolo: Cabestrero. (Blood Of Innocent: Victims of the contras War in Nicaragua). Orbis Bood- 1985 .

٢. يقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي): "إن دراسة الجنس أو العرق كعامل منتج للحضارة: تفترض وجود علاقة بين الصفات النفسية، وبين طائفة من المظاهر الطبيعية. ويعتبر اللون هو الصفة البدنية التي يعول عليها الأوروبيون - أكثر من غيره - في الدفاع عن نظريات العرق الأبيض المتفوق. وإن أكثر النظريات العنصرية شيوعا هي التي تضع في المقام الأول السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء، ويدعوها البعض بـ (الإنسان النوردي) أي الإنسان الشمالي. ويدعوها الفيلسوف الألماني (نيتشة) بالوحش الأشقر.

٣. مجلة الكلمة: العدد: ٣، السنة الأولى: ص: ٨٢.

فتحت عنوان (فوكوياما، هنتنغتون؛ والإسلام)، كتب وجيه كوثرانى مقالة متميزة فى مجلة الاجتهاد فى عددها (٢٩٥)، لشتاء عام - ٢٠٠١م؛ بيّن أن هناك تيار فلسفى ضارب فى التاريخ بدأه ابيفور ثم فصله هيجل، وعزره نيتشه وحاول أن يكتب نهايته فكوياما فى كتابه (نهاية التاريخ) بتفوق العقلية الغربية، متخذاً من انهيار الاتحاد السوفيتى دليلاً لثبات الدولة الليبرالية الديمقراطية، ومجتمعها المدنى، أما هنتنغتون فيعتبر فى كتابه (صدام الحضارات)، إن الصراع اليوم ليس صراعاً أيديولوجياً، بل صراع حضارات. هذان النموذجان من الخطاب الأمريكى؛ هما فى الواقع تحقيق لما تطالب به الإستراتيجية الأمريكية ولكى يتحقق لنا؛ أننا لا نتجنى على الأمريكان والغربيين؛ ((انظر مقالة جري جورى فوستر فى عام (١٩٩٠م) فى مجلة "WashingtonQuarterly.vol.13" والتي كتبها تحت عنوان:

"A Conceptual Foundation For A theory of Strategy"، فى ثوابت الأسس المتصورة للإستراتيجية الأمريكية فى التنظير السياسى. إن النقل الفلسفى المدعم لنظرية فوكوياما، والبعد الابسمولوجى البنىوى فى اعتبار (هنتنغتون)؛ إن للإسلام حدوداً دموية؛ يشكّلان فرضية؛ تعبّر عن أمور هى:

١. توكيد الأيدولوجية الغربية التى تعتمد شعار (أنا خير منه) والتى هى فى الواقع عقيدة إبليس من قبل أورثها أولياءه فى النظريات السياسية الغربية.
٢. أو هى سوء استخدام المفاهيم الفلسفية وتوظيفها فى عالم السياسة.

٣. وهى فى ذات الوقت تهدف إلى تشويه الإسلام والحضارة الإسلامية، وتحميل المسلمين، نتائج صراعات هم يصنعونها نصوصا وسيناريوهات، بالإضافة إلى مكر السيئ.

٤. وتفيدنا هذه التوظيفات بان الضجة الإعلامية حول سياسة توظيف الإرهاب خصوصا فى الشرق الأوسط غير صادقة لان وراءها أهداف أخرى. ٥. أثبتت الدراسات العلمية الحديثة فى الهندسة الوراثية للحامض النووى الريبوزى أَل (DNA) للإنسان (الجينوم) أن البشر جنس واحد، وتكوين واحد لا يمايزون بقدراتهم فى خيار الفعل الأفضل، بسبب بشرتهم أو انتمائهم القومى، أو بسبب مكونات دمهم فهو واحد بعناصره المتميزة توجد بذاتها فى جميع الأعراق.

٦. النظرية العلمية؛ التى يتحقق بها الواقع البشرى وجودا وحياة وعقلا هى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط، لا يمايزون باللون أو العرق و النسب، أو أى شىء سوى التقوى؛ التى هى ميزة باطنة يرقى صاحبها من أن يعلن تمايزه بها على غيره، وبذلك تحقق تمام مفهوم الإنسان السيد المتميز على بقية المخلوقات بكماله وحسنه الجذاب المسر.

٧. يتفق الناس فى كل عقائدهم تقريبا وفى كل أزمانهم وأماكنهم؛ على الإنسان الكامل المنتظر هو الذى يخلص البشرية من نتائج انحرافها عن

رسالتها في الوجود، وان على الناس ان يتبنوا سياسة في زمان انتظاره وهى التيهؤ له بالتمهيد لدولته بالتزام العدل والعلم.. وهذا مما لا يفهمه منظرؤوا السياسات الغربية، بل لا يريدون أن يفهموه، وربما يريدون طمسه؛ لان معظم الغربيين هم نصارى، ممن يعتقدون بالمخلص القادم لا محالة.

٨. إن قسم من المفكرين؛ من المنصفين الغربيين لا يرون ما ينظر له ماجوروا ومخططو السياسة الغربية، فمثلا جاء فى نظرية المؤرخ البريطانى توينبى:(التحدى والاستجابة)قوله ما يلى:

إن العامل الدينى هو السبب فى نشوء الحضارات، حيث قسمها تقسيما دينيا.^١

النظريات السياسية الغربية الحديثة:

لن نذهب بعيدا فى تجميع المذاهب السياسية الغربية، التى تنطلق من الإيدولوجية الغربية؛ فهى منحصرة اليوم فيما تدعوا إليه دوائر رسم السياسات المستقبلية للعالم الغربى المتفوق والتى اشرنا إليها تحديدا فى مقدمة البحث، ولناخذ على سبيل المثال ما قدمه فرنسيس فوكوياما فى كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير، وكذا ما قدمه صومويل هنتنغتون فى كتابه صدام الحضارات.

و اليوم وانسجاما مع الخط (الايقورى النيتشوى الهيجلى) فى تفضيل الإنسان الأوربى الغربى الأبيض: استخدم فوكوياما ما قدمه أفلاطون لتصوير

١. بدوى؛ عبد الرحمن (الموسوعة الفلسفية)، وتوينبى (فلسفة التاريخ) ترجمة فؤاد محمد شبل. ص ٢٩٥-٢٩٩.

صراع الميول والقيم في ذات الفرد الإنساني، وكان يسميه (التيموس): أي الجزء الراغب في النفس والطامح إلى تأكيد الذات وانتزاع اعتراف الآخرين بها. ثم دمج بين هذه النتائج وبين محصلات الفكر الأوربي عند (نيتشه)، (وروسو)، وبين فهم (كوجيف) لـ (هيجل): فخرج بالنتيجة التالية:

الراسمالية الراهنة بما هي نهاية مسار الكينونة الفردية والاجتماعية، هي نظام سياسي، اقتصادي يمثل التجسيد الأعلى للارغبة التيموسية، لذلك سينتهي التاريخ معها وسينقسم العالم إلى عالمين احدهما سيظل أسيراً للتاريخ، ويصعب تحرره منه، والآخر سينجز رحلة التاريخ كلها ويفك أسرته من حتميته الصارمة، فينعم بطبيعة هادئة لأنه يكاد يحقق جوهر الاكتفاء الذاتي ويسوي أساس الرغبات وعلى الجميع الاعتراف به وبثفوقه وكماله.^١

إذن بعد أن أقامت نهاية التاريخ الأساس الفلسفي لصدام الحضارات، وبعد أن بينت جذوره في عمق الوعي الفلسفي الغربي أعطتنا النتيجة الحتمية له: وهي فوز الإنسان الأخير الذي لا يلبث أن يرقى قمة الكون ويعتلى سنام التاريخ إلى نهايته!

اكتسبت هذه الرؤية أهميتها الفائقة عند الغربيين، من منطلق كونها الفلسفة الفكرية التي أعقبت الصراع الأيدلوجي بين الليبرالية والماركسية. ومن هذا يبدو للمتبع الوظيفة السياسية لهذه النظرية، وأهميتها لأساتذة الانتروبولوجية الثقافية التي وظفت هي الأخرى للترويج لتفوق الرس الأبيض في خدمة الليبرالية.

١. حمادي: عمار (الأسس الثقافية للغرب: جولة في مراحل تكون الثقافة الغربية) ط ١، دار الهادي، بيروت - ١٤٢٥هـ ص ١١٢ - ١١٣.

واليوم من منطلق كون القطب الواحد هو الذى يحكم العالم، فقد تبناها بشكل رسمى.

فما شهدته العالم فى العقد الأخير من القرن العشرين شاهد على أن: نظرتى نهاية التاريخ، وصدام الحضارات هما البيان الأخير الذى أصدرته الليبرالية فى ثورتها الجديدة وهى ترمع استئناف مشروعها وحيدة هذه المرة: المشروع الذى عاد فانبثق من الفكر النفعى الأمريكى والذى سوف يؤدى إلى استمرار زعامة الليبرالية المطلقة على العالم.

ان تأكيد الذات هذا، والسيطرة الاجتماعية، تتأكد تماما فى أيدولوجية واحدة لسياسة الخبث فى العالم هى؛ التى ينسلخ فيها الإنسان من فطرته، ليكون سيدا باحتكار السيادة له بحجة اللون الأبيض! أو الاختيار الربانى! أو إمارة المؤمنين غصبا عنهم!

٦. حقيقة السياسة الغربية الحديثة:

فالممتنع يجد أن هناك تناغماً، بين طروحات (صموئيل هنتنغتون) فى صدام الحضارات، وطروحات (فرنسيس فوكوياما)، فى نهاية التاريخ، وبين الفكر الاستعلاى الأبيقورى الافلاطونى النيتشوى الهيجلى؛ بتفوق العرق الأبيض، طبقاً لشعار (أنا خير منه)، من جهة وبين تطلعات النخبة من أسياذ المال فى العالم والذى يتبنون الليبرالية كأيدولوجية (دعه يمر، دعه ينهب، دعه يستغل)، من جهة أخرى.. توأصيا على دمج الشعارين: شعار انا خير منه، وشعار: دعه يمر.

وقد وضحوا تيموس أفلاطون، وتحلل ميكافيلي، وغرور هيغل... كى ينتهى التاريخ لصالح الرجل الأبيض لينطلق متحلا من كل التزام، وليبقى الآخر حبيس قيم تلزمه الصراع!

إنها رومانسية سياسية، لا علاقة لها بواقع الحال وطبيعة التكوين الإنسانى، لان فكرتهم هذه بحد ذاتها هى؛ قيد للذات وعبودية للهوى، فهم سجناء الغرور الابليسى (انا خير منه) التى تكرسها نظرية نهاية التاريخ، وتؤكد لها طروحات صدام الحضارات، فلينتظر العالم حجم وعتو الرعب فى غايته من عالم يقوده وكلاء إبليس.

ولذا فان عمل التكفيريين فى تقطيع الرؤوس وسمل الأعين ونشر أشلاء الناس أطفالا وكبارا ونساءً مسئولين وغيرهم، فى الجزائر أولا، ثم فى العراق وأفغانستان... صار مادة دسمة لوسائل الإعلام الغربية العملاقة والمسيطره، لتؤكد الثوابت الفوكويامية: طعنا بالدين وتمهيدا لإبراز التفوق للفكر الليبرالى الغربى، بداية لسيطرة أسياد المال بلا منازع على ثروات العالم عموما والعالم الإسلامى خصوصا. إن مما يبشه، ويشتهه هؤلاء المنظرون للسياسة الغربية الماكرون هو: إن الإرهاب لفظ قديم اتخذته المسلمون من قرآنهم وسيلة لقهر الشعوب، وهو: قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾؛^١

ولابد من الحديث فيما تعنيه الآية على ضوء ما يراه صموئيل هنتنغتون وفوكوياما، وعلى هذا فنؤكد ما يلي:

١. لا يوجد على وجه الأرض إنسان، له لب - غير التكفيريين أو من هم من صنائع المخابرات العالمية - يؤمن بقبح هذا المعنى السائد للإرهاب أو يروج له: بما يفعلون بقتل الأبرياء والتمثيل بجثث الموتى، وما يأتونه من منكرات ما انزل بها من سلطان، ولا تتسجم مع روح القرآن في الدعوة للإحسان، ذات الأسلوب الذي يجعل حتى الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^١

٢. كثير من عباقرة و مفكرى الغرب المنصفين: يعتبرون الإسلام أفضل دين سماوى يقدر الإنسان ويحترم البشرية: من أمثال (برناردشو)، و(روجيه غار ودى) الذى اعتنق الإسلام، ومثلهم (روبرت كوين): مستشار الأمن القومى الأمريكى زمن الرئيس الأمريكى (نيكسون)، الذى اعتنق الإسلام... وكثير جدا ممن أشاروا إشارات رائعة لأهمية الإسلام والمسلمين فى نهضة الغرب الحديثة.

٣. إن لفظ ترهبون به عدو الله وعدوكم: إنما هو من باب الأخذ بالرادع - كما قلنا - الذى يحفظ السلام. فعدو الله هو عدو السلام، والله هو السلام،

ومنه السلام، واليه يعود السلام؛ وهذا مما لا يختلف عليه الناس شعوباً ودولاً، فلا توجد دولة في العالم لا تأخذ بأسباب الردع اللازم لحفظ سيادتها. ولذا فلا يحق لأحد أن يؤاخذ المسلمين والدولة الإسلامية إن أخذت بأسباب الردع لأعدائها الذين هم أعداء الله جل وعلا.

٤. بالنظر الى الواقع: إن الذين يرهبون عباد الله هم صنّاع أسلحة الدمار الشامل، وهم رعاة العملاء من حكام الشعوب المستعمرة من دول العالم الثالث.

والإرهابيون: هم صنّاع الأسلحة المرهبة، وصنّاع وسائل التعذيب التي يمنحونها للحكام الذين سلطوهم على الشعوب، وهم الذين يمكرون بالناس وينأمرون لتزييف الحقائق..

والإرهابيون: هم الذين يكيلون بمكيبالين بين الناس فيزرعون الأحقاد ليحصدوا الإرهاب ممن يثنون تحت وطأة هذا الغبن الذي يمارس بإمعان وسبق إصرار من قبل رعاة الإنسانية التي يعذبها العنف؛ وعلى هذا الديدن تستمر عجلة الشيطان بالدوران، و أبناء البشرية دوما هم الضحية.

٧. تناقضات السياسة الغربية

يتصاعد السجال سخبا من خلال الجدل الدائر اليوم في الدوائر السياسية الغربية عن موضوع العنف، ومعاني اللاعنّف، ويأخذ سادة المال، و صنّاع الرأي العام، بنواصي كل المحركات التي توجهه المقود في عجل الإعلام الضخم والسريع. دن اجل إن يلبسوا المصطلحات الإعلامية المعاني التي تخدم مصالحهم وتديم سيادتهم واستحكام سيطرتهم على العالم، فان من وراء

ذلك العجل الذى يدور دوماً ولا يتوقف، أيد صنّاع السياسة الغربية المسيطرة على الارض، بخطوطها الحمراء والخضراء، والذين هم بدورهم موظفين لأسياد المال، والذين هم بدورهم عبيد للشيطان.. حيث لا رحمة لهم ولا عدل أو ضمير يردعهم. وليكون بعدها الرأى العام (المفبرك)، هو الذى يشكل الضغط الذى تتوجه به الأمور كلها لضمان مصالح ذلك الشيطان.

وخير مثال لنا اليوم فى هذا؛ هو ما يسمونه الملف الأمنى الايرانى، كمشال لقبح السياسة الغربية، والكيل بمكايل متعددة؛ فإسرائيل التى تملك السلاح النووى فعلا هى بمنأى من أى رقابة او مجرد تلميح، والذى يسعى سلمياً من الدول الإسلامية لامتلاك تقنية نووية يجب ان تفرض عليه العقوبات، ويجب أن يعزل عن العالم، وربما تتعرض لضربة عسكرية ماحقة!

هذا ما يجرى فى واقعنا اليوم، واقع السيطرة للسياسة الغربية على العالم اليوم، بإيدولوجيتها الشيطانية (أنا خير منه). فلا معنى لما يفترض إن يتضمنه هذا الواقع من مطابقة مع الحق، والعدل ومعانى الرحمة، مما دفع كثير ممن تصدوا لمواقع القيادة الدينية، وآخرين ممن يقودون تيارات قومية ووطنية من المنصفين فى العالم للتصدى لهذا الواقع الدولى غير المنصف، ولو بإمكانيات أقل بكثير من إمكانيات صنّاع الرأى العام، ولكن أنى لأحد مهما كان منصفاً أن يجدى فى جهد مفرد، إزاء الإعلام الكبير الذى يقتحم عليه حتى بيته، وقد ينتزع منا أولادنا، وربما يتعدى تأثيره لأكثر من هذا، قبل أن تستفض الفطرة البشرية، كما يتوقع ذلك دهاقنة الزيف الإعلامى أنفسهم^١.

١. يتبأ شيللر؛ أ روبرت؛ فى كتابه (المتلاعبون بالعقول) بثورة عالمية ضد الإعلام؛ انظر موضوع: التضليل الإعلامى.

الإعلام الإسلامي يوظف لخدمة برامج السياسة الغربية

إن الاهتمام ينصب اليوم على ترويح كذبة تقول: إن الإسلام: فكر يغذى الصراع سيكولوجيا في نفوس معتقديه، وفكرة الإسلام أصلا تقوم على الصراع.. وقد تزعم هذه الأطروحة الكذبة - كما مر معنا - (فوكوياما) الأمريكى من اصل يابانى.

ولهذه الفكرة إمدادات في نفس البنية الاجتماعية الإسلامية تعضد فوكوياما من خلال؛ الدعوة إلى الليبرالية التي هي أساس وبديل فوكوياما الذي لا أفضل منه لحكم العالم: فاليوم هناك تيار من المثقفين المسلمين يدعون إلى الليبرالية الإسلامية، من أمثال عبد الكريم سيروش الإيراني و حسن حنفي وغيرهم.

ولكى لا تبقى هذه القرية على الإسلام مجرد زعم، أوجدوا حركات إسلامية تخدم ادعاءاتهم: فجددوا الجهال والمتطرفين، ودعموهما على كل الأصعدة وأخرجوهما إلى الواقع بأبشع الصور، وروجوا للسلفية الوهابية المتطرفة، بأنها تمثل الإسلام؛ وان قادتها هم من يمثل الإسلام وإنهم ورثى الخلافة الإسلامية. وصدق بهذا الحث، أولئك القادة المزعمون للإسلام: وأفتوا مباشرة بتكفير المسلمين.. في حين إتخذ الافاكون الأسياد البيض والصهاينة، مما يقوم به أولئك التكفيريون الأدعياء من قطع الرؤوس وقتل الأبرياء والقصف والعصف والتفجير، والأفعال القاسية المنفرة.. اتخذوا من هذه الأفعال أمثلة لإثبات دعاوى فوكوياما وأمثاله.

ويظنون أن تبديل الأسماء، ومرور الوقت، كفييل بنسيان حقيقتهم وإظهارهم بمظهر أجمل وأحسن. فعلى الجانب الاخر من ايديولوجيا

الشیطان؛ (انا خیر منه)؛ یقف شعب الله المختار من الصهاينة، الذی غزوا فلسطين واحتلوا أرضها بعصابات زرعت الموت وأفشت الرعب فی فلسطين فاحرقوا وقتلوا ودمروا، ثم علی الأشلاء والإطلال بنوا کيانهم الغاصب، وهم یطالبون الیوم بالتطبیع مع الدول العربیة وینتزعون الاعتراف بکیانهم حتی من الفلسطينيين أنفسهم بفضل دعم السیاسة الغربیة لهم.

فمن عصابة الارغون ولد حزب الحریة (حیروت).

ومن عصابة البالماخ ولد حزب المابام

ومن عصابة الهاغانا ولد حزب المابای.

ومن عصابة اشیرن ولدت حركة البحی.

لكن هذا لا یمنع الصهاينة من إنشاء عصابات إرهابیة جدیدة فلا أحد یجرؤ أن یقول للشیطان أنت شیطان لان الكبار، هم وكلاؤه علی الناس.

«ففی شهر تموز عام ١٩٧٦ أعلن الحاخام الصهيونی مائیر كاهانا:»^١ عن تأسيس المنظمة الإرهابیة المعروفة باسم (كاخ)، والتی تعمل بحریة فی فلسطين وخارجها..

والذی يدعو للاستغراب أكثر: هو إن كل كبریاء السید الأبيض یتلاشى إزاء العم سام؛ فیسکت حتی عندما یذله أبناء العم سام (الصهاينة خصوصاً) بشكل مباشر وعلناً، فیما نرى منه من كبر وتكبر وكبریاء إزاء الآخرين.. فالمتتبع لا یرى له مثلاً: أدنی شرف إزاء إذلال الصهاينة لسیادته.

فإسرائيل تتدخل فی شؤون الدول الغربیة كلها، وتجلس علیهم، وتهین رؤسائهم، وتحتقر ما یصدر (مصادفة) من إشارات منصفة للحق

١. صلاح زکی، "نظریة الأمن الإسرائيلي"، دار الثقافة الجدیدة القاهرة ط ١، ١٩٧٨م، ص ٣٤.

الفلسطيني..ولحسن الحظ فان الزائد من تكبير البيض، يستهلكه ازدياد الصهاينة لهم، فيما يكون باعثاً للمظلومين لاحتقار الجميع وهو سبب لبروز الإرهاب في الجانب الآخر من الأرض.

فمثلاً: عملية (فندق الملك داود) ضد البريطانيين، واغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأدنى، عندما أرسلت عصابة اشتيرن اثنين من أعضائها إلى القاهرة، لتنفيذ عملية الاغتيال في ٦ تشرين الثاني ١٩٤٥م.

وهكذا كان حال الكونت (فولك برنادوت) الوسيط الدولي للأمم المتحدة في فلسطين.

ثم إن كل الزعماء الإسرائيليين ينتهكون ثوابت السياسة الغربية ويحثون على انتهاكها، بل ويفعلونه وبدون أدنى حرج.^١ وقد احتقر الإسرائيليون عشرات القرارات الدولية ولا يجرؤ أحد حتى إن يشير إلى ذلك!!

٩. عدم وجود معيار دولي في السياسة الغربية للحق والعدل!!:

ان كل مفاهيم الليبرالية التي يتشدد بها فوكوياما ليس إلا هراء واليك الأمثلة التالية:

مثال: المعايير المزدوجة، والتي يجدها غير الغربي على كل صعيد يدعى الغربيون أنهم بلغوا فيه إنسانيتهم: ولناخذ على سبيل المثال لا الحصر:

١. المسيري: عبد الوهاب. "نهاية التاريخ. مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني". مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام. القاهرة. ص ١١٣.

أولا - الحرية الشخصية

وهو ما يتشدد به الغربيون، ويعتبرونها عنوان حضارتهم، يجد المسلم أو المسلمة، أنها محض هراء، فالمسلمة لاحق لها إن ترتدى لباس اقهره دينها لها، وإنها إن لبست ما يناسب عقيدتها تعاقب بالطرد من الوظيفة أو الجامعة أو من المدرسة، وعلى المنصف إن يرى مقدار ما تنطوى عليه نفس المسلمة المتعقفة أو أبوها أو زوجها أو أخوها أو المسلم المراقب: من اضطهاد وهم يرون إن الحرية مباحة للأخريات بالتهتك أو وهن يمارسن الرذيلة علنا في الحدائق العامة الغربية!!.

إن الحرية الشخصية في الغرب لها اتجاه واحد فقط، هو الذي يتوافق مع المركزية في السياسة الغربية ولا يتعارض مع التوجهات الصهيونية: وهو بهذا يخدم طرفاً آخر في أيدولوجية (أنا خير منه)، وهو ما يستفيد منه المجرمون في غسل العقول البسيطة وتوجيهها إلى الاستشهاد لرفع الاضطهاد عن المسلمين، والانتقام من واضعي المعايير المزدوجة للوثك الأشرار - كما يظن - والذي يستفيد منه الحاقدون فيما بعد للطعن بالدين واعتباره ممارسة إرهابية يدعو لها الدين الإسلامي.

ثانياً - الحرية الفكرية

وهي من عناوين حضارة الغرب: وهي كذلك يجدها المسلم محض هراء، وهو يرى إن الأوربي الأصيل (روجيه غارودي) يقدم للمحاكمة ويهان، لأنه آلف كتاباً عن الأساطير الصهيونية، بل إن الناشر للكتاب، يغرّم ويصادر

الكتاب من الأسواق.. في حين إن الذي يشتم نبي المسلمين في كتابه (آيات شيطانية): الهندي سليمان رشدي: تصرف الملايين على حمايته في أوروبا ويطبع كتابه بكل لغات العالم!

وهذا مما يترك أثرا بالغا جدا في لب كل مسلم لأنه إجراء لا يشك في عدوانيته وخبثه، إلا من لا لب له ولا ضمير، حتى وان لم يكن مسلما، فكيف سيكون من يريد إن يوظف كل شيء لمآربه؟!!

ثالثا - الديمقراطية

فازت بالانتخابات التركية الديمقراطية النابتة (مروة قساوقجي) التركية في البرلمان التركي، إلا أنها كانت محتشمة اللباس و تضع قطعة قماش فوق رأسها لتغطية شعرها، كما تعتقد بالإسلام.. والآن فإنكم جميعا تعلمون مصيرها!! فقد أوصلتها الديمقراطية الغربية إلى الطرد من البلاد، وإسقاط الجنسية التركية عنها، عام ١٩٩٩م، بعد فوزها عن حزب الفضيلة بحجة أنها محجبة،^١ إنها منتهى القسوة التي لا نجد مثيلا لها إلا عند التكفيريين.

من هذا المثال أرجو إن يلتفت المنصف إلى مقدار الاضطهاد الذي تنطوي عليه نفوس المسلمين الذين يعلمون أو ربما أعلمهم آخرون: إن النساء في استنبول يعرضن عاريات من خلف الزجاج في (الفتريينات): من اجل الرذيلة، وعليهن أرقام يستدل بها الزبائن، ربما في هذا عار يجعل التكفيريين يفخرون بقتل الأطفال في العراق، والجزائر... دون التعرض لهذه الأسواق!!

١. المنار، العدد: ٧٦، شوال ١٤٢٤ هـ بقلم إيمان الوزير.

رابعاً - القرارات الدولية

عشرات القرارات التي صدرت من الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن لا ينفذ منها إلا ما صدر ضد دول بذاتها، بينما ما يصدر ضد إسرائيل فانه يبقى حبراً على ورق ولا يجرؤ أحد إن يقول لماذا؟

ثم كل ما تقوم به إسرائيل من ذبح للفلسطينيين وتدمير وتشريد وهدم بيوت ومزارع وردم الآبار: مباح إلا إن يقوم فلسطيني بما يدل على انه معارضة على ذلك الفعل فانه إرهاب.

إن أي منصف يرى في ذلك اضطهاداً أيما اضطهاد: فهناك شعب يشرد بالكامل، ودولة تخرج على كل القوانين الدولية تحت رعاية سياسة غريبة كاملة وعمياء. انه عار يكلل الحضارة الغربية! ومسوغ لعدم استقرار العالم القائم على الظلم.

لكن الغريب إن هذا الظلم والذي يقع على الفلسطينيين مما لا يشغل اهتمام تنظيم التكفيريين، ولا تستغله في تجنيد الانتحاريين ضد إسرائيل!! وهناك في هذا الموضوع غريب آخر: وهو: استخدام أمريكا لليورانيوم المنضب، مع إنها يمكن إن تحسم الحرب بغير استخدام هذا السلاح؟!

لذلك نلاحظ: لا داعي لاستخدام هذا السلاح خصوصاً وانه كلف الغرب (٨٠٠٠٠) مصاب وكلف أمريكا (١٢٠٠٠) مصاب، فلصالح من إذن استخدام هذا السلاح الخبيث؟

إذن فعدم وجود محاولة جديده لإنصاف المظلومين: لاينم عن حكمة، ولا ينم عن سياسة حكيمة تسوس العالم اليوم، ولا يمكن للعالم بوضعه الحالي

إن يخرج من هذا اللمة المقيتة.. ولذا سيبقى العالم غابة، ويحكمه نظام الغابة.. حتى السيد المنتظر المخلص القادم لا محالة (روحي فداه). فالسيد الأبيض ليس سيدا كما يظن!، والأبيض في واقعه ليس أبيضاً، بل هو كراس بصل ينخره العفن الأسود من باطنه، فلم يبق منه إلا القشر الأبيض!

ومع هذا فعلياً أن نعلم أن كل شيء مبني على الكذب والباطل لا شك زائل... وهكذا فإن الرأي العام المبني على مخالفة الحقيقة، إنما مثله مثل بالون مطاط كبير لونوه بألوان العصر الزاهية ليكون جذاباً، ولكنه أمام الحقيقة وبمجرد بروزها: يختفي هذا البالون الكبير، حتى لو كانت الحقيقة صغيرة جداً، لأنها في هذه الحالة تمثل رأس الدبوس، والذي عند تماسه مع البالون يفجره.

والواقع أن جميع الذين انبروا لبيان حقيقة براءة الإسلام من الإرهاب والعنف، لم يحسنوا تقديم الحقيقة العلمية المفجرة لبالون الكذب الذي يرتفع عالياً في السماء الدنيا. ذلك لأن تقديم الحقيقة، أية حقيقة إزاء عالم يظلمه ويضله عجل إعلامي ضخم واقتحامي، إنما يحتاج إلى علم وفن وأسلوب في التعبير عنها وفي تقديمها، وهذا العلم والفن والأسلوب يعلمه لنا كتاب الله العزيز: أن الأسلوب الأحسن، هو خيار المحسنين، وهو نصيب من أتاه الله حظاً عظيماً، يقول عز القائل:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^١

إن صنّاع الرأي العام العالمي ومن يقف وراءهم ويدعمهم، إنما هم أهل الإرهاب، وهم مبدعو وسائله ومصدرو أدواته وأسلحته، ومسببو نزعاته، ويعتاشون عليه، وهم الغزاة، وهم المستعمرون، وهم المحتلون، وهم تجار الحروب، وهم صنّاع أسلحة الدمار الشامل، وفي ورشهم الخلفية يندسون كل معنى حسن... وكثير من أفعالهم في جوهرها إرهاب، لكنهم كمثّل اللصوص، يستعملون الأسلوب اللطيف والكيد، في تمرير الفعل الفضيع، كمن يدس السم في العسل، ولذا فقد نجدهم يفتشون عن اللفظ اللطيف لمعاني إرهابهم. والتضليل الإعلامي هو أحد أساليبهم.

والإنسانية في حالة شبه مخدرة إعلاميا.. ولا بد ان يتولانا الله الرحمن الرحيم، برحمة تتمثل في هزة وجدانية قوية تجعل البشرية تفوق مما يراد بها: فان القادة اليوم: أما مهووسون بحب المال وتكريس كل شيء في جمعه، أو بالسلطة والجاه، أو ممن تمتلئ صدورهم بالحقد على الإنسانية من قتلة الأنبياء وأشباههم، أو حكام طغاة عملاء للأسياد البيض لا يستطيعون أن يقولوا بغير مقالة أسيادهم.

فنحن نرى ان العداة للإسلام يخرج علينا دوما بشكل سيناريوهات إعلامية ودعائية، وكلما خبت نار العداة بفعل الزمن: خرج علينا واحدا من تلك (السينورياهات)، عميقة التأثير في المجتمع الغربي: باعتباره مجتمع الحرية الفكرية!

وآخر تلك (السينورياهات)، ما خرجت به الصحف الدنيماركية ثم الترويجية ثم الأوربية، من صور كاريكاتيرية تهين المسلمين في نبيهم

المصطفى محمد ﷺ، بدعوى حرية الصحافة التي لا تجرؤ ان تتحدث بكلمة واحدة عن خفايا محرقة اليهود، ولا تجرؤ ان تتكلم عن حق الفلسطينيين في الحياة الكريمة والعودة والوجود، فهم كاذبون، وهم بيادق تحركهم النخبة التي تسوقهم إلى حيث مصالحها.

إن الذي يتحصل من مجمل: أفعال ونشاطات وتوجهات العداء للإسلام وبشكل منتظم ومخطط ومنظر له، في أوروبا وأمريكا والغرب عموما منذ انتهاء الحرب الباردة... إن هذا الذي يجري هو بمثابة الزيت الذي يغذى نار الصراع، وان وراءه يد خبيثة تذكبه كلما خمد!

والغريب أن الغرب هو الذي يدفع الفاتورة دوما ولا من منتبه ولا من واع.

١٠. تناغم إيديولوجي بين السياسيين ومنظري السياسة الغربية:

هكذا ترى منظري الصراع الحضاري والمعاصرين يطرحون أفكارا مشابهة لتبريرات استعماري القرن التاسع عشر، ففرنسيس فوكوياما ضمن كتابه نهاية التاريخ، لا يرى فرقا جوهريا بين الظاهرة الفاشية في أوروبا وظاهر الصحوة الإسلامية؛ فكلاهما عنده رد فعل ممن هضمت حقوقه وديست كرامته، وان كان يعترف ان المقارنة سطحية، والأخطر من ذلك جزمه بان العالم الإسلامي خاضع لبيئة فكرية صراعية وان المسلمين غير قادرين على الخروج من مرحلة التاريخ، أي إلى حيث تسود الليبرالية الديمقراطية المنتصرة طبقا للحركة التاريخ وفقا لنظرية هيغل (ProssesuceHegelian) الصيرورة، ونيتشية الغاية؛ بالنسبة لفوكوياما، ويبقى الإسلام - من حيث هو بنية ثقافية صراعية تتغذى على الدوام من النزاعات حسب زعمهم - مشكلا المانع من ترقى الشعوب المسلمة وتأهلها لمرحلة السلم واللاصراع!

أما الرافد الثاني للهجوم الثقافي المعاصر: فهو خط فكري مواز لتاريخوية فوكوياما وهو النهج الانتروبولوجي الثقافي الذي تبناه صموئيل هنتغنتون، ضمن كتابه الشهير (صراع الحضارات)، وحيث ان صموئيل قد تغذى من أفكار (برنارد لويس): المجاهر دائما بميوله الصهيونية، وعدائه للإسلام، باعتباره (خطرا على الحضارة اليهودية المسيحية)، فانه قد وقع فى فخ منهجى، حكم على عمله بالسطحية كلما تعلق الأمر بالإسلام. فقد أوقعه مفهوم القرابة الثقافية فى تبرير سياسة الغرب بالكيل بمكييل متعددة لدى تعاملهم مع المسلمين وخصومهم (البوسنة وفلسطين مثلا...). فقد ذهب إلى تبرير هذا الجور المفضوح بعامل القرابة الثقافية.

مثل هذا التبرير يذكر بما كتبه (كارل ماركس) فى حق مقاومة الأمير عبد القدر الجزائرى للغزو الفرنسى للجزائر.

فظاهرة العنف مثلا؛ كمثل أى ظاهرة استثنائية، تبرز طافية على السطح: لا تنطلق من أساس عقائدى - أى إنها ردود فعل انفعالية - يستغلها رجال متخصصون فى حماية مصالح أسياذ المال فى العالم، ولقد استفادوا من خاصية ارتباط هذه الظاهرة بالشعوب الإسلامية المقهورة، والمستلبة حقوقها، وبمطالب إسلامية وأفراد يدعون الإسلام، فوضفوا هذه الظاهرة لصالح صراعهم مع الإسلام، وعملوا على استغلالها باتجاهين خبيثين جدا:

الأول: تبناه فوكوياما اليابانى الأصل الأمريكى الجنسية: كتيار ثقافى، بل كموضوع أساسى فى الانتروبولوجيا الثقافية: يدعى إن العقيدة الإسلامية تنبى

١. الطرايشى: جورج (الماركسية والجزائر)، دار الطليعة، بيروت - ١٩٨١م.

أساسا على فكر صراعى، لا يمكن التعايش معه: لأنه لا يمكن للمعتقد بالإسلام إن يكون مسالما وينسجم مع أجواء الأمن والدعة والاستقرار التي توفرها الحضارة الغربية!!

والثاني: تبنته دوائر المخابرات الغربية عموما والصهيونية خصوصا والـ (CIA) بالأخص: لبناء جماعات إسلامية متشددة جدا، أو دعمها بشكل أو بآخر: تكفر ما عداها وتظهر الإرهاب بأجلى صورهِ البشعة المروعة؛ وهذا ليس سرا: فكثير من المجاميع المتشددة هم صنيعة أمريكا أبان الحكم الشيوعي لأفغانستان كما يعلم الجميع.

١١. العقيدة المهدوية وحقيقة السياسة:

المهدوية - كما اصطلح عليها المحدثون - هي جزء العقيدة الإسلامية الخاص بالإمامة كسنة كونية لا تنقطع؛ متجسدة واقعا بوجود إمام العصر المعصوم (المهدي المنتظر عجل الله فرجه)، الذي هو من عترة النبي صلى الله عليه وآله وامتداده؛ اسمه كاسمه وكنيته ككنيته، يخرج في آخر الزمان ليملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

إن هذه العقيدة في جوهرها ومضمونها ومرتكزها، وفيما تقر وتؤكد، لا تخص المسلمين وحدهم، فهي عقيدة كل الأديان السماوية، بل هي عقيدة بعض العقائد الخارجة على الدين بشكل أو بآخر.

فالمسيحيون ينتظرون، وقبلهم اليهود ينتظرون المسيح المنقذ، ومنهم من ينتظر المخلص، ومنهم من ينتظر المصلح الأكبر، وآخرون ينتظرون الأخ الأكبر المقنع!.. الهابط من الفضاء أو المستنسخ في الأرحام!! حتى البوذية

تتطلع إلى ناماسانجيتي (Namasangiti)، الذي يمثل عندهم صورة السيد المنتظر أو بوذا القادم، صاحب الرحمة اللامتناهية. مع ما فى التفاصيل من توافق وتخالف.. فى من هو؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟....

فالمهدوية؛ هى العقيدة الأساس أو الملحقة المكملة لكثير من العقائد، لأكثر سكان اهل الارض، وهى وان كانت فى الظاهر مسلمات، إلا انه يمكن محاكمة تلك المسلمات علميا لئرى مقدار، جوهريتها فى معانى الاعتقاد والعقيدة، والجمال والكمال.

الإنسان السوى الفطرى: يحب السلام، ويميل إلى الدعة والاستقرار وينفر من أجواء الخوف والخصام والمغالبة.

ولذا فان الإنسان السوى متدين بالفطرة، مخلص لدينه محب لأهله وناسه، بل محب للناس أجمعين، وهذا ما يتطلبه الدين فى: (أن لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

فالدين والمبدأ الإنسانى عموما يتطلب أن يتحاب الناس ويتوحدون فى نظام اجتماعى يضمن للجميع حقوقهم ويوزع عليهم واجباتهم، فهم جميعا سواسية كاسنان المشط كما يقول سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ. ويصف القرآن الناس:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

١. أمام؛ عبد الفتاح إمام (معجم ديانات وأساطير العالم) المجلد ٣٠، ص ١١، إصدار قسم الفلسفة، جامعة الكويت، الكويت.

المعيار الوحيد الذي يتمايز به الناس عند الله تعالى هو التقى، والذي هو ليس بمقدار ظاهر يتباهى به صاحبه على الناس.

أما المفسد فى الأرض فلا دين له ولا مبدأ ينتظمه، فهو بما هو مفسد لا مبدأ بذاته يردعه عن أفعاله المشينة.

ولذا فان مفهوم الاستعلاء على أبناء الجنس كما عند سادة البياض، او عند الصهاينة، هذا المفهوم كواقع لا يسوغ للإنسان عندما يكون فى موقع اجتماعى مرموق، أو عندما يتولى موقعا سياسيا مرموقا، وهكذا نجد أن: دعاوى يرفعونها كشعارات تشير إلى مبادئ، هى فى الواقع خواء حيث يكذبها واقعهم المشين وفعالهم المخجل للإنسانية منذ بدء التاريخ: حيث قتل قابيل أخوه هايبيل بذريعة واهية.

فالناس فى الإسلام: كلهم أخوة: أبوهم ادم وأمهم حواء.. عالم لا ظلم فيه ولا عدوان، ولا جبروت ولا استغلال، ولا إكراه فى الدين.. هكذا وعلى هذا الأساس يجب أن يساس الناس.

وأدعياء الوصاية على الناس من منظرى السياسة الغربية وعمالهم فيها، إنما نهجهم عكس هذا النهج تماما، ولا يملكون من الحقيقة شىء كما يملكها الرسول ﷺ، وتخطط له عقيدة السماء الكاملة، ثم فهم ظالمون بإعمالهم القاسية المشينة بما يقترفون بحق البشرية من مذابح تظال الأبرياء: والله تعالى لا يهدى القوم الظالمين.

إن السنن الكونية، والتي تدرك بشكل بديهيات كونية، إنما سرت ونفذت وتحكمت فى الكيان الإنسانى أيضا باعتباره مادة، حية، عاقلة، فهو يحوى أصناف الوجود كلها:

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
ولذا فالإنسان بنفسه يعبر عن ماهيات أجزاء الكون كلها..وعليه؛ صارت
هذه السنن الكونية فى النفس الإنسانية سنناً تكوينية بعد رفع القصور الذاتى
بالحياة؛ وبرز بها عقل الإنسان؛ بعد رفع القصور الحيوى بالروح التى نفخها
الله فى خلقته

فالإنسان العاقل المتوجه للكمال؛ هو الذى يسعى بذاته للطاعة، ويعزز فى
نفسه معانى الرحمة، ويطلب العدل، ويريد السيادة، ويعمل لما بعد الموت،
ويتجاوز البلاء، بالصبر ويسعى للتوحد والتوحيد، ويتكامل لضمان بلوغ
الأحسن بالمكان.

هذا على الصعيد النظرى، فهل من الإسلام كعقيدة تطابق النسق الكونى ما
يدعوا لتحقيق ذلك عمليا ؟

والجواب هو نعم؛ وذلك من خلال العقيدة المهدوية التى تقوم على
الانتظار للثائر المصلح والتهيؤ لأمره والتهيؤ لدولته، أو على الأقل التحاش من
بطش عدله وتحرى العذر من خذلانه.

فمن ضرورات الانتظار والتهيؤ والاستعداد؛ تبرز عند المعتقد بالمهدى عليه السلام،
جوهرية الحسن فى الخلقة، وإدراك الجدوية فى مهام الرسالة الإنسانية، وعدم
العشبية بما يتطلبه ذلك الاعتقاد، من حقيقة التلازم الذاتى بين نسق الفعل فى
الكون المجبول على السعى للأفضل والأحسن حيث الكمال، وبين خيار
الإنسان لفعله الحسن بذات النسق حيث لا غيره. ثم هو بالتالى مسئول عنه
خيرا وشرا.

فالذى يعيش بفعله لا ينتظر له نتيجة تقربه لقائده وإمام عصره، بل قد يكون لا يشعر بأن له إمام موجود، ليس كمثل الذى يعيش لرسالة سامية، وهو فى حال تهيؤ لمقدم إمامه المنتظر فى أى لحظة، فله همّ سياسى يعنى به، ومسئولية امام المنتظر فى حال غيابه، واستعدادا يربطه بغايات قائده السامية.

فالمهدوى (المعتقد حقا بالمهدى) ليس إنسانا ضائعا، لأنه فى دأب دائم لبلوغ الغايات السامية لخلقه، وليس كغيره؛ يأخذه العبت صباحا وتمسى به الخيبة مساء!!

فالسياسى الصادق هو الذى فى عنقه بيعة لإمام حق، ويستوعب فى خياره لفعله، وجود إمامه هذا المعد لإصلاح العالم، والذى يعتقد انه ينظر إليه ويقيم فعله:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؛

فالمهدوى؛ يحرص على أن يكون فعله كما موم يصب فى آمال إمامه ولغاياته السامية. وهذا والله كمال السياسة إن كان للسياسة معنى علمى مجرد. وهكذا يتقوم فعل المهدوى (المعتقد بالمهدوية)، والعامل بمضامينها بالكمال لتلازمه ذاتيا مع النسق الكونى. هذا بالنسبة للفرد المهدوى المنتظر. فكيف تساس امة لها الاعتقاد بالمهدى؟

ان هذه الأنماط التى نعيشها وندركها وندرك مراتبها ومراتب مخلوقاتها، والتى يتوجه فيها الفعل الكونى دوما إلى الكمال، دون أن يلتفت الكثير منا لحقيقة توجه الفعل فى الكون إلى التكامل، سواء فى بسطه أو فى قبضه، حتى

يظن الظان، أنما الخلق عبث، كما يذهب أصحاب النظريات السياسية المدفوعة بشعار الشيطان (أنا خير منه)، فلا يجد الكثير منهم حرجا فى ارتكاب أى فعل، ولا يتعب نفسه فى خياره لفعله إذا كان فردا. ولا يهتم المجتمع المخدر بنشوة التفوق، كثيرا لمن يسوسه وكيف يساس، او فيما إذا كان يتوجه مع النسق الكونى فى سعيه للكمال فى سياسته أو يكون ضده، بل قد لا يعلم هذا المعنى على الإطلاق.

إن مجرد الإقرار بوجود إمام العصر المنتهى والمعد لمهام الإصلاح الأكبر، مقابل وجود منتظرين له ممهدين لدولته، يضع أولئك المعتقدين، فى جوهر الرسالة الإنسانية الحق، ويبقى غيرهم فى عدم التزام لمعنى النسق أو الكلام فيه. أما إذا كانت للإنسان بيعة والتزام لهذا الإمام المنتظر، فإنما يكونون فى سبيلهم إلى إتباع الكمال الذى يمثله الإمام المعصوم. ونجد أن الذين عاشوا الوهم فى الدنيا، يوم يرون الواقع من البسط فى التجرد، وفى ساحة اللقاء مع البارئ العظيم، إنهم لم يكونوا على شىء فى الدنيا؛ كانوا على الهامش ضائعون، الكون يجرى لغايته، وهم يعيشون لا غاية لهم:

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ * ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾^١.

وهذا الجوهر الذي يفتقده اغلب الناس في وجودهم وحياتهم وعقلهم مما لم يفت الفلاسفة الكبار من الأولين والآخرين. فمثلا هذا هيغل، يشير إلى هذا الجوهر ومعنى الوجود والباعث له وفيه. يعتقد هيغل؛ أن الروح المطلق؛ هو الباعث على الديالكتيك، الذي يسميه العملية المنطقية وان.

العقل هو الوسيلة التي لا بد منها لإدراك الديالكتيك؛ الذي هو التطور من وحدة إلى تعارض ومن تعارض إلى وحدة؛

«وان مهمة الدين هي بلوغ المطلق؛ (الله)، وان الله هو نظام الصلات الذي تتحرك به جميع الأشياء وتعيش. إن المطلق ينهض في الإنسان إلى وعى ذاتي، ويصبح الفكرة المطلقة. وذلك إن الفكرة تدرك نفسها كجزء من المطلق». وقول هيغل هذا كله مجرد نظر لا يغنى ولا يسمن من جوع، فالمهم هو الوسيلة التي تضع أقدام الإنسان على خطى الروح المطلق، وفي خياراته من اجل بلوغ الله تعالى في إرادته. ولد كان قاصرا كما يبدو من وضع النقاط على الحروف، بسبب شغفه بنفسه كغاية نهائية وبأوربا كمركز لهذه الغاية ودين أوربا هو غاية الدين!

١٢. علمية الإسلام في مبناء السياسي

إن الحسن والقبح ليسا مجرد معاني نستحضرها بألفاظ تدل عليها؛ إنما الحسن والقبح حادثات وأفعال؛ تدرك من خلال استحضار القوى المنجزة لها، فالقوة هي التي تبطن الفعل وتدل عليه.. والفعل ظاهر لمعنى القوة دوما.

وإن كان الناس يتداولون ألفاظا لمعاني الفضائل، ويجادلون مثلا، بقولهم؛ إن الكرم حسن، والبخل قبيح، والصدق حسن، والكذب قبيح... وهذا ما يستغله الساسة الشياطين.

إن الواقع غير هذا تماما، بل واعقد؛ فهذه المعاني لا تكون حسنة أو قبيحة، إلا بملاحظة علتها الدافعة لفعالها المنجز لها، فتكون حسنة إذا أتت معلولة لجوهر الكون وعلة الكينونة وهي الرحمة، التي يجسدها في الواقع الإمام المعصوم، فهي متطابقة مع النسق الكوني.

فلكى تكون المعاني فضائلا حقيقية، لابد أن تتطابق في أدائها السنة الكونية، مع السنة التكوينية للنفس الإنسانية التي يصدر عنها الفعل.

فالكرم الفضيلة؛ هو الكرم الذي يأتي مدفوعا بعلة الرحمة وتجسيد لروح الحسن الكوني السارى.

أما إذا كان هذا الكرم يأتي لعلة غير هذا؛ كالرياء والسمة أو العجب أو التفاخر... فانه قبيح.

فاللفظ - الذى يتعامل به الساسة الشياطين ويحسنون استعماله - ليس فيه حسن أو قبيح، وكذا المعنى؛ وما يأتي على الألسن مما يقوله الناس، ألفاظا لمعاني ويظنون أن الحسن والقبح، يقترن بتلك المعاني؛ فالحقيقة هي أن اللفظ ومعناه، لا حسن لهما ولا قبح، إنما الحسن والقبح يترتبان على الفعل الموافق لذلك المعنى وليس على المعنى وحده، إنما حسنه وقبحه يتوقف على العلة الدافعة للفعل الذى يبرز به ذلك المعنى.

يكن تمييز المعنى الكونى للرحمة، كى لا تختلط بالعاطفة أو الحب الأعمى، أو أى شكل من أشكال المؤالفة أو الرافة. فالرحمة الكونية تتميز

بأنها؛ قوة يأتي الفعل لإبرازها في معاني معرفة تتحقق في العقيدة المهدوية التي تنطوي عليها نفس الإنسان، ما إذا كان الفعل - أي فعل - غير مستوعب هذه الحقيقة، فهو باطل وخواء.

فكيف نضمن أن يكون الفعل المختار من قبل الإنسان، متطابقا مع معناه؟ الضمان؛ يتحقق من خلال انطواء النفس على عقيدة صحيحة يقوم بمراعاة معتقداتها عند صدور الفعل منه.. وهذا لا يحصل إلا من خلال نفاذ السنن الثمان الكونية الحسنة في الفعل.. وهذا لا يتحقق إلا من خلال الإمام الحاضر في ذات الإنسان، الفاضل والكمال والرقيب والمنتظر، صاحب الهدف الكبير والرسالة العظيمة والغاية السامية.. التي تجند معتقديها لذلك القائد العظيم.. والذي يمكن أن يظهر في أي لحظة، وهذا لا يتحقق إلا من خلال رابطة قوية حقيقية تربط بين المأموم المنتظر والإمام المنتظر.

نعم قد يكون في الغالب العام؛ لا يتحقق هذا الضمان، وبهذه الصورة، إلا أنها الصورة الواقعية والمعدة، لبناء الإنسان الكامل. فالمهدوية هي أطروحة الكمال.

وتفسير هذا القول يكمن في: إن الإسلام بدون المهدوية؛ بعدان فقط، وتكتمل في تأثيرها بخيارات فعل الإنسان من خلال استيعاب المهدوية، ليكون الإنسان بالإسلام؛ آملا، فاعلا، مهيدا، منتظرا، مستعدا لمهامه في الوجود.. وفي غير المهدوية لا يمكن أن يكون الإنسان هكذا.

وهكذا فان حديث فوكوياما وهنتنغتون، وكل ابائهم واحفادهم عن فضائل السياسة الأوربية والرجل النوردي، والإنسان الأخير، ونهاية التاريخ،

رومانسية سياسية، او بالاحرى هراء سكارى بنشوة العرق المتفوق او الاختيار الربانى المميز...

فان الكمال، جوهر وجودى، ندركه فقط، حين تتوفر مكوناته و مركباته، فهو كمحصلة مركبات القوى، بالضبط كآى مقدار اتجاهى فى الطبيعة والحياة والعقل. ففى الإسلام تبلغ الهداية التكوينية غاية كمالها فى الإمام الغائب عليه السلام، وتمتد إلى كل فرد ممن يؤمن به عبر جسر الانتظار والتهيؤ لمقدمه البهى، وباعتباره المعصوم الإمام المكلف بالإجهاز على مواقع الضلال وقواه، فهو الثائر العظيم، والمنقذ الأكبر، والمصلح الكونى الذى يؤيده رب العزة لتمام الهداية وشيوع العدل.

ان الكمال الإنسانى هو فقط من معانى امتدادات الهداية التكوينية للإمام المنتظر عليه السلام فى ثلة المنتظرين، فى ضوء معانى الانتظار، ومعانى التمهيد للظهور البهى للمعصوم.

ويمكن تلخيص ذلك؛ فى تصور إنسان ينتظر قدوم ضيف، كيف تكون استعداداته، إذا كان ممن يعرف معانى إقراء الضيف وآثاره كلها؟ وكيف يكون التصور فى التهيؤ لانتظار ثائر عالمى ومصلح كونى، اذا كان يعرف متطلبات التغيير ومعانى الثورة؟

ولكى يكون الإنسان أحد أتباعه عليه السلام فعليه أن يكون بمستوى الموقع الذى يطمح من خلال لكمال الهداية، لينال رضاه عليه السلام فرضا خالقه ﷻ.

نعم قد يكون هناك تقصيرا فى فهم معنى وجود الإمام عليه السلام، ومعانى التهيؤ لمقدمة، مثل تقصيرنا فى وعى المعانى الهادية الأخرى لوجود الإمام

المعصوم، لكن هذا ليس ذنب العقيدة، إنما هو ذنب المعتقدين، أو هو طبيعة الناس في التفاوت بالوعي، أو قصورهم عن بلوغ تمام معانيه، لذا يبقى في معاني الهداية التكوينية حيزاً للتفاوت بين الناس في الوعي.

وأيضاً أن الإمام عليه السلام غائب، لكنه موجود في ساحة العقيدة، حيث هناك ثقافة خاصة بمعنى الغيبة، وعلامات الظهور، وزمن الظهور، وشعارات ثورته، وموجباتها، وكيفيات فعله، وهناك خطط بينها الأحاديث الكثيرة لحركته الثورية وبشكل مفصل.

فهو كالشمس حين يحجبها السحاب، تبقى تمد الحياة بالوجود والاستمرارية.

هذه الثقافة ومناقشتها بالفعل والمنطق وردها إلى القرآن شريك العصمة مع الإمام، تمثل تفعيلاً لمعاني السياسة بالهداية التكوينية لوجود الإمام عليه السلام. ومع الانتظار يزداد تفعيل هذه المعاني.

فالمنتظر إذا شد نفسه بالمنتظر التائر الكوني، إنما ينتظر ثورة واضحة المعالم والخطط والأهداف - وتلك هي منافع السياسات لمجسّدات الهداية التكوينية للإمام مع غيبته؛ حيث تجعل المنتظر في منحى هداية الإمام دوماً لأنه متزوّد بما يريد الإمام ومتجنب لما يمكن أن يفضيه.. وتلك من معاني الكمال في إنسانية الإنسان.

فلا ينجو من عدله إلا من بايعه على الهدى، أو أذعن للحق الذي جاء به وهياً نفسه ومجتمعه بسياسة الانتظار.

١٣. المصادر

١. هنتنغتون: صموئيل (صدام الحضارات: وإعادة بناء النظام العالمي) ترجمة مالك عبيد أبو شهيوه وآخر، ط ١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته - ١٩٩٩م.
٢. فوكوياما: فرنسيس (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) ترجمة فؤاد شاهين وآخرين، مركز الاتحاد القومي، بيروت - ١٩٩٣م.
٣. اليزدي؛ محمد تقى مصباح (المجتمع والتاريخ) ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، ايران، دار امير كبير - ١٩٩٤م.
٤. الصدر؛ محمد باقر (الاسلام يقود الحياة) ب.ت.
٥. شيفستر؛ البرت (فلسفة الحضارة) ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط ١، دار الاندلس بيروت ١٩٩٧م.
٦. المطهرى؛ مرتضى (المجتمع والتاريخ) ترجمة محمد اذر شب، ط ١، مؤسسة البعثة طهران - ١٤٠٢هـ.
٧. امام؛ عبد الفتاح امام (معجم ديانات واساطير العالم) المجلد / ١٣، جامعة الكويت، قسم الفلسفة - ب.ت.
٨. جفرى؛ بارندر ((المعتقدات الدينية لدى الشعوب) ترجمة امام عبد الفتاح امام، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة - ١٩٩٦م.
٩. صبحي؛ احمد محمد (فى فلسفة التاريخ) ط ٢، دار النهضة بيروت - ١٩٩٦م.
١٠. مجلة الثقافى العالمية: العدد / ٨٥، عام - ١٩٩٧.

١١. ألمسيري؛ عبد الوهاب، "نهاية التاريخ، مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني"، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ص ١١٣.
١٢. صلاح زكي، "نظرية الأمن الإسرائيلي"، دار الثقافة الجديدة القاهرة ط ١، ١٩٧٨م، ص ٣٤.
١٤. الطرايشي؛ جورج (الماركسية والجزائري)، دار الطليعة، بيروت - ١٩٨١م.
١٥. حمادي؛ عمار (الأسس الثقافية للغرب؛ جولة في مراحل تكون الثقافة الغربية) ط ١، دار الهادي، بيروت - ١٤٢٥هـ ص ١١٢ - ١١٣.
١٦. بدوي؛ عبد الرحمن (الموسوعة الفلسفية)، وتوينبي (فلسفة التاريخ) ترجمة فؤاد محمد شبل، ص / ٢٩٥ - ٢٩٩.
١٧. مجلة الكلمة؛ العدد / ٣، السنة الأولى: ص / ٨٢.
١٨. حب الله؛ غادة، وعاضة؛ رباب، "الإرهاب سلاح ذو حدين" مقالات تهم الإنسان والمجتمع، معهد السيدة الزهراء عليها السلام العالی للشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٥هـ ص ٢٦٠.

١٩. بيجو فيتش؛ على عزت (الإسلام بين الشرق والغرب)، ص / ٢٤٤.

20.E -Bradford: (At war in Nicaragua; The Rangan doctrine and politics of nostalgia of nostalgia), New Yourk.1987.

21. Toefolo; Cabestrero, (Blood Of Innocent: Victims of the contras War in Nicaragua), Orbis Bood_ 1985.

eidm2003@hotmail.com

المهدوية والحركات الإسلامية

دكتور أحمد راسم النفيس

شكلت (الفكرة المهدوية) مكونا هاما من المكونات الفكرية للحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة بغض النظر عن صحة الرؤية التي يعتمدها هؤلاء عن المهدوية من عدمها.

التصورات التي يتبناها البعض عن الإسلام لا تتطابق بالضرورة مع التصور الحقيقي الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، خاصة عندما لا يعلق في أذهان الناس بمن فيهم من يعدهم البعض قادة الإصلاح من التصور الأصلي إلا خيالات أو ذرات هائمة من الحقيقة كتلك القبضة التي قبضها السامري من أثر موسى وساق بها جهال بني إسرائيل إلى حتفهم «فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي»^١.

المهدوية قرين الإصلاح والتغيير وهي عند أصحابها (وكانوا أحق بها وأهلها) عقيدة راسخة وليست شطحة عقلية طارئة أو رغبة عارمة تملك

بعض عشاق الزعامة والرئاسة ممن يقبضون قبضة من أثر الرسول يصنعون منه للناس صرحا من وهم وخيال فهوى!

المهدوية عند أصحابها عقيدة قديمة قدم التاريخ الإسلامى وهى ذروة عملية من التغيير والإصلاح التكاملى الذى احتاج قرونا من الزمان وربما يحتاج قرونا إضافية، أما عند غير أصحابها من الأدعياء المنتحلين فهى نزوة طارئة تهبط على عقل صاحبها المدعى ما ليس له كما تهبط أمطار الصيف من سماء زرقاء صافية!!.

المهدوية عند المدعين ما ليس لهم إما أن ترتدى لبوس المهدي شخصا ودورا أو تكتفى بانتحال دور ومكانة المخلص المنتظر الذى تشتاق إليه البشرية ليملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً والذى جاء ليخلص الناس من الضلالات والانحرافات العقائدية ربما ليوقعهم فى المزيد منها أو ليزيد أزماتهم تعقيداً أو يضيع من بين أيديهم حلولاً واقعية ربما كانت تخفف عنهم بعضاً من آلامهم ريثما يظهر المخلص الحقيقى الموعود!!.

المهدوية ليست مجرد بدعة شيعية كما يزعم البعض ممن لا يملكون قدماً راسخاً فى العلم ولا قدرة على التأمل فيما يجرى حولهم وممن لا يعرفون من الدين إلا مجموعة شعارات براقية لا تسقى عطشانا ولا تغنى من جوع.

لو كانت المهدوية أو (المخلص المنتظر) اختراعاً شيعياً كما يزعم القوم فليشرح لنا هؤلاء معنى (الأسماء والصفات) التى يسبغونها من دون ضابط ولا رابط على بعض قادة زماننا الأغبر، فهم إما مجدد للقرن أو إمام ملهم أو

أعجوبة الزمان أو إمام العصر الذي من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله ورسوله!!.

الحديث إذا عن المهدوية وعلاقتها بالحركات الإسلامية المعاصرة لا ينبغي أن يقتصر على تلك الحركات التي تصدى لقيادتها من انتحلوا صفة (الإمام المهدي المنتظر) لحما ودما بل يمتد إلى غيرها من الحركات التي زعم قاداتها أو زعم لهم صفات قيادية ومهام كونية جامعة من ذلك النوع الذي يختص به إمامنا المهدي صاحب العصر والزمان الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليه السلام.

يعرض العلامة المفكر آية الله مرتضى المطهري في كتابه القسيم عن الحركات الإسلامية أسباب أفول الفكر الإصلاحى فى العالم العربى بقوله:

لو كان هناك أفراد يمكن أن نعدهم أبطالاً للحركة الإصلاحية فى العالم العربى، فإنهم لا يتعدون ثلاثة، هم من حيث الأهمية: السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ عبده والكواكبى.

نعم ظهرت عناصر أخرى من اتباع هؤلاء وخصوصاً السيد جمال والشيخ عبده من مصر وسوريا والجزائر وتونس والمغرب كانوا دعاة إصلاح واصلوا طريق السيد جمال والشيخ عبده، ولكن لم يصلوا إلى المكانة التى تجعلهم فى مستوى الأبطال الثلاثة الذين ذكرناهم. حتى أن فىهم - بسبب بعض الانحرافات - من يعتبرون (مفسدين) بدل أن يكونوا (مصلحين) ذلك أنهم بدل أن يقوموا بعمل إصلاحى، قاموا بعمل إفسادى.

وهنا تطرح عدة أسئلة: لماذا لم تظهر في العالم العربي شخصية أخرى يمكن أن نعتبرها بطلّة الإصلاح غير الثلاثة الذين ذكرناهم؟ لماذا لم تقم تلك الشخصيات التي ادعت الإصلاح في العالم العربي، بعمل متكامل وصحيح من أمثال، عبد الحميد بن باديس الجزائري وطاهر الزهراوي السوري، وعبد القادر المغربي، وجمال الدين الكاظمي السوري، ومحمد بشير الإبراهيمي وغيرهم؟

لماذا سقطت جاذبية الحركة الإصلاحية الإسلامية من البلدان الإسلامية؟ ولماذا حصلت الحركات القومية والعربية من أمثال البعث والناصرية، أو الحركات الاشتراكية والماركسية على جاذبية الكثيرين من الشباب العربي؟

السبب الرئيسي الذي جعل الحركة الإسلامية التي بدأها السيد جمال الدين تفقد أهميتها وحرارتها، هو اتجاه أكثر مدعى الإصلاح بعد السيد جمال والشيخ عبده نحو (الوهابية) وانحصارهم في الدائرة الضيقة لهذا الفكر وأن هؤلاء غيروا تلك الحركة الإصلاحية إلى حركة سلفية تتبع ابن تيمية الحنبلي وحصروا (الرجوع إلى الإسلام الأصيل) بـ(الرجوع إلى الحنبلية) التي تعتبر من المذاهب السطحية في الإسلام، وتغيرت بعد ذلك الروح الثورية من النضال ضد الاستعمار والاستبداد إلى النضال ضد العقائد التي تخالف معتقدات الحنبلين خصوصا ابن تيمية الحنبلي. أهـ

إن من أعجب العجب أن تلك الحركات ذات المرجعية (الوهابية) التيموية التي ترى فيمن ينحاز لأهل بيت النبوة ويتمثل فيهم النموذج الكامل للقيادة

والإمامة (إرادة واختيار إلهي)، مناققا يتخذ من حبه لأهل البيت عليهم السلام ستارا يستر كفره ونفاقه وبغضه لأصحاب محمد ﷺ (وكأن الصحابة هم الأصل وأهل البيت هم الفرع؟!)، حاولت وما زالت تحاول أن تقدم قاداتها في صورة (أئمة مهديين) بدلا من الاكتفاء بوضعهم في إطار واقعي كأصحاب (مشروع إصلاح) اجتهدى يصيب أو يخطئ ويتعثر تارة وينهض تارة أخرى.

الإخوان المسلمون مثلا يرون أن مؤسس الجماعة هو (أعجوبة هذا الزمن، ورائدا من رواد الخير والحرية والفضل.. عاش للإسلام، واستشهد في سبيل الإسلام رافعاً لرايته رافعاً لهذا الحق، مريياً لهذه الأجيال....)

يكتب أحدهم في ذكرى مقتل مؤسس الإخوان:

(في هذه الأيام تحلُّ علينا مئوية الشيخ البنا الرجل العملاق مجدد القرن العشرين بغير منازع، صاحب الفهم العميق والتصور المحيط والإدراك الشامل لحقائق الإسلام وأحكامه والداعية صاحب البيان الرائع والبلاغة الآسرة واللفظ الساحر والحكمة العميقة، والتنظيم الدقيق، والصفات الكثيرة المتنوعة، التي تستحيل أن توجد في رجل أو تُجمع في إنسان، ومع هذا عاش الرجل يجالذ الفساد في التصور، والانحراف في الفهم، ويصارع الأباطيل، عسى أن يهدي الله الضالَّ، ويصلح الفاسد، ويبصر الأعمى، ولكن الفساد كان عميقاً والظلام داجياً؛ بحيث إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، والكيد إبليسياً

١. محمد عبد الله الخطيب: البنا أعجوبة زمان. إخوان أون لاين، ٢٠٠٤، ٢١٥.

وشيطانياً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض، ولكن الرجل صارعهم فصرعهم ونازلهم فهزمهم).

ثم يستشهد بأبيات من الشعر خطها واحد من تلاميذ (الإمام المؤسس أعجوبة الزمان) منها:

قد جئت يا "حسن البنا" على قدر	فكنت أحسن في البانين بنيانا
وجئت جنح الدجى بدرًا قد اكتملت	أنواره وأضاءت ليل دنيانا
ويا فتى علم الدنيا بحكمته	وظل في شأنه التاريخ هيماننا
يا سيدى يا مجير الشرق من فتن	وظل في شأنه التاريخ هيماننا
قتلت يا "حسن البنا" بمن قتلوا	القسام قبل وياسينا وعدنانا
ظلت دماؤك تجرى وهى نازفة	إلى على ووافت جرح عثماننا
باعث النهضة الكبرى وموقفها	ومجرى الماء سحاحًا وهتاننا
ومنقذ الجيل من ضعف ألم به	فعادت أصلب بنيانا وأركاننا
أحييت كل موات فى ضمائرنا	لما صنعت من الإنسان إنساننا
والله يا حسن البنا وفى دمنا	دينٌ سنقضيه عرفانًا وشكرانا
المسلمون بخير سيدى فهم	باقون ما بقى التاريخ إخواننا ¹

الكاتب والشاعر كلاهما يرى فى مؤسس جماعة الإخوان (باعث النهضة الكبرى وموقفها ومجرى الماء سحاحًا وهتانًا كما أنه منقذ الجيل من ضعف ألم به وأنه صنع من الإنسان إنسانًا) وهو فضلًا عن كل هذا مجدد القرن

1. <http://www.ikhwanonline.com/jk/Article.asp? ID=24694&SectionID=111>.

العشرين بلا منازع كما أن دماءه النازقة واصله إلى على بن أبي طالب
وعثمان بن عفان لتضعه إما قريبا أو في نفس المستوى الذي بلغه (الخلفاء
الراشدون) أو (الأئمة المعصومون) والاختيار متروك لمزاج السامع وموقفه
المذهبي!

إنها مهدوية بلا مهدى وحسب كتاب الجماعة وشعرائها أن ينسبوا لزعيمها
وقائدها كل أو بعض صفات الإمام المهدي فتندفق الجموع لتعطي بيعتها لإمام
(أحيا كل موات في ضمائرنا) فكان كل المسلمين (إخوانا) وكان أن أصبح
الإنسان إنسانا، شئنا أم أبينا! الأمر ليس كما يتصور البعض مجرد جنوح
خطابي للمبالغة والتهويل بل هو جنوح نفسى للبحث عن إمام قائد مخلص
يرتقى الأتباع في أحضانه فيأخذهم إلى السماوات العلاء لا لشيء سوى
امتلاكه هو الآخر للسان خطابي جموح يمتلك الجرأة على القول: (في
الوقت الذي يكون فيه منكم ثلاثمائة كنيية قد جهزت كل منها نفسها روحيا
بالإيمان والعقيدة وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة في هذا
الوقت طالبوني أن أخوض بكم ليج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو
بكم كل جبار عنيد فإنى فاعل إن شاء الله وصدق رسول الله القائل ولن يغلب
اتنا عشر ألف من قلة وإنى أقدر لذلك وقتا ليس طويلا بعد توفيق الله
واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيتته).

مهدوية بمهدي!

تحدثنا سابقا كيف أن الكثير من الحركات الإسلامية كانت مهدوية بلا مهدى
أى أنها تمنح قائد الحركة ومؤسسها أغلب خصائص المهدي المنتظر دون أن

تمنحه اللقب وربما كان هذا بسبب إدراك هؤلاء المنظرين لخطورة فشل مثل هذا الادعاء وتعرضه لانتكاسة خطيرة كتلك التي تعرضت لها مهدوية السودان التي سنتناولها في السطور القادمة.

تحت عنوان (كيف صار مهديا) يقول الدكتور عبد الودود شلبي:^١
أقبل اليوم الموعود ليعلن محمد أحمد أنه المهدي المنتظر وإمام الزمان الذي تجب طاعته على كل البشر وكان هذا في غرة شعبان سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٩ يونيو ١٨٨١ حيث جاء في بيان إعلان مهدويته (وحيث أن الأمر لله والمهدية المنتظرة أرادها الله واختارها للعبد الفقير محمد بن السيد عبد الله فيجب التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله.. وبعد هذا البيان فالمؤمن يؤمن ويصدق لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ولا ينتظرون لأخبار آخر فمن انتظر بعد ذلك فقد استوجب العقوبة لأنه رَبَّنَا قال من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله).

ثم يقول الدكتور شلبي: وماذا ينقص محمد أحمد حتى يكون مهديا؟! إنه عالم وصالح وشريف النسب، كما أنه أفرق الثنايا على خده خال وبينه وبين رسول الله شبه في الاسم وشبه في اليتيم...

ثم يعرض لنا بعضا من أدبيات المهدي السوداني:
من العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى أحبائه في الله المؤمنين بالله وكتابه، أما بعد: فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضى

١. لأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته. د عبد الودود شلبي. دار المعارف، مصر

ذلك ذوو الإيمان والفتن بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن لإقامة الدين والسنن...

ثم أحببني كما أراد الله في أزله وقضائه تفضل على العبد الذليل بالخلافة الكبرى من الله ورسوله وأخبرني سيد الوجود ﷺ بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأيدني بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا وكذلك بالمؤمنين من الجن والإنس وفي ساحة الحرب يحضر معهم سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأعطاني سيف النصر من حضرته ص وأعلمت أنه لا ينصر عليّ معه أحد ولو كان الثقلين الجن والإنس. ثم أخبرني سيد الوجود بأن الله جعل لي علامة أخرى تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت بها أصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله الله. وحيث أن الأمر لله والمهدية أرادها الله لعبده الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد الله فيجب التصديق بذلك لإرادة الله وقد أجمع الخلف والسلف على تفويض العلم لله فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفنين بل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده علم الكتاب. هذا وقد أخبرني سيد الوجود بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله كررها ثلاث مرات، وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدية فقد أخبرني به سيد الوجود يقظة في

حال الصحة خاليا من الموانع الشرعية، لا بنوم ولا بجذب ولا سكر ولا جنون بل متصفا بصفات العقل، أقفوا أثر رسول الله ﷺ بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه.

وإني لا أعلم بهذا الأمر حتى هجم على من الله ورسوله من غير استحقاق لي بذلك، فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار وحكم نبيه كحكمه ولما تكاثرت منه البشائر والأوامر لي في هذا المعنى امتثلت قياما بأمر الله وقد كنت قبل ذلك ساعيا في إحياء الدين وتقويم السنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما حصل يا أحيابي من الله ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرني سيد الوجود ص بالهجرة إلى ماسة بجبل قدير وأمرني أن أكتب جميع المكلفين أمرا عاما فكاتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الأشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون بما لقوه في الله من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى بل ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^١

والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتابا وسنة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^١

وقال: من فر بدينه من أرض إلى أرض استوجب الجنة.. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث، فإذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل الله وإلى أقرب بلد منكم لقوله تعالى ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ الآية.. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ فإذا فهمتم ذلك فاهلموا للجهاد في سبيله ولا تخافوا من أحد غير الله لأن الخوف من غير الله يعدم الإيمان بالله والعباد بالله من أجل ذلك قال الله تعالى ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ فمن كان مهتماً بإيمانه حريصاً على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه. وليكن معلومكم: أني من نسل رسول الله فأبي حسني من جهة أبيه وأمه وأمي كذلك من جهة أمها وأبوها عباس والعلم لله إن لي نسبة إلى الحسين وهذه المعاني الحسان تكفي لمن أدركه الله بالإيمان فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها.

ومن البشائر التي حصلت لنا أنه حصلت لي حضرة نبوية حضرها الفقيه عيسى فيأتي النبي ويجلس معه ويقول للأخ المذكور شيخك هو المهدي فيقول الفقيه عيسى إنني مؤمن بذلك فيقول من لم يصدق بمهديته فقد كفر بالله ورسوله قالها ثلاث مرات، ثم يقول له الأخ المذكور: يا سيدي يا رسول الله: الناس من العلماء يستهزئون بنا والخشية من الترك فيقول إن قوى يقينكم إن أشرتم بأدنى قشة تنفضي حوائجكم...

يتعين علينا أن نتأمل في هذا الخطاب (المهدوي) خاصة عندما يكشف لنا المهدي السوداني أنه لم يكن يطمع في هذا المنصب الرفيع فضلا عن أنه لم يكن يعرف أنه المهدي المنتظر ولا أنه صاحب الزمان لولا أن رسول الله ﷺ رجاء وألح عليه في القيام بهذه المهمة كما أنه لم يكن يرى نفسه أهلا لهذا المقام ولكنه اضطر للقبول بهذا المنصب!! بعد كثرة الإلحاح والرجاء خشية أن يخرب العالم ويفسد الدين لو لم يقبل القيام بهذه المهمة!! حيث يقول: (وإني لا أعلم بهذا الأمر حتى هجم علي من الله ورسوله من غير استحقاق لي بذلك، فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار وحكم نبيه كحكمه ولما تكاثرت منه البشائر والأوامر لي في هذا المعنى امتثلت قياما بأمر الله وقد كنت قبل ذلك ساعيا في إحياء الدين وتقويم السنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). ولأنه قبل إلحاح رسول الله ﷺ وصار مهديا بل وأصبح من (المعلوم من الدين بالضرورة) بعد أن لم يكن معلوما حتى لنفسه!!

لذا فقد أوجبت عليه الديباجة السابقة أن يعلن للدنيا بأسرها أن من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله خاصة، أن رسول الله أخبره بذلك شفاهة ويقظة لا نوما ولا سكرا!!

ومن ثم فلا حاجة لإقامة دليل أو برهان أو شهادة على صحة ما ادعاه هذا المهدي المزعوم من وجود اتصال مباشر بينه وبين رسول الله ﷺ.

مهدي وهابي!!

يقول الدكتور عبد الودود شلبي في كتابه : عندما نعود إلى البيانات والمنشورات التي أصدرها المهدي نرى مطابقة أقواله وأحكامه لهذا الفكر

السلفى ومتابعه حيث يقول: (لا تستغيثوا بأحد دون الله ولو كان نبيا رسولا أو ملكا فجميع الأنبياء دعوا إلى وحدانية الله فلا تتوهموا وتنسبوا إلى رجل صالح شيئا أو تطلبوا منه شيئا فإن ما سوى الله يقطع النظر عن الله تعالى، قال تعالى وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وقال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده).

ويضيف الدكتور شلبي (وفى هذا المنشور تجسيد آخر لتعاليم ابن تيمية وابن عبد الوهاب فيما يأتي: أولا: منع الاستغاثة بغير الله ولو كان نبيا أو ملكا، ثانيا: ألا ينسبوا أو يتوهموا أو يطلبوا من رجل صالح شيئا، ثالثا: اعتبار أى عمل من هذه الأعمال شركا، إنها نفس الآراء والأحكام التى أصدرها ابن عبد الوهاب وابن تيمية وتكاد الألفاظ والعبارات أن تكون واحدة على نحو ما بينا فى المقدمة).

ويذكر الدكتور شلبي أن التعايشى (خليفة المهدي) أعلن إلغاء المذاهب والطرق الصوفية حتى لا يبقى إلا الدين الخالص.

(التعايشى) والبحث عن مهدي!!

الدور الذى لعبه عبد الله التعايشى (خليفة المهدي) ووارث دولته بعد موته يحتاج أيضا إلى وقفة تأمل إذ أن هذا النوع من الرجال هو آفة من آفات الحركة الإصلاحية بل آفة من آفات هذا الدين فهو قد جمع بين خصلتين من أسوأ وأحط الصفات فهو من ناحية لا يبالي بما أفسد أو خرب حيث لم يمنعه من التقدم لقيادة مسيرة (الفسادِ إلا مهانة نفسه وكلالته حده وتضيض

وَقُرِّه) وهو من ناحية أخرى ممن (يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَآمَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ وَزَخَّرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ) كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان هذا التعايشي كما يذكر الدكتور شلبي تواقا إلى النفوذ والسلطة وقد بذل والده عناية خاصة في تعليم أبنائه ولكنه وجد عناء معه إذ اشتهر بانصرافه عن علوم الدين وحفظ القرآن فكان أن انشغل بهذا النوع من المغامرات والبطولات فانضم للرزقات في حربهم مع الزبير رحمة باشا ووقع أسيرا في يديه فأمر بقتله لولا أن تشفع فيه الفقهاء ورجال الدين فأن أرسل إلى الزبير باشا رحمة أنه حلم حلما رأى فيه أنه المهدي المنتظر وأنه أي عبد الله التعايشي سيكون وزيره فزجره الرجل وأمره بالألا يعود إلى هذا السدجل الرخيص!!.

ثم ذهب إلى الشيخ محمد شريف نور الدائم شيخ الطريقة السمانية وقال له: أنت المهدي المنتظر! أي أن الرجل كان يبحث عن مهدي منتظر ليكون مستشاره ووزيره (ووصيه ووارثه من بعده!!) وقد رفض الشيخ محمد شريف هذه اللعبة ثم قال له: إن كنت تبحث عن ذلك فعليك بتلميذي السابق محمد أحمد الذي كان في ذلك الوقت يقيم قبة على قبر شيخه القرشي وكان الشيخ القرشي قد أعلن أن من يختن أولاده ويبنى قبة على ضريحه سيكون هو المهدي وبينما هو على هذا الحال إذ وفد عليه التعايشي وخر ساجدا بين قدميه يتمرغ ويبكي وحين سأله محمد أحمد عن سبب ذلك قال: كان لى

أب صالح من أهل الكشف وقد أخبرني قبل وفاتي أنني سأقابل المهدي وأكون وزيره فلما حضرت إليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني بها والدي فابتهج قلبي لرؤية مهدي الله وخليفة رسوله.

ثم يقول الدكتور شلبي: لقد كان التعايشي هو الذي دفع محمد أحمد للمسارعة بإعلان دعوته ولو تأخر عشر سنوات (في إبلاغه بهاذ الكشف الهام والخطير!!) لتأخرت الدعوة عشر سنوات وقد حفظ محمد أحمد للتعايشي هذه اليد وجعله الوارث لدعوته وخلافته من بعده وهدد كل من يتناول أعماله وتصرفاته بالنقد (لأن جميع أعماله وأحكامه محمولة على الصواب ولأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي فقد خسر الدنيا والآخرة ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة... وقد أتانا خبر من الخضر عليه السلام أن الأولياء اجتمعوا في بيت المقدس يقولون: الحمد لله الذي أظهر المهدي وجعل عبد الله وزيره ثم وجد أي الخضر اجتماع الشياطين وهم يقولون كان عيشنا بالغش والخداع فأتى المهدي وقطع علينا عيشنا ولولا أن عبد الله وزيره لكننا نجد في المهديّة دخولا فحيث علمتم ذلك يا أحبائي أن الخليفة عبد الله مني وأنا منه فتأدبوا معه كتأدبكم معي فجميع ما يفعله بأمر النبي أو بإذن منه لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نائب عنه في تنفيذ أمره).

انتهى الأمر بمهدي السودان المزعوم كما هو معلوم ولسنا في حاجة لسرد واستقصاء وقائع وأحداث التاريخ فهاهم أحفاده الآن في السودان يتحدثون

عن الديمقراطية والليبرالية ولم يبق من ذكريات هذا المزعوم إلا بعض الألقاب والذكريات.

خلفاء المهدي

قام مهدي السودان بتعيين (خلفاء) ولكنهم ليسوا خلفاء له، بل كانوا خلفاء قادة الحكم الإسلامي الأوائل فالمهدي هو خليفة رسول الله أما عبد الله بن محمد (التعايشي) فكان خليفة أبي بكر أو (خليفة الصديق)، أما علي محمد حلو فكان (خليفة عمر بن الخطاب) ومنح قريب المهدي محمد شريف بن حامد منصب (خليفة علي) نسب النبي وابن عمه (خليفة الكرار) وبقي مكان واحد ظل شاغرا هو منصب (الخليفة الثالث عثمان بن عفان)، وبعد أن استولى المهدي على الأبيض دعا محمد بن المهدي بن السنوسي زعيم الطائفة السنوسية في جغوب لقبول منصب الخليفة الثالث ولكنه لم يتسلم ردا على خطابه ولم يتم ملء ذلك المنصب (فظل شاغرا إلى الآن!).

أما كيف ملأ (المهدي) هذه المناصب فيحكي هولت نقلا عن محمد أحمد (ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبي ﷺ خلفاء أصحابه من أصحابي فأجلس أحد أصحابي على كرسی أبي بكر الصديق وأحدهم على كرسی عمر وأوقف بكرسی عثمان وقال هذا الكرسی لابن السنوسي إلى أن يأتیکم بقرب أو طول وأجلس أحد أصحابي على كرسی علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين وما زالت روحانيتک معنا في بعض الحضرات مع بضع أصحابي الذين هم خلفاء رسول الله ﷺ).

١. ب. م. هولت دولة المهدي في السودان عهد الخليفة عبد الله، دار الجيل بيروت، ط فبراير ١٩٨٢.

إنها نفس الشعارات التي رفعتها وما زالت ترفعها أغلب الحركات الإسلامية عن مقاومة الظلم والفساد ومحاربة الشرك وانحراف العقيدة الذي ملأ أطباق السماوات والأرض فضلا عن تعطيل الحكم بما أنزل الله من دون أن يحاول أى من هؤلاء أن يحدد لنا متى ظهر هذا الفساد أو متى انتهى العمل بأحكام الشريعة الإسلامية ناهيك عن استبدال ظلم بظلم وقتلة ومصاصى دماء بقتلة آخرين ومصاصى دماء آخرين وكل ما هنالك أن الظلم الجديد يحمل راية الإسلام والتجديد أو راية المهدي السوداني أو خليفته التعايشي!

المهدي المنتظر: حدث داخل السياق

لسنا فى وارد عرض ما هو معلوم من الأدلة والبراهين المتعلقة بإثبات حقيقة المهدي المنتظر أرواحنا لمقدمه الفداء خاصة تلك المتعلقة بشخصه الشريف فهو شخص معلوم لشعبة أهل البيت وهم ينتظرون ظهوره ويعدون أنفسهم ليكونوا من جنده وأعوانه لأن الأمر يتعلق بمنهجية أهل البيت عليهم السلام التى هى امتداد للمنهج الإسلامى الذى جاء به رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبلغه للأمة الإسلامية وهو المنهج الذى أودعه رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم لوصيه على بن أبى طالب من بعده ومن ثم فقد انتقل هذا المنهج من إمام إلى إمام حتى استقر عهدة صاحب الأمر والزمان الإمام الحجة المنتظر محمد بن الحسن العسكري عليه السلام.

الأمر إذا (حدث داخل السياق)، السياق المنهجى والسياق التاريخى الذى شهد صراعا داميا بدأ عشية رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما زال مستمرا حتى هذه

اللحظة بين النهج المحمدي العلوي الرسالي ونهج الانحراف المضاد عن منهج الله الذي حمل أمانته أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام. الظلم باسم الإسلام لم يبدأ عشية الاحتلال التركي أو المصري للسودان ولكنه بدأ يوم أزيح على بن أبي طالب من موقع ولاية أمر المسلمين وخلافة رسول الله ﷺ وكان كل ما جرى من ظلم بعد ذلك فرعاً على هذا الظلم الأصلي فاستحق بذلك من ظلموا آل محمد وقاتلوا علياً ثم قتلوا الحسين بن علي عليه السلام لقب (أصول الظالمين) الذين يتعين اقتلاع ظلمهم وفسادهم حتى تطهر الأرض من أدرانها.

من هذه الناحية لن يكون ظهور المهدي ليحدث أصول الظلم والظالمين مفاجأة لشيئته من حيث طبيعة الصراع الذي شنه ويشنه هؤلاء أمس واليوم انتهاء بالحرب التي سيعلمونها على صاحب الأمر والزمان عند ظهوره، ربما باستثناء التوقيت.

لن يكون ولا يمكن أن يكون هناك مهدي وهابي ولا مهدي يعمل برأى من عنده فالأئمة الحقيقيون مهديون بهداية الله وعنايته فكيف يكون المهدي تابعا لابن تيمية وتابعه الضال ابن عبد الوهاب

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^١

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ﴾^١.

المهدي إمام من أئمة أهل البيت يأتمر بأمر الله ويعمل بوصية رسول
الله ﷺ ومن سبقوه من الأئمة سلام الله عليهم أجمعين.

الأهم من هذا أن المهدي الحقيقي سيظهر ليقود المعركة النهائية والأخيرة،
معركة اقتلاع الظلم والفساد والانحراف عن الشريعة الإسلامية من جذورها لا
من فروعها كما يزعم أدعياء المهديّة وقادة الإصلاح المزيفون.

قل من هؤلاء المصلحين المزعومين من توجه لمواجهة قادة الفساد
الأصليين الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار وحولوا الدين إلى
سلعة تباع وتشترى في سوق النخاسة السياسية المنصوب في قلب الأمة
الإسلامية منذ أن انحرقت عن نهج الأئمة من آل محمد ﷺ.

المهدي الحقيقي ﴿يَعْطِفُ السُّهُوَى عَلَى الْمُدَى وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ﴾ ومن
ثم فمواقفه وأحكامه تأتي مطابقة لأحكام القرآنية الجامعة لكل خير
والمانعة لكل شر أما هؤلاء المزيفون فيعطفون ﴿السُّهُوَى عَلَى الْمُدَى وَيَعْطِفُونَ
الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ﴾

فيستخرجون من كتاب الله ومن سنة سيد الهدى محمد ﷺ ما يبررون به
أهواءهم وجرائمهم للناس ولو لم يجدوا من النصوص الشرعية الثابتة ما
يروجون به بضاعتهم لجئوا إلى الادعاء بوجود الإلهام والرؤى النبوية
المكذوبة والكرامات المزيفة ومخاطبة الخضر لهم ومحاضر اجتماعات

الأقطاب ولولم يقدرُوا على شيء من هذا لجئوا إلى أبواقهم الدعائية المزيفة كهذا التعايشى الذى عاش يبحث عن مهدي يكون وزيره ومستشاره وخليفته من بعده.

المهدوية الحقيقية تهدف لاجتثاث الظلم والفساد من الجذور لا من الفروع كما يفعل هؤلاء البسطاء وسيكون يوم ظهوره يوم النصر الإلهي الموعود كما جاء فى ختام (دعاء الندبة):

مَتَى تَرَانَا وَتَرَكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِيَوَاءَ النَّصْرِ؟ تُرَى أَتَرَانَا نَحْفُ بِكَ
وَأَنْتَ تُوِّمُّ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا وَأَذَقْتَ أَعْدَاكَ هَوَانًا
وَعِقَابًا وَأَبْرَتَ الْعُنَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُكْذِبِينَ
وَاجْتَنَنْتَ أَضْوَالَ الظَّالِمِينَ.

المهدوية الحقيقية مبدؤها رسول الله وهى متصلة به ومن ثم فهى واصلة بالله عزوجل وهى الحبل والسبب المتصل بين الأرض والسما.

دعاء الندبة

يعطينا دعاء الندبة وهو المناجاة التى يبثها الشيعة المتألمون لغيبة إمامهم، المنتظرون لظهور أمره وقيادته المباشرة لمسيرة جهادهم من أجل إعلاء كلمة الله، تصورا شاملا عن رؤيتهم للصراع الدائر بين الحق والباطل، بين العدالة والظلم، تصورا منهجيا واضحا لطبيعة الصراع وجذور الظلم الحقيقية التى يتعين عليهم التصدى لها ومعالجتها بدلا من الاكتفاء بمواجهة الآثار والنتائج التى تستفز أصحاب الرؤى القاصرة فيستفرغون جهدهم وجهد أتباعهم فى

مواجهتها حتى ولو رفعت هذه المواجهة شعار المهدوية الكاملة أو تلك الناقصة فتكون النتيجة دوماً هي الفشل مهما حققت هذه الحركات من نجاحات وانتصارات أولية على خصومها.

لسنا بحاجة إلى سرد كامل الدعاء وسنقتصر على ما يفيدنا في بيان أن التصور الأصلي (غير المزيف أو المفبرك) للمهدوية هو سياق متكامل يقوم على قاعدة المبتدأ والخبر.

المبتدأ:

فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ (رسول الله ﷺ) أَقَامَ وَلِيُّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهَا وَآلِهَا هَادِيًا إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، فَقَالَ وَالْمَلَأَ أَمَامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانصُرْ مَنْ نصرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَدَلَهُ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ، وَقَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى.

وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَرَوَّجَهُ ابْنَتَهُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فَقَالَ: أَنَا نَدِينُ الْعِلْمَ وَعَلِيٌّ بِأَبْهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا. ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، لَحْمِكَ مِنْ لَحْمِي وَدَمِّكَ مِنْ دَمِي وَسِلْمُكَ سِلْمِي وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيْمَانُ مُحَالِطٌ لِحَمِّكَ وَدَمِّكَ كَمَا خَالِطٌ لِحَمِّي وَدَمِّي، وَأَنْتَ غَدَاً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي وَأَنْتَ تَقْضِي دِينِي وَتُنْجِزُ عِدَاتِي، وَشِيعَتُكَ

عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ مُبَيَّضَةٍ وَجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِيرَانِي،
 وَلَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي. وَكَانَ بَعْدَهُ هُدًى مِنْ
 الضَّلَالِ وَنُوراً مِنَ العَمَى وَحَبَلَ اللهُ المَتِينَ وَصِرَاطُهُ المُسْتَقِيمَ لَا
 يُسْبِقُ بِقَرَابَةٍ فِي رَحِمٍ وَلَا بِسَابِقَةٍ فِي دِينٍ وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبَةٍ مِنْ
 مَنَاقِبِهِ، بِحَدِّ وَحَدِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهَا وَآلِهَا وَيُقَاتِلُ عَلَى
 التَّوْبِيلِ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ؛ قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَنَادِيدَ العَرَبِ
 وَقَتَلَ أَبْطَالَهُمْ وَنَاوَشَ ذُؤَبَانَهُمْ فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْرِيَّةً
 وَحَنِينِيَّةً وَغَيْرُهُنَّ، فَأَضَبَّتْ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَأَكْبَتْ عَلَى مُنَابَذَتِهِ حَتَّى
 قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ.

الإصرار على نهج الانحراف:

وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشَقَى الآخِرِينَ يَتَّبِعُ أَشَقَى الأولِينَ لَمْ يُمَثَّلْ
 أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الهَادِينَ بَعْدَ الهَادِينَ، وَالْأُمَّةُ مُصَرَّةٌ عَلَى مَقْتَبِهِ
 مُجْتَمِعَةٌ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصَاءِ وُلْدِهِ إِلَّا القَلِيلَ مِمَّنْ وَفَى لِرِعَايَةِ
 الحَقِّ فِيهِمْ، فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَسُبِيَ مَنْ سُبِيَ وَأُقْصِيَ مَنْ أُقْصِيَ وَجَرَى
 القَضَاءُ لَهُمْ بِمَا يُرْجَى لَهُ حُسْنُ المَثُوبَةِ.

قانون الله الحاكم:

إِذْ كَانَتْ الأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
 وَسُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَهُوَ
 العَزِيزُ الحَكِيمُ.

التمسك بنهج الحق والثبات عليه وانتظاره

الصفات المهدوية الكاملة

فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلَيْتُكَ
 الْبَاكُونَ وَإِيَاهُمْ فَلَيْتُنْدُبِ النَّادِبُونَ وَلَيْتُ لَهُمْ فَلْتَذْرِفِ الدُّمُوعُ وَلِيَصْرُخِ
 الصَّارِحُونَ وَيَبْضِجَ الضَّاجِحُونَ وَيَبْعَجَّ العَاجِحُونَ! أَيْنَ الحَسَنُ أَيْنَ
 الحُسَيْنُ أَيْنَ أَبْنَاءِ الحُسَيْنِ؟ صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ وَصَادِقٌ بَعْدَ
 صَادِقٍ! أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ أَيْنَ الخَيْرَةُ بَعْدَ الخَيْرَةِ؟ أَيْنَ
 الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ؟ أَيْنَ الأَقْمَارُ المُنِيرَةُ؟ أَيْنَ الأَنْجُمُ الزَّاهِرَةُ؟ أَيْنَ
 أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ العِلْمِ؟ أَيْنَ بَقِيَّةُ الله الَّتِي لَا تَخْلُو مِنْ العِزَّةِ
 الهَادِيَّةِ؟ أَيْنَ المَعْدُ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ؟ أَيْنَ المُنْتَظَرُ لِإِقَامَةِ الأُمَّتِ
 وَالْعِوَجِ؟ أَيْنَ المُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ؟ أَيْنَ المُدْخَرُ لِتَجْدِيدِ
 الفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ؟ أَيْنَ المُنْتَحَرِ لِإِعَادَةِ المِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟ أَيْنَ المُوَمَّلُ
 لِأَحْيَاءِ الكِتَابِ وَحُدُودِهِ؟ أَيْنَ مُجِيبِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ؟ أَيْنَ قَاصِمِ
 شَوْكَةِ المَعْتَدِينَ؟ أَيْنَ هَادِمِ أْبْنِيَةِ الشِّرْكِ وَالتَّنْفَاقِ؟ أَيْنَ مُبِيدِ أَهْلِ
 الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ؟ أَيْنَ حَاصِدِ فُرُوعِ الغَيِّ وَالشَّقَاقِ؟
 أَيْنَ طَامِسِ آسَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ؟ أَيْنَ قَاطِعِ حَبَائِلِ الكِذْبِ
 وَالْإِفْتِرَاءِ؟ أَيْنَ مُبِيدِ العُتَاةِ وَالْمَرَدَّةِ؟ أَيْنَ مُسْتَأْصِلِ أَهْلِ العِنَادِ
 وَالتَّضْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ؟ أَيْنَ مُعِزِّ الأَوْلِيَاءِ وَمُذِلِّ الأَعْدَاءِ؟ أَيْنَ جَامِعِ
 الكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى؟ أَيْنَ بَابِ الله الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى؟ أَيْنَ وَجْهَ الله
 الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاءُ؟ أَيْنَ السَّبَبِ المُنْتَصِلِ بَيْنَ الأَرْضِ
 وَالسَّمَاءِ؟ أَيْنَ صَاحِبِ يَوْمِ الفَتْحِ وَنَاشِرِ رَايَةِ المَهْدِيِّ؟ أَيْنَ مُؤَلَّفِ
 شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا؟ أَيْنَ الطَّالِبِ بِذُحُولِ الأنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ

الأنبياء؟ أين الطالب بدم المقتول بكرّ بلاء؟ أين المنصور على من
 اعتدى عليه وافترى؟ أين المضطر الذي يجاب إذا دعا؟ أين صدر
 الخلائق ذو البر والتقى؟ أين ابن النبي المصطفى وابن علي
 المرتضى وابن خديجة الغراء وابن فاطمة الكبرى؟!
 بآبي أنت وأمي ونفسي لك الوفاء والحمى يابن السادة المقربين يابن
 النجباء الأكرمين يابن الهداة المهديين يابن الخيرة المهديين يابن
 الغطارفة الأنجبيين يابن الأطائب المطهرين يابن الحضارمة
 المتجيبين يابن القماقمة الأكرمين، يابن البذور المنيرة يابن السرج
 المضيئة يابن الشهب الثاقبة يابن الأنجم الزاهرة يابن السبل
 الواضحة يابن الأعلام اللائحة، يابن العلوم الكاملة يابن السنن
 المشهورة يابن المعالم الماثورة يابن المعجزات الموحودة يابن
 الدلائل المشهودة، يابن الصراط المستقيم يابن النبا العظيم يابن من
 هو في أم الكتاب لدى الله علي حكيماً، يابن الآيات والبيئات يابن
 الدلائل الظاهرات يابن البراهين الواضحات الباهرات يابن
 الحجج البالغات يابن النعم السابغات يابن طه والمحكّمات يابن
 يس والذاريات يابن الطور والعاديات، يابن من دنى فتدلى فكان
 قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العلي الأعلى!

هذه هي المهدوية الحقيقية التي يعرفها شيعة أهل البيت ويعملون في
 إطارها ويمهدون من خلالها لظهور خليفة رسول الله الحقيقي خليفة علي
 والأنمة من بعده، صالح بعد صالح وصادق بعد صادق! فهم السبل بعد السبل
 والخيرة بعد الخيرة وهم الشموس الطالعة والأقمار المنيرة والأنجم الزاهرة

وهم أعلامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ وهم الأئمة الذين يهدون بأمرنا فاستحقوا
بذلك لقب المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ۗ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ۗ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
غَافِلُونَ﴾^١